الإسْلامُ رسالتُنا

إعدادُ دائرةِ التَّأليفِ

في

جمعية التعليم الديني الإسلامي

الصَّفُّ الثّالث الثّانويّ

دار أجيال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم



طبعة

١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م

دار أجيال المصطفى ﷺ

حارة حريك - قرب ثانوية المصطفى ﷺ - بناية الهدى

هاتف وفاكس: ٥٥٦٧٥٠(١-٩٦١) - ٢٢٣٥٢٠ (٣-٩٦١)

ص.ب.: ٢٥/١٧١ بيروت - لبنان.

البريد الإلكتروني: general@islamtd.org



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ... ٣ ﴾

(المائدة)

ويكتمل عقد تحديث سلسلة الإسلام رسالتنا بالأجزاء الثلاثة للمرحلة الثانوية، الأجزاء التي تخاطب المتعلمين الأعزّاء الذين بلغوا حالة النضج العقلي والوعي الاجتماعي، والذين انفتحوا على قضايا العصر، وعاشوا تحدّيات الحاضر، وانطلقوا يتطلعون بذهنية التخطيط نحو آفاق المستقبل.

وقد تمَّ الحرص على أن تستجيب معارف هذه الكتب ونشاطاتها ومهاراتها لحاجات هذه الفئة العمرية الحرجة وتطلعاتها، بالشكل الذي تستطيع به أن تنفتح على الآفاق الواسعة لأهداف الإسلام الحركية التي يمكن اختصارها بما يلي:

معالجة المعارف العقيدية بالأسلوب الذي يؤكد القناعة المنطقية بالاستدلال العقلي والنص الديني الصحيح.

توثيق العلاقة الروحية والوجدانية بالله تعالى خالق الوجود من خلال التربية على التقوى والقيم والأخلاق...

تعميق الثقافة الفقهية التي تسدّد أقوال المسلم وأفعاله في الاتجاه الذي يحقق رضوان الله سبحانه وتعالى.

الانفتاح على القضايا الإنسانية والكونية المعاصرة من وجهة نظر إسلامية أصيلة، ثمّ مواكبتها بالأساليب والوسائل التي تنسجم مع روحية العصر ومنطلقاته.

فهم المسلم لحدود المسؤولية الشرعية في إطار الدعوة إلى الله تعالى، متّخذًا من سيرة الأنبياء والأئمة منهجًا ومسارًا.

وانسجامًا مع القدرةِ الذهنية النقدية والتحليلية لدى أبناء هذه المرحلة وبناتها، تمَّ اختيار المعارف التي تكتملُ بها ثقافتهم المنهجية السابقة، وكذلك انتخاب الأساليب التي تحرّك الذهن، وتركّز القناعة،



لتجعلَ من مفاهيم الدين يقينًا في العقل، وعاطفة في القلب، وحركة في الواقع، وجهادًا في الميدان، وهمًّا على مستوى المسؤولية.

وحتى نبلغ الغاية من الأهداف بالحدّ الأدنى الذي تسمح به مساحة الحركة في المنهج الدراسي، اعتمدنا هيكلًا من خمسةِ محاور تتداخلُ فيها المعارف وتتكاملُ، يُتوّج كلَّ محورٍ منها قصيدة من وحي المضمون المعرفي العام:

- المحور الأوّل: عقيدة وإيمان
- المحور الثاني: قدوة ومسؤولية
- المحور الثالث: فقه والتزام
- المحور الرابع: أخلاق وسلوك
- المحور الخامس: ثقافة وحضارة.

وفي إطار تبويب هذه الموضوعات بإخراج فنّي مناسب وحديث، اعتمدنا المنهجيّة التالية:

- بعد الإشارة إلى العنوان والمحور هناك آية قرآنية أو حديث شريف، يُستمد موضوعهما من الهدف العام للدرس.
- كتابة الأهداف التعليمية بمجالاتها المتنوعة لتبقى حاضرة في ذاكرة كلّ من المعلم والمتعلّم.
- لوحة جدارية مصوّرة من وحي الموضوع المعالج إلى جانب لائحة الأهداف.
- مستند للقراءة والفهم والتحليل كمقدمة تمهيدية لطرح الموضوع المعرفي.
- كتابة المضمون المعرفي بعنوان "أقرأ وأبحث" بأسلوب موضوعي بعيد - ما أمكن - عن الإنشاء، بالشكل الذي يوجّه المعلم إلى اعتماد الطرق الناشطة التي تؤكد محورية المتعلم في الأداء والاستنتاج.
- إنهاء كل موضوع – كما هي العادة في كتب المراحل الدراسية السابقة – بالعناوين التالية:

"أختبر معارفي وقدراتي": أسئلة ونشاطات، الهدف منها التغذية الراجعة أو تقييم التحصيل التعلمي في النهاية.

"من حصاد الدرس": المفاهيم الأساسية المستنتجة من خلال مشاركة التلميذ وفعاليته.

"من ثقافة الروح" معارف إضافية تسلّط الضوء على بعض الجوانب التي لا يتسع لها القسم

النظري من كلّ درس.

"تبقى في ذاكرتي" أقوال للحفظ، من أجل أن تتحول إلى لغة متداولة في الحديث والتعبير.

كما أضفنا في نهاية كل محور لائحة بموضوعات للبحث تعالج كل الجوانب المعرفية للمحور، لتكون في متناول كل معلّم يرغب في التوسع والثقافة.

الإخوة المعلمون... الأخوات المعلمات.

إنّنا إذ نتقدّم منكم بهذه السلسلة الجديدة المميزة بموضوعات معاصرة، وبإخراج فنّي ملائم، يحدونا الأمل بأن تساهم في دفع حركة التعليم الديني الإسلامي خطوات تواكب اهتمامات التلميذ وتطلعاته في عصر انفجار المعرفة، وهيمنة العلم والتكنولوجيا.

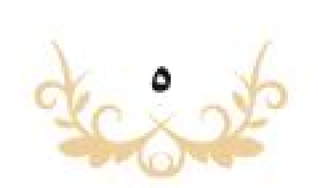
إنّ ما طُرح من موضوعات لا يمثّل سوى الحدّ المقبول من المعارف التي يحتاج إليها المتعلّم في هذه المرحلة، وهذه بالفعل ليست سوى مادة أكاديمية جامدة لا فعالية لها إذا لم يحركها الفكر الثاقب، والأسلوب المشوق، والوسيلة المحفّزة... فأنتم الأساس الذي نتطلّع إليه في تحويل العقيدة إلى قناعة، والأخلاق إلى سلوك، والسيرة إلى قدوة، والفقه إلى ممارسة، والمفهوم إلى مشروع حياة.

أنتم، برساليتكم، ومحبتكم، وإخلاصكم، تستطيعون قيادة السفينة الدينية إلى شاطئ السلامة والأمان، وفقكم الله، ووفقنا إلى كلّ عمل نحقق به جميعًا رضا الله تعالى في خدمة جيله الصاعد، والله على ما نقول شهيد.

دائرةُ التَّأليفِ في

جمعية التعليم الديني الإسلامي

في لبنان



محتوياتُ الكتابِ



المحور الثالث: فقه والتزام ٧٢

المحور الرابع: أخلاق وسلوك ١٠٨

المحور الخامس: ثقافة وحضارة ١٤٠





المحورُ الأوّلُ: عقيدةٌ وإيمانٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة الزمر

صدق الله العلي العظيم

موضوعاتُ المحورِ







عِبرٌ وأخلاقٌ

ألا فاصبرْ على الحدثِ الجليلِ وداوِ جـواكَ بالصَّبرِ الجميلِ

ولا تـجـزعْ وإنْ أعـسـرتَ يومًا فقد أيسرْتَ في الزَّمنِ الطَّويلِ

ولا تـيـأسْ فـإنَّ الـيـأسَ كفرٌ لـعـلَّ اللّهَ يُغـنـي عـن قليلِ

ولا تَـظـنَّـنَّ بـربِّـكَ غـيـرَ خـيـرٍ فـإنَّ اللّهَ أولـى بـالـجـمـيـلِ

وإنَّ الـعـسـرَ يـتـبـعُـهُ يـسـارٌ وقـولُ اللّهِ أصـدقُ كُـلِّ قيلِ

فـلـو أنَّ الـعـقـولَ تـجـرُّ رزقًـا لكانَ الـرِّزقُ عندَ ذوي العقولِ

فكم مِنْ مؤمنٍ قد جاعَ يومًا سـيُـروى مـن رحـيـقٍ سلسبيلِ

من الشِّعرِ المنسوبِ للإمامِ عليٍّ عليه السلام





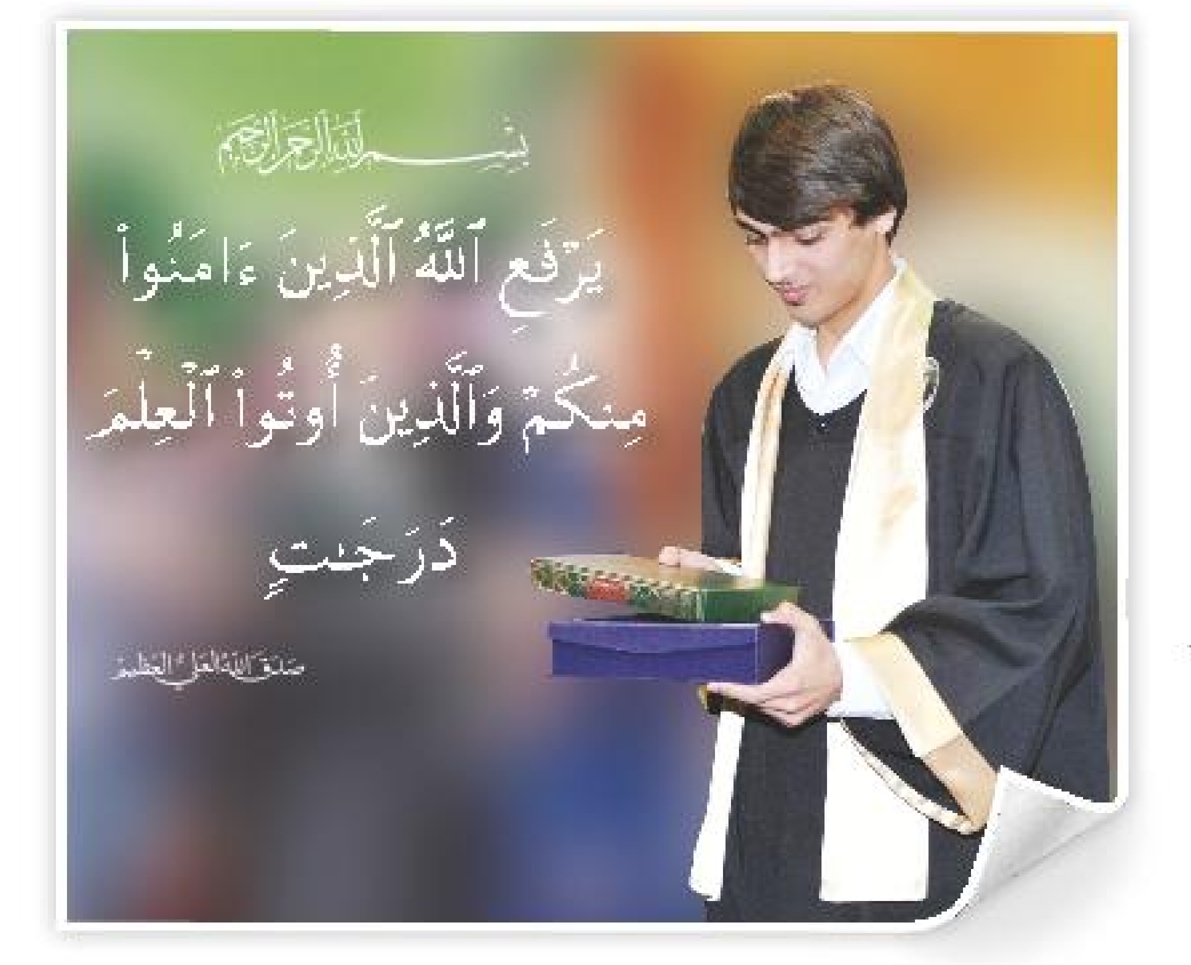
الدّرسُ الأوّل

الإسلامُ والتّطوُّرُ



«واجعل غدي وما بعدَهُ أفضلَ من ساعتي ويومي»

الإمام زين العابدينَ عليه السلام.





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى المعنى الحقيقيِّ للتَّطوُّرِ.
- أميِّزُ بين الثّوابتِ الدِّينيَّةِ في الإسلامِ ومجالاتِ التَّطوُّرِ.
- أكتشفُ رأيَ الإسلامِ بشأنِ التَّجاربِ الإنسانيَّةِ الأُخرى.
- ألتزمُ مبادئَ الإسلامِ في مواكبةِ حركةِ التَّطوُّرِ وصناعتِهِ.



أقرأ وأكتشف

مستند

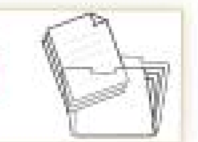
يدعو الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام في صباحِهِ ومسائِهِ:

« ووفِّقْنا في يومِنا هذا، وليلتِنا هذهِ، وفي جميعِ أيّامِنا: لاستعمالِ الخيرِ، وهُجرانِ الشَّرِّ، وشُكْرِ النِّعَمِ، واتّباعِ السُّنَنِ، ومُجانبةِ البِدَعِ، والأَمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المنكرِ، وحِياطَةِ الإسلامِ، وانتقاصِ الباطلِ وإذلالِهِ، ونصرةِ الحقِّ وإعزازِهِ، وإرشادِ الضّالِّ، ومعاونةِ الضَّعيفِ، وإدراكِ اللَّهيفِ.

اللهُمَّ واجعلْهُ أيمنَ يومٍ عَهِدْناهُ، وأفضلَ صاحبٍ صَحِبناهُ، وخيرَ وقتٍ ظللنا فيهِ، واجعلْنا مِن أرضى مَن مرَّ عليهِ اللّيلُ والنَّهارُ من جملةِ خلقِكَ، أشكرَهم لما أوليتَ من نِعمك، وأقومَهم بما شرعْتَ من شرائِعِكَ وأوقفَهم عما حذَّرتَ من نهيكَ...»

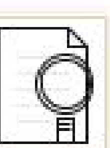
(الصَّحيفة السَّجاديَّة)





أطرحُ الموضوعَ

- ما الَّذي يطلبُهُ الإمامُ ﵇ من رَبِّهِ؟
- كَيفَ يرغبُ في أن يكونَ يومُهُ؟ وما الَّذي يطمحُه من غدِه؟
- ما هيَ أهميَّةُ الانتقالِ من حالٍ إلى حالٍ أفضلَ؟ وكيفَ يمكنُ تحقيقُ ذلكَ؟



أقرأ وأحلّل

١- التَّطوُّرُ وقابليّاتُهُ

في اللُّغة: التَّطوّرُ هوَ الانتقالُ من مرحلةٍ إلى أُخرى مطلوبةٍ، بهدفِ التَّعديلِ أو الإضافةِ أو التَّحسينِ والنُّموِّ والتَّقدُّم.

واللهُ سبحانَهُ وتعالى اختصَّ الإنسانَ بقدراتٍ واستعداداتٍ وبيئاتٍ... تُمكِّنُهُ من الفعلِ والإنتاجِ والتَّطويرِ والإبداعِ، منها:

أ- القوَّةُ الجسديَّةُ وما تتضمَّنُهُ من حواسَّ وأجهزةٍ وطاقاتٍ... تثيرُ فيهِ النَّشاطَ والحيويَّةَ، وتمنحُهُ القدرةَ على العملِ والسُّلوكِ.

ب- الملكةُ النَّفسيَّةُ وما تحويهِ من عواطفَ ومشاعرَ وإيحاءاتٍ روحيَّةٍ إيمانيَّةٍ... تبعثُ فيه الحُبَّ والأمنَ والطُّمأنينةَ.

ج- القدرةُ العقليَّةُ وما تشتملُ عليهِ من مستوياتٍ تتراوحُ ما بينَ الحفظِ والفهمِ والتَّطبيقِ والتَّحليلِ والتَّركيبِ والتَّقويمِ... يمكنُ توظيفُها في ملاحظةِ أسرارِ الكونِ والإنسانِ بهدفِ الاكتشافِ والانتفاعِ والتَّطويرِ.

د- البيئةُ الطَّبيعيَّةُ وما تختزنُهُ من أجواءٍ وكائناتٍ وثرواتٍ... يمكنُ أن تُوفِّرَ للإنسانِ عناصرَ البقاءِ والاستمرارِ، والَّتي يستطيعُ استغلالَها وتوظيفَها لنقلِ الواقعِ إلى مستوى أفضلَ: يقولُ تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك)

٢- الإسلامُ والدَّعوةُ إلى التَّطوُّرِ

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى، من خلالِ رُسلِهِ وكتبِهِ، زوَّدَ الإنسانَ بتعاليمَ وقواعدَ وقيمٍ... تسمحُ له بأنْ يوظِّفَ قابليّاتِ التَّطوُّرِ هذه في حركةِ النُّموِّ والتَّقدُّمِ منها:



أ- **الدَّعوةُ إلى التَّعلُّم**: وتشهدُ بها الآياتُ المباركاتُ الأولى منَ القرآنِ الكريم:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ (العلق)

ب- **تكريمُ العلماءِ**: ويظهرُ في آياتٍ كثيرةٍ منها:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ... ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة)

ج- **معرفةُ الرُّؤيةِ الكونيَّةِ** من خلالِ الإيمانِ باللهِ تعالى ورسلِهِ وكتبِهِ واليومِ الآخرِ... عبرَ التَّفكيرِ الواعي بنواميسِ الكونِ والإنسانِ.. يقولُ اللهُ تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران)

د- **التزامُ النَّهجِ العلميِّ في البحثِ والتَّحليلِ** من خلالِ عدمِ تبنّي أيِّ قولٍ أو فعلٍ أو موقفٍ... دونَ دليلٍ علميٍّ أو حجَّةٍ مقنعةٍ؛ يقولُ تعالى:

﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾ (الحجرات)

هـ- **الدَّعوةُ إلى التَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ في أسرارِ الكونِ والخلقِ**، من أجلِ كشفِ حقائقِهِ العلميَّةِ الكامنةِ، بهدفِ اكتشافِ عظَمةِ اللهِ تعالى، والإفادةِ من نتائجِها وما تفتحُهُ من آفاقٍ علميَّةٍ وعمليَّةٍ.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ (عبس)

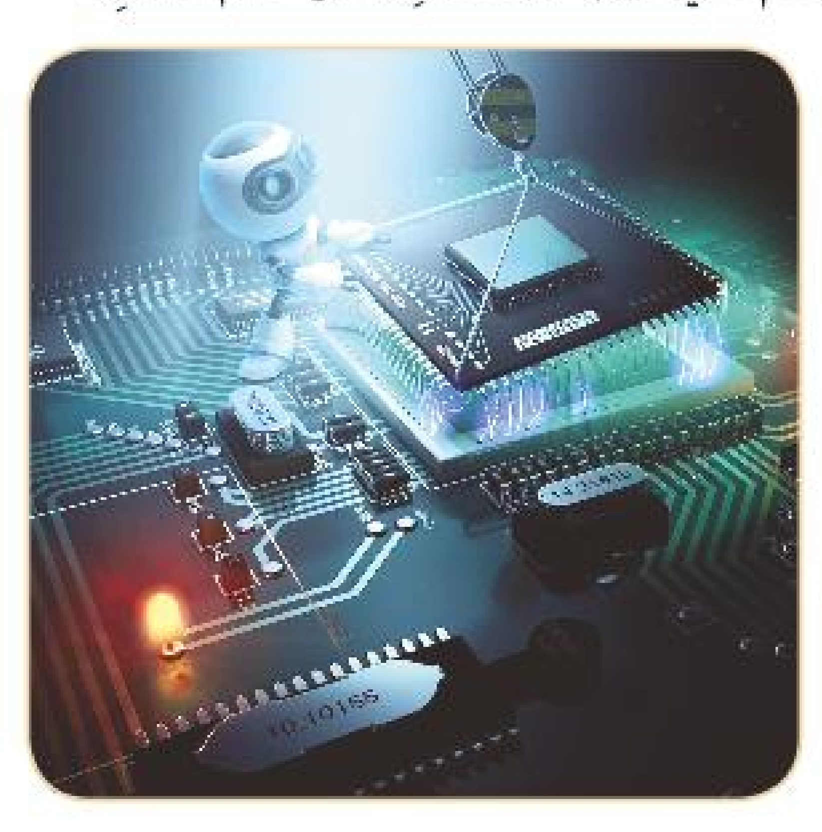
و- **الحذرُ من الالتزامِ بالتَّقليدِ الأعمى**: الإسلامُ شجَّعَ الإنسانَ على إعمالِ عقلِهِ بكلِّ ما يُحيطُ به، وبالأخصِّ الموروثُ الَّذي يتَّسمُ بالجمودِ، ولا يصمدُ أمامَ الحقِّ، في القرآنِ الكريمِ:

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (الزخرف)

هذه مبادئُ عقليَّةٌ تُربِّي المسلمَ على اعتمادِ أصولِ البحثِ العلميِّ، والَّتي كانَتْ ولا تزالُ أساسَ النَّهضةِ الحضاريَّةِ، الَّتي ترجمَها النَّشاطُ الإسلاميُّ في تراثٍ معرفيٍّ وتطبيقيٍّ مميَّزٍ، كانَ – بالفعلِ – مُقدِّمةً لما نشهدُهُ اليومَ من تطوُّرٍ.

٣- التَّفاعلُ معَ الإنتاجِ الإنسانيِّ

ثمَّ إنَّ هذهِ التَّربيةَ الإيمانيَّةَ الَّتي تركِّزُ على احترامِ مبادئِ البحثِ العلميِّ، جعلَتِ المسلمَ ينفتحُ على إنجازِ الحضاراتِ الإنسانيَّةِ الأخرى، ليطَّلعَ، ويتعلَّمَ، ويقتبسَ، ويُعدِّلَ، ويُطوِّرَ، ويبتكرَ... وهذا هو ما وجَّهَ إليهِ الإمامُ عليٌّ عليه السلام حينما سُئِلَ: مَن أعلمُ النّاسِ؟



قالَ عليه السلام: «**مَن جمعَ علمَ النّاسِ إلى علمِهِ**» على هذا الأساسِ كانَ التَّوجيهُ الإسلاميُّ:

أ- **التَّشجيعُ على التَّفاعلِ معَ نتاجاتِ الحضاراتِ الأُخرى**: وبالأخصِّ تلكَ الَّتي سبرَتْ أغوارَ العلمِ، وأتحفتِ البشريَّةَ باكتشافاتٍ جديدةٍ، وتقنيّاتٍ مدهشةٍ... الَّتي سهَّلَتِ الحياةَ، وذلَّلَتِ الصِّعابَ، ووفَّرَتِ الجهدَ والوقتَ.

فالإسلامُ هو مَن بدأَ، ومهَّدَ، وشجَّعَ، وأضافَ... ورسالةُ المسلمِ في الحياةِ هي عمارةُ الأرضِ، واكتشافُ كنوزِها، واستثمارُ خيراتِها بما يفيدُ ويطوِّرُ، يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في عهدِهِ لمالكٍ الأشترِ: «**وليكنْ نظرُكَ في عمارةِ الأرضِ، أبلغَ من نظرِكَ في استجلابِ الخراجِ، لأنَّ ذلكَ لا يُدركُ إلا بالعمارةِ...**»

ب- **سياسةُ الانفتاحِ على الآخرِ**: مِن البدايةِ انفتحَ المسلمونَ على إنجازاتِ الأُممِ مهما كانَتِ انتماءاتُها، قراءةً، ودراسةً، وإضافةً



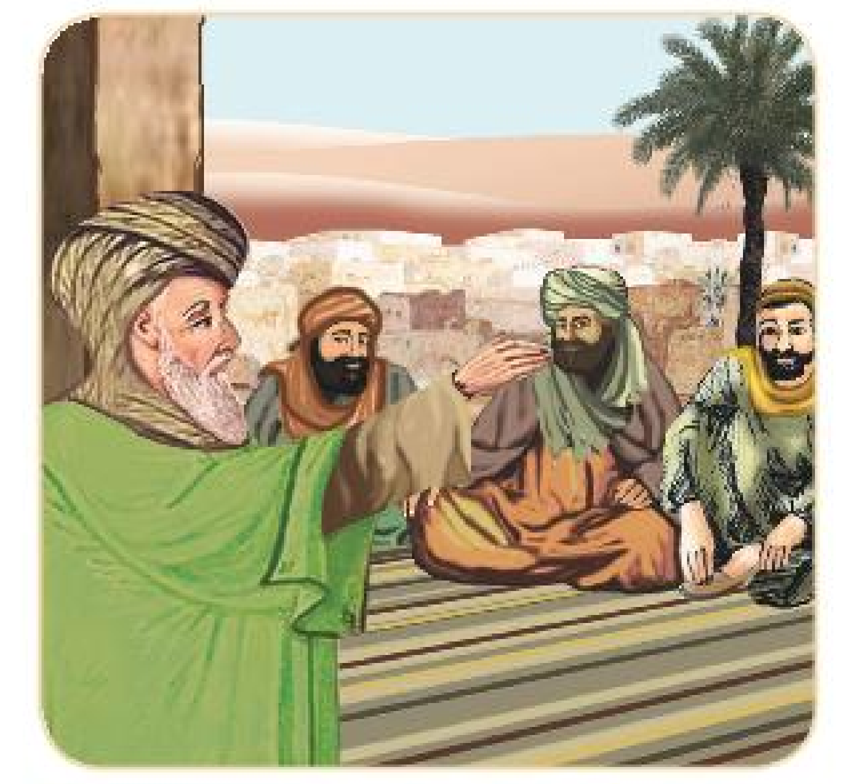
وتطويرًا... من خلالِ كون التُّراثِ الإنسانيِّ ملكًا للبشريَّةِ، بحيثُ يستطيعُ المسلمُ أن ينطلقَ منهُ إلى آفاقٍ أوسعَ...

إذن الحضارةُ الإسلاميَّةُ امتازَتْ بأمورٍ منها:

- أنّها حضارةٌ منفتحةٌ، اعتمدَتِ الاجتهادِ سبيلاً لمعالجةِ كلِّ ما هو مستحدثٌ وجديدٌ ومُشكلٌ.
- أنها حضارةٌ تبحثُ عن الجديدِ، وتلاحقُ كلَّ تطوّرٍ، مهما كانَتْ طبيعتُهُ شرطَ أن ينسجمَ معَ القيمِ الدِّينيَّةِ والأُطرِ العقيديَّةِ.

٤- ضوابطُ حركةِ التَّطوّرِ

على هذا الأساسِ، كانَ على المسلمِ أنْ لا يجعلَ من منجزاتِ العصرِ موضعَ اهتمامِهِ، فيقفَ منها موقفًا علميًّا ناقدًا، ينطلقُ من وعيٍ لطبيعتِها وفوائدِها.



فالمسلمونَ مُطالبونَ بأَن يعيشوا حاجاتِ عصرِهم، ويُساهموا في توفيرِها بإطارِ الأصالةِ والفائدةِ والتَّجديدِ... وهنا لا بدَّ من الإشارةِ إلى أن مواكبةَ التَّطوّرِ، ومحاولةَ الإسهامِ فيه، لا يعني أن تُخضعَ تعاليمُ الإسلامِ للتَّبديلِ والتَّغييرِ بحجَّةِ التَّطوّرِ والحداثةِ:

١- في الإسلامِ ثوابتُ لا يجوزُ تجاوزُها فحلالُ محمّدٍ ﷺ حلالٌ إلى يومِ القيامةِ، وحرامُهُ حرامٌ إلى يومِ القيامةِ.

يقولُ تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

(المائدة)

٢- هناك مسائلُ تخضعُ لحركةِ الاجتهادِ لدى الفقهاءِ، الَّذينَ يتناولونَها في أبحاثِهم، انطلاقًا من قواعدَ أصوليَّةٍ وفقهيَّةٍ على أساسِ القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ الشَّريفةِ وحكم العقل، لينتهوا إلى فتاوى تعيدُ النَّظرَ بما سبقَها لنشوءِ معطياتٍ جديدةٍ تستلزمُ ذلكَ.

٣- هناكَ مباحاتٌ محدَّدَةٌ هي موضعُ حريَّةِ حركةِ المكلَّفِ، إذ يستطيعُ اختيارَ الحُكمِ والأسلوبِ والوسيلةِ الَّتي تناسبُ طبيعةَ عصرِهِ، ضمنَ ضوابطَ أخلاقيَّةٍ متعارفٍ عليها مثلَ:

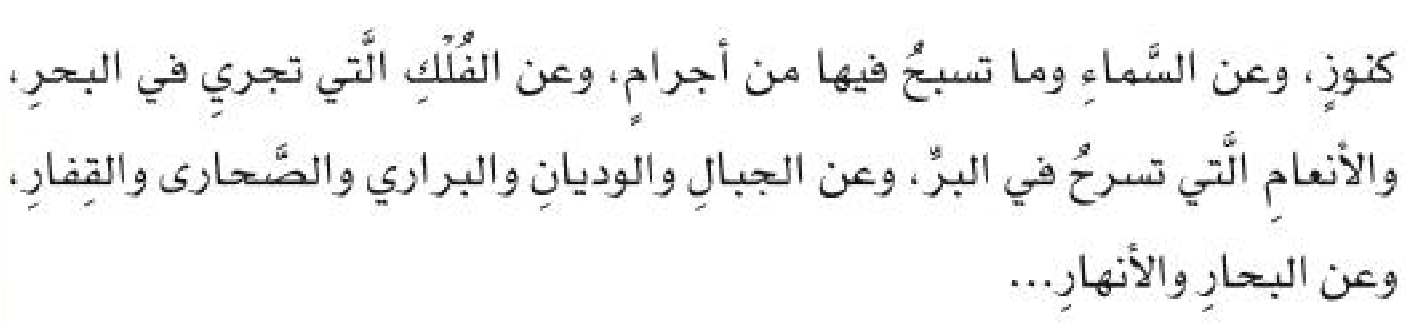
نظامِ السَّيرِ، تنظيمِ التَّعليمِ، خُططِ العملِ الإعلاميِّ، معالجةِ تلوُّثِ البيئةِ، وسائلِ الصِّحَّةِ... وكلِّ ما من شأنِهِ أن يمسَّ بالثَّوابتِ الواضحةِ.

خلاصةُ القولِ: إنَّ الفقيهَ لا يستطيعُ تعديلَ نظامِ العباداتِ والأحوالِ الشَّخصيَّةِ، ونظامِ الإرثِ، وقوانينِ التِّجارةِ والإجارةِ... فهذه من ثوابتِ الشَّريعةِ، ولكنَّهُ يستطيعُ أن يتناولَ موضوعَ الشّورى في الحكمِ ليأخذَ ببعضِ الأساليبِ المعاصرةِ مثل: المشاركةِ والانتخابِ واستحداثِ بعضِ المجالسِ التَّمثيليَّةِ بمهمّاتٍ خاصَّةٍ، كما شهدْنا ذلكَ في قيامِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ المعاصرةِ في إيران.

٥- الإنتاجُ الحضاريُّ في الإسلامِ ما بينَ الماضي والحاضرِ والمستقبلِ

مَن يقرأ القرآنَ الكريمَ بوعيٍ، ويتدبَّر آياتِهِ في موضوعاتِها ومقاصدِها... يجد نفسَهُ أمامَ محفِّزاتٍ للدَّرسِ والبحثِ في مختلفِ الفنونِ المعرفيَّةِ: فهو يتحدَّثُ عن حركةِ الشَّمسِ والقمرِ، ومواقعِ النُّجومِ والكواكبِ، وعن اللَّيلِ والنَّهارِ، وعن الأرضِ وما تختزنُهُ من







كنوزٍ، وعن السَّماءِ وما تسبحُ فيها من أجرامٍ، وعن الفُلْكِ الَّتي تجري في البحرِ، والأنعامِ الَّتي تسرحُ في البرِّ، وعن الجبالِ والوديانِ والبراري والصَّحارى والقِفارِ، وعن البحارِ والأنهارِ...

وهوَ في الوقتِ ذاتِهِ يدعو إلى النَّظرِ فيها، بملاحظتِها، ودراستِها، لكشفِ أسرارِها والانتفاعِ بثمراتِها، وتطويرِ مجالاتِ السَّيطرةِ عليها.

التزمَ المسلمونَ بهذهِ الدعوةِ، وانطلقوا يشاركونَ في تشجيعِ الحركةِ الثَّقافيَّةِ بمقاربةِ مختلفِ أنواعِ العلومِ والآدابِ والفنونِ... فلم يتركوا بابًا هامًّا من أبوابِ العلمِ إلا ودخلوه، وساهموا في تطويرِهِ بإضافاتٍ مبتكرةٍ، سيّما في إطارِ العلمِ التَّجريبيِّ، حيث قاموا بتجاربَ فتحتِ الطَّريقَ أمامَ اكتشافاتٍ مذهلةٍ.

ومن يقرأ حضارةَ الإسلامِ وبالأخصِّ في القرونِ الوسطى، يومَ كانَتْ أوروبةُ غارقةً في غياهبِ الجهلِ والتَّخلُّف، يلتقي بالأطباءِ والرِّياضيِّينَ والفيزيائيِّينَ والكيميائيِّينَ والفلكيِّينَ والفلاسفةِ والفقهاءِ، وعلماءِ الكلامِ والمؤرِّخينَ والجُغرافيِّينَ والفنّانينَ والأدباءِ والشُّعراءِ... أمثال: ابنِ سينا والفارابي والكنديِّ وجابرِ بن حيّانٍ والرّازي والبيروني والإدريسيِّ والمُتنبِّي والشيخ المفيد والسيد المرتضى... وغيرِهِم من المسلمينَ الَّذين اعتمدَتْ جامعاتُ الغربِ نتاجاتِهم المعرفيَّةَ كبرامجَ دراسيَّةٍ لطلاَّبِهم فترةً من الزَّمنِ.

ولما كانَتْ مبادئُ دينِنا الحنيفِ تشجِّعُ على طلبِ العلمِ، ومجالسةِ العلماءِ، ومدارسةِ الحكماءِ... ولما كان مدادُ العلماءِ أفضلُ من دماءَ الشُّهداءِ... ولما كانَتْ إسهاماتُنا الحضاريَّةُ في الماضي موضعَ فخرٍ واعتزازٍ... كان من الواجبِ علينا اليومَ، ومن أجلِ المستقبلِ أيضًا، أن نواكبَ حركةَ التَّطوُّرِ، ونكونَ في مقدِّمَةِ الأممِ المتطوِّرةِ والمطوِّرةِ من خلالِ استغلالِ فرصِ التَّعليمِ والتَّخصُّصِ المتاحة: «**اطلبوا العلمَ ولو في الصِّين**»

فالأممُ المسؤولةُ هي الَّتي تفرضُ وجودَها، وتؤكِّدُ قوَّتَها وعنفوانَها بما تنتجُهُ، وتساهمُ به، وهذا هو ما اعتمدَتْهُ بعضُ الدُّولِ الإسلاميَّةِ الَّتي أصبحَتْ في مواقعَ متقدِّمَةٍ يُحسَبُ لها ألفُ حسابٍ.

المسلمونَ مُطالبونَ اليومَ بأن يعيشوا عصرَهُم، ويعملوا وفقَ منطقِهِ، بمراعاةِ شروطِهِ وقوانينِهِ من دونِ أن يفقدوا أصالتَهم الإسلاميَّةَ، وشخصيَّتَهُم القيميَّةَ المميَّزةَ، ولا يمكنُ أن يتحقَّقَ لهم ذلكَ إلا إذا كانوا علماءَ صالحينَ، أتقياءَ أبرارًا، يرثون الأرضَ الَّتي أعدَّها اللهُ لعبادِهِ الصّالحينَ.

أختبر معارفي وقدراتي

١- عدّد عناوينَ قابليّاتِ التَّطوُّرِ عندَ الإنسانِ.

٢- بيِّن كيف يدعو الاسلام إلى التطوُّر.

٣- اشرحْ موقفَ الإسلامِ من طبيعةِ التَّفاعلِ مع الإنتاجِ الإنسانيِّ.

٤- اذكرْ ضوابطَ حركةِ التَّطوّرِ عندَ المسلمينَ.

٥- تحدَّثْ عن مشاركةِ المسلمينَ في الإنتاجِ الحضاريِّ.

من حصاد الدرس

١- اختصَّ اللهُ تعالى الإنسانَ بقابليّاتٍ وبيئاتٍ تمكّنُهُ من الفعلِ والتّطويرِ منها: القوّةُ الجسديّةُ، الملكَةُ النفسيّةُ، القدرةُ العقليّةُ، البيئةُ الطّبيعيّةُ.

٢- زوّدَ اللهُ تعالى المسلمَ بتعاليمَ تسمحُ له بتوظيفِ قابليّاتِ التّطوُّرِ، منها:

- الدّعوةُ إلى التّعلُّمِ ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ (العلق)
- تكريمُ العلماءِ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ... ﴾ (المجادلة)
- معرفةُ الرُّؤيةِ الكونيّةِ من خلالِ الإيمانِ باللهِ تعالى، والتّفكيرِ الواعي بنواميسِهِ.
- التزامُ النّهجِ العلميِّ في البحثِ والتّحليلِ ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة)
- الدّعوةُ إلى التّفكُّرِ في أسرارِ الكونِ والإنسانِ.
- الحذرُ من الالتزامِ بالتّقليدِ الأعمى.

٣- إنَّ التّربيةَ الإيمانيّةَ تركّزُ على احترامِ مبادئِ البحثِ العلميِّ، فالمسلمُ ينفتحُ على إنجازِ الحضاراتِ الأخرى فيتعلَّمُ، ويقتبسُ، ويعدِّلُ، ويطوِّرُ، ويبتكرُ: - سُئلَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: مَنْ أعلمُ النّاسِ؟

- قال عليه السلام: **من جَمَعَ علمَ النّاسِ إلى علمِهِ.**

شجَّعَ الإسلامُ على أمرينِ هما: - التّفاعلُ مع نَتاجاتِ الحضاراتِ الأُخرى.

- الانفتاحُ على الآخرِ.

٤- في إطارِ الإنتاجِ الحضاريِّ الإسلاميِّ:

- شجَّعَ القُرآنُ الكريمُ على مقاربةِ مختلفِ أنواعِ العلومِ.
- شاركَ المسلمونَ في تطويرِ علومِ الرِّياضيّاتِ والعلومِ والفلكِ والفلسفةِ والأدبِ...
- من أجلِ المستقبلِ، على المسلمينَ إثباتُ وجودِهم في عالمِ التّطوُّرِ وهم قادرونَ على ذلكَ.



من آياتِ اللهِ تعالى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ (يس)

تبقى في ذاكرتي

من دعاءِ الإمامِ زينِ العابدينَ عليه السلام يوم الجمعَةِ :

«اللهُمَّ ثبِّتني على دينك ما أحييتني، ولا تُزِغْ قلبي بعدَ إذْ هَديتني، وهبْ لي من لدنكَ رحمةً، إنَّك أنتَ الوهّابُ»





الدَّرْسُ الثّاني حُسْنُ الظَّنِّ باللّهِ تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢١٨﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أُحدِّدُ معنى حُسْنِ الظَّنِّ باللّهِ تعالى.
- أستدلُّ على مظاهرِ حُسْنِ الظَّنِّ باللّهِ بأمثلةٍ واقعيَّةٍ.
- أقرنُ بينَ حُسْنِ الظَّنِّ والعملِ المرافقِ لهُ.
- أُعمِّقُ الشُّعورَ بحسْنِ الظَّنِّ باللّهِ تعالى.







أقرأ وأكتشف

مستند

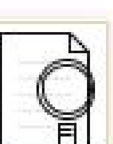
في دعاءٍ للإمامِ زينِ العابدينَ عليه السلام:

«اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمد وارزقني اليقينَ وحُسْنَ الظَّنِّ بكَ، وأثْبتْ رجاءَكَ في قلبي، واقطَعْ رجائي عمَّن سواكَ، حتَّى لا أرجوَ غيرَكَ، ولا أثقَ إلا بكَ يا أرحمَ الرَّاحمين» (الصَّحيفة السَّجاديَّة)

وفي آيةٍ كريمةٍ يصوِّرُ اللّهُ تعالى حالَ المنافقينَ والمشركينَ في علاقتِهم به:

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٦﴾ (الفتح)





أطرحُ الموضوعَ

- بيِّنِ الموضوعَ المشتركَ بينَ النَّصّينِ الدِّينيَّينِ.
- حدِّدْ حُسْنَ الظَّنِّ باللهِ الَّذي دعا به الإمامُ زينُ العابدينَ.
- وبالمقابلِ أوضحْ حدودَ سوءِ الظَّنِّ باللهِ الَّذي حذَّرَ منهُ.
- اذكرْ عاقبةَ كلٍّ منهما.

أقرأ وأحلّل

١- حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى



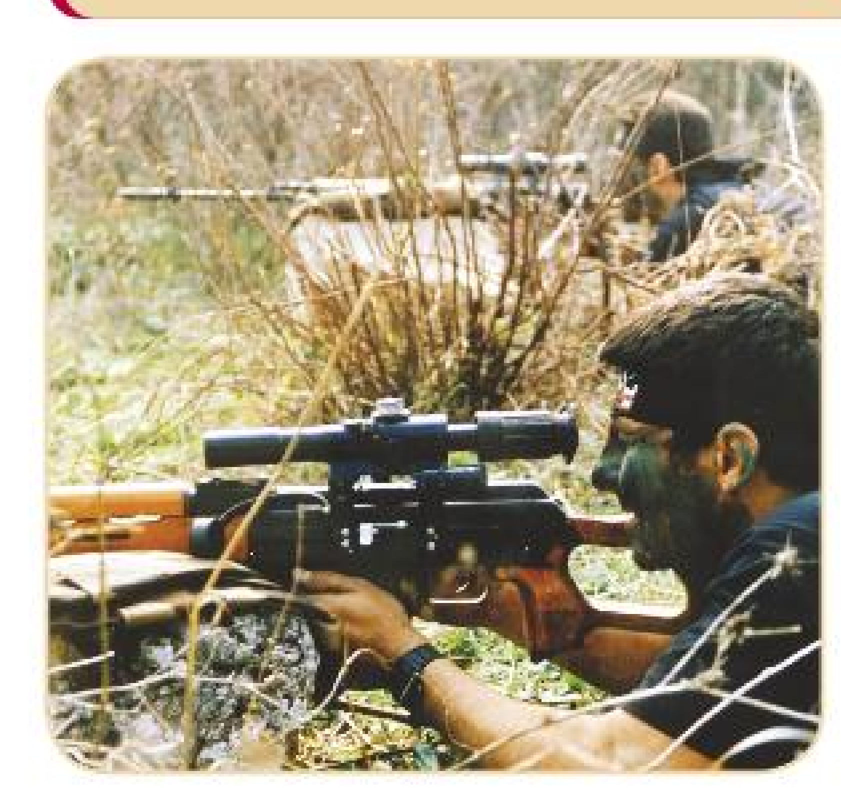
يشجِّعُ الإمامُ الرِّضا (ع) على الظَّنِّ الحَسَنِ باللهِ تعالى فيقولُ: «**أحسِنُ الظَّنَّ باللهِ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: أنا عندَ حُسْنِ ظنِّ عبدي المؤمنِ بي، إنْ خيرًا فخيراً، وإنْ شرًّا فشراً**».

وحقيقةُ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى تظهرُ بأنْ يظنَّ العبدُ باللهِ خيرًا ورحمةً وإحسانًا في مُعاملتِه ومُكافأتِه ومُجازاتِهِ أحسنَ الجزاءِ في الدُّنيا والآخرةِ.

من حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى أن يعيشَ حضورَهُ، فيعتمدَ عليهِ، ويلجأَ إليه في كُلِّ أمورِهِ، واثقًا بوعدِهِ وثوابِهِ، مُطمئنّاً إلى رعايتِهِ وإجابتِهِ، متوكِّلاً عليه في تدبيرِ مختلفِ شؤونِه.

من حسنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى أن يعلَم العبدُ ويؤمنَ بأنَّ اللهَ لا يُخيِّبُ مَنْ دعاهُ، ولجأَ إليهِ، وطلبَ منهُ.

٢- إيمانُ المسلمِ وسلوكُهُ



وحُسْنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى يتحقَّقُ بالمشاعرِ والأحاسيسِ التَّاليةِ:

أ- إذا دعا رَبَّهُ، فإنَّ ربَّهُ يقبلُ دعاءَهُ ويستجيبُ لحاجتِهِ.

يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴿٦٠﴾﴾ (غافر)

وردَ عن النَّبيِّ (ص): «**أُدعوا اللهَ، وأنتمْ موقنونَ بالإجابةِ**».

ب- إذا تقرَّبَ إلى اللهِ بعملٍ صالحٍ، فإنَّهُ يقبلُ عملَهُ ويرفعُهُ:

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ... ﴿١٠﴾﴾ (فاطر)

ج- إذا أذنبَ وتابَ وأنابَ، فإنَّ اللهَ يقبلُ توبتَهُ:

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (التوبة)

د- أنْ يوقِنَ بوعدِ اللهِ ونعيمِهِ الَّذي أعدَّهُ لعبادِهِ الصّالحينَ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾ (الزلزلة)

هـ- أن يوقنَ بحسنِ لقاءِ اللهِ وتجاوزِهِ عنهُ عندَ موتِهِ:

« **لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وهو يحسِنُ الظَّنَّ باللهِ** » الرسول الأعظم ﷺ.

و- أن يتسلَّحَ بحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ، عندَ كُلِّ بليَّةٍ أو ضيقٍ، فهوَ الوحيدُ والقادرُ على كشفِها.

ز- أن يُنفقَ مالَهُ في سبيلِ اللهِ ولا يخشى الفقرَ، موقنًا أنَّ اللهَ سيخلفُ عليهِ خيرًا وينمّي مالَهُ، ويباركَ فيه:

﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (سبأ)

وباختصارٍ: أن يعيشَ المؤمنُ ظَنَّ الإجابةِ عندَ الدُّعاءِ، وظنَّ القبولِ عندَ التَّوبةِ، وظنَّ المغفرةِ عندَ الاستغفارِ، وظنَّ قبولِ الأعمالِ عندَ فعلِها بشروطِها تَمسُّكًا بصادقِ وعدِهِ، وجزيلِ نِعَمِهِ.

٣- حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى يستدعي العملَ

وردَ عنِ الإمامِ الباقرِ عليه السلام: «**الإيمانُ ما استقرَّ في القلبِ وصدَّقه العمَل**».

ويقولُ اللهُ تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف)

فَحُسْنُ الظَّنِّ باللهِ يحملُ على صدقِ العبادةِ، وحُسْنِ العملِ، ولتوضيحِ ذلكَ نوردُ بعضَ الأمثلةِ:

الفلاَّحُ الَّذي يحسنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى هو الَّذي يحرثُ الأرضَ، ويبذرُ الحَبَّ، ويتعهَّدُ الزَّرعَ، ويبذلُ كُلَّ الجهدِ اللّازمِ للنَّجاحِ... ولكنَّهُ في الوقتِ ذاتِهِ يعتقدُ بأنَّ نجاحَهُ لا يتحقَّقُ إلّا بعونِ اللهِ وتوفيقِهِ... فقد تصيبُ زرعَهُ الآفاتُ والعللُ والسُّيولُ وغيرُها... ممّا لا طاقةَ له بدفعِها... في هذه الحالةِ، ومن مُنطلقِ حُسْنِ ظنِّهِ باللهِ، يتوجَّهُ إلى رَبِّهِ العليِّ القديرِ بالدُّعاءِ، بأن يُجنِّبَ زرعَهُ الأخطارَ، ويحقِّقَ له ما يبتغيهِ، وهوَ مطمئنٌّ بأنَّ اللهَ سيحقِّقُ لهُ ما فيهِ المصلحةُ.



قد يُصابُ الإنسانُ بمرضٍ، فيبادرُ إلى الطَّبيبِ المختصِّ، فيتناولُ ما يصفُهُ له من دواءٍ، ويجتهدُ في اتّباعِ نصائحِهِ... وهوَ – في الوقتِ ذاتِهِ – يعتقدُ بأنَّ ما قامَ بهِ لا يشفيهِ إن لم تلحظْهُ عنايةُ اللهِ، فالطَّبيبُ قد يخطئُ في تشخيصِ الدّاءِ، وقد تطرأُ بعضُ الأعراضِ الجانبيَّةِ فتُزيدُ حدَّةَ المرضِ وتفسدُ العلاجَ...

فالمؤمنُ، أمامَ كلِّ ذلكَ، يرجو منَ اللهِ أن يحفظَهُ من كلِّ سوءٍ، وهوَ على يقينٍ بأنَّ اللهَ سيحقِّقُ رجاءَهُ وأملَهُ فيما يُحقِّقُ مصلحَتَهُ.

والمجاهدُ في سبيلِ اللهِ يتقدَّمُ إلى ساحةِ المعركةِ وهو محتاطٌ لكلِّ الوسائلِ الَّتي تكفلُ له النَّصرَ من حُسنِ التَّخطيطِ، وإعدادِ العدَّةِ، وتوفيرِ الذَّخائرِ واختيارِ المكانِ والزَّمانِ المناسبينِ... وهو معَ ذلكَ يعتقدُ بأنَّ النَّصرَ بيدِ اللهِ، فقد يحدثُ ما ليسَ في الحسبانِ من مفاجآتٍ في اختلالِ موازينِ القُوى، لذا فهوَ يسألُ اللهَ تعالى أن يُبعدَ عنهُ العوائقَ الَّتي لا يستطيعُ التَّغلُّبَ عليها، وينطلقُ مطمئنًّا لرعايةِ اللهِ الَّذي ينصرُ مَن يشاءُ ويرزقُ مَن يشاءُ بغيرِ حسابٍ.

من هذهِ الأمثلةِ وغيرِها نرى أنَّ تحقيقَ الأهدافِ يتطلَّبُ أمرينِ:

- عملاً جادًّا يقومُ به المؤمنُ بإرادةٍ وتخطيطٍ.
- أملاً يقينيًّا بتوفيقِ اللهِ تعالى، ورجاءً حارًّا منه، بأن يمنعَ العوائقَ ويُزيلَ العقباتِ، وهذا هوَ ما تشيرُ إليهِ الآيةُ الكريمةُ:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ (البقرة)

على المؤمنِ أن يُحسنَ ظَنَّهُ باللهِ تعالى، فيدعوَهُ، ويرجوَهُ، وهو موقنٌ بجميلِ جزائِهِ وعطائِهِ، إذا ما أحسنَ السَّعيَ والعملَ، وليكنْ وثوقُهُ بحُسْنِ ظنِّهِ، أعظمَ من وثوقِهِ بحُسْنِ عملِهِ، فهو سيُقْدِمُ على ربٍّ كريمٍ رحيمٍ، واسعِ العطاءِ، تسبقُ رحمتُهُ غضبَهُ، ويسبقُ رضاه سخطَهُ. وردَ في الحديثِ القدسيِّ:

﴿يا بنَ آدمَ، لو بلغَتْ ذنوبُكَ عنانَ السَّماءِ، ثمَّ استغفرْتَني، غفرتُ لكَ ولا أبالي﴾.

٤- من مظاهرِ حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى

ولتوكيدِ الإحساسِ بالظَّنِّ الحَسَنِ، على المؤمنِ تنميةُ الظَّواهرِ الإيمانيَّةِ الآتيةِ:

أ- التَّوَكُّلُ على اللهِ تعالى:



يقولُ تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ... ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق)

وحقيقةُ التَّوكُّلِ تفرضُ خطواتٍ عمليَّةً هي:

- رسمُ الخطَّةِ، وإعدادُ العُدَّةِ، والقيامُ بالعملِ.
- تفويضُ أمرِ النَّجاحِ إلى اللهِ الَّذي يرعى ويحفظُ ويُسدِّدُ.
- قبولُ النَّتائجِ مهما كانت طبيعتُها.

ب- الرِّضا بقضاءِ اللهِ وقدرِهِ:

يستحضرُ الفلاَّحُ والتِّلميذُ والمجاهدُ كلَّ وسائلِ النَّجاحِ، منتظرين توفيقَ اللهِ في تحقيقِ غاياتِهم، ولكنَّ السُّنَنَ الكونيَّةَ الَّتي أودَعَها اللهُ في الخلقِ، قد تأتي بنتائجَ سلبيَّةٍ، فقد يحصلُ الجفافُ، ويموتُ الزَّرعُ، ويحدثُ المرضُ، فيفشلُ المجتهدُ، وتختلُّ الموازينُ فيستشهدُ المجاهدُ.



هنا لا بدَّ من نظرةٍ واقعيّةٍ للأسبابِ وما ينتجُ عنها، فنؤمنُ بحكمةِ اللهِ، ونرضى بقضائِهِ وقدرِهِ، مؤمنينَ بأنَّ:

ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يشأْ لم يكنْ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللهِ العليّ العظيم.

ومنسجمينَ معَ دُعاءِ الإمامِ زينِ العابدين عليه السلام:

«ورضّني من العيشِ بما قسمتَ لي يا أرحمَ الرَّاحمينَ».

إنَّ عملَ الإنسانِ وحدَهُ لا يكفي لبلوغِ الغايةِ، فهناكَ سننٌ كونيَّةٌ، قد تساعدُ حينًا، وتعاكسُ حينًا آخرَ، وهذا ما يُطلقُ عليه اسمُ القضاءِ والقدرِ، أيْ حكمُ اللهِ وتصرُّفُهُ في شؤونِ الكونِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (القمر)

وعلى المؤمنِ أنْ يرضى بالقضاءِ ويعلمَ بأنَّ إرادةَ اللهِ تعالى تجري لخيرِ العالمِ، وإن خفيَتْ علينا بعضُ وجوهِهِ الَّتي قد تدخلُ في دائرةِ الاختبارِ لحقيقةِ الإيمانِ.

ج- الصَّبرُ أمامَ البلاءِ:

انطلاقًا من الرِّضا بقضاءِ اللهِ وقدرِهِ، يُطلَبُ من الإنسانِ الصَّبرُ أمامَ البلاءِ، فقد يفشلُ في امتحانٍ، أو يخسرُ في تجارةٍ، أو يُفاجأ بموتِ عزيزٍ، فعليهِ قبولُ هذا الواقع بصبرٍ وحكمةٍ، فلا ييأسُ ولا ينهارُ، بل عليهِ أن يتماسكَ ويتوازنَ، فيدرسَ الأسبابَ، ويأخذَ العبرةَ، ويتجاوزَ المحنةَ، ويستعدَّ لمواجهةِ المستقبلِ، وهوَ أكثرُ إيمانًا بحكمةِ اللهِ تعالى وحُسْنِ إرادتِهِ وتدبيرِهِ، مُتَّخِذًا من رسولِ اللهِ أسوةً حسنةً، وهو يقفُ أمامَ جَدَثِ ولدِهِ إبراهيمَ حزينًا مُتماسكًا صابرًا وهو يقولُ:

«تدمعُ العينُ، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ ما يسخطُ الرَّبَّ، وإنَّا بك يا إبراهيمُ لمحزونون».

وعليهِ أن يعيشَ هذا الإيحاءَ بالدُّعاءِ **«ولعلَّ الَّذي أبطأَ عنّي هو خيرٌ لي لعلمِكَ بعاقبةِ الأمورِ»**

وأجرُ الصّابرِ الَّذي يُحسنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى كبيرٌ جدًّا تحدِّدُ إطارَهُ الآياتُ:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة)

أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدِ المعنى المقصودَ من تعبيرِ «حُسْنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى».

٢- عَدِّدِ الأحاسيسَ الَّتي يتحقَّقُ بها حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى.

٣- بيِّنِ العلاقَةَ بينَ حُسْنِ الظَّنِّ والعملِ من خلالِ أمثلةٍ واقعيَّةٍ.

٤- بماذا يُنمّي المؤمنُ الشُّعورَ بِحُسْنِ الظَّنِّ؟



من حصاد الدَّرس

١- مِن حُسْنِ الظَّنِّ باللّهِ تعالى، أن يعيشَ المؤمنُ حضورَ اللّهِ في نفسِهِ وعقلِهِ، فيلجأَ إليهِ في أمورِهِ، ويطمئنَّ إلى رعايتِهِ وإجابتِهِ.

٢- يتحقَّقُ حُسْنُ الظَّنِّ باللّهِ تعالى بالأحاسيسِ الآتيةِ:

- إذا دعا ربَّهُ، يوقنُ بالإجابةِ، يقولُ تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ...﴾ (غافر)
- إذا أذنبَ وتابَ، يؤمنُ بقبولِ التَّوبةِ، يقولُ تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ...﴾ (التوبة)
- أن يعتقدَ بلقاءِ اللّهِ في الآخرةِ، ووعدِهِ ونعيمِه، يقولُ تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ (الزلزلة)
- أن يتسلَّحَ بحسنِ الظَّنِّ باللّهِ عندَ كُلِّ بلاءٍ يصيبُهُ.

٣- إنَّ حُسنَ الظَّنِّ باللّهِ تعالى يستدعي السَّعيَ والعملَ.

فالمؤمنُ يدعو اللّهَ في حاجتِهِ، ويرجوهُ وهو موقنٌ بعطائِهِ، على أن يرافقَ ذلكَ السَّعيُ والعملُ.

- الفلاحُ يزرعُ، ويبذلُ الجهدَ... ويطلبُ توفيقَ اللّهِ.
- المريضُ يذهبُ إلى الطَّبيبِ للمعالجةِ... ويدعو اللّهَ بالشِّفاءِ.
- المجاهدُ يُحسنُ الاستعدادَ للحربِ، ويطلبُ من اللّهِ النَّصر.

يقولُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة)

٤- من مظاهرِ حسنِ الظَّنِّ باللّهِ تعالى:

- التَّوكُّلُ على اللّهِ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ...﴾ (الطلاق)
- الرِّضا بقضاءِ اللّهِ وقدرِهِ: يقولُ الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام:

«ورضِّني من العيشِ بما قسمْتَ لي يا أرحمَ الرَّاحمينَ»

- الصَّبرُ أمامَ البلاءِ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ...﴾ (البقرة)



من ثقافة الروح

مواقفُ رائعةٌ من السِّيرةِ

وردَ في السِّيرةِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يومًا بينَ أصحابِهِ، فمرَّتْ امرأةٌ تضمُّ طفلَها إلى صدرِها بحنانٍ، فقالَ لأصحابِهِ: أترونَ هذه طارحةً ولدَها في النَّارِ؟

قالوا: لا واللّهِ يا رسولَ اللّهِ.

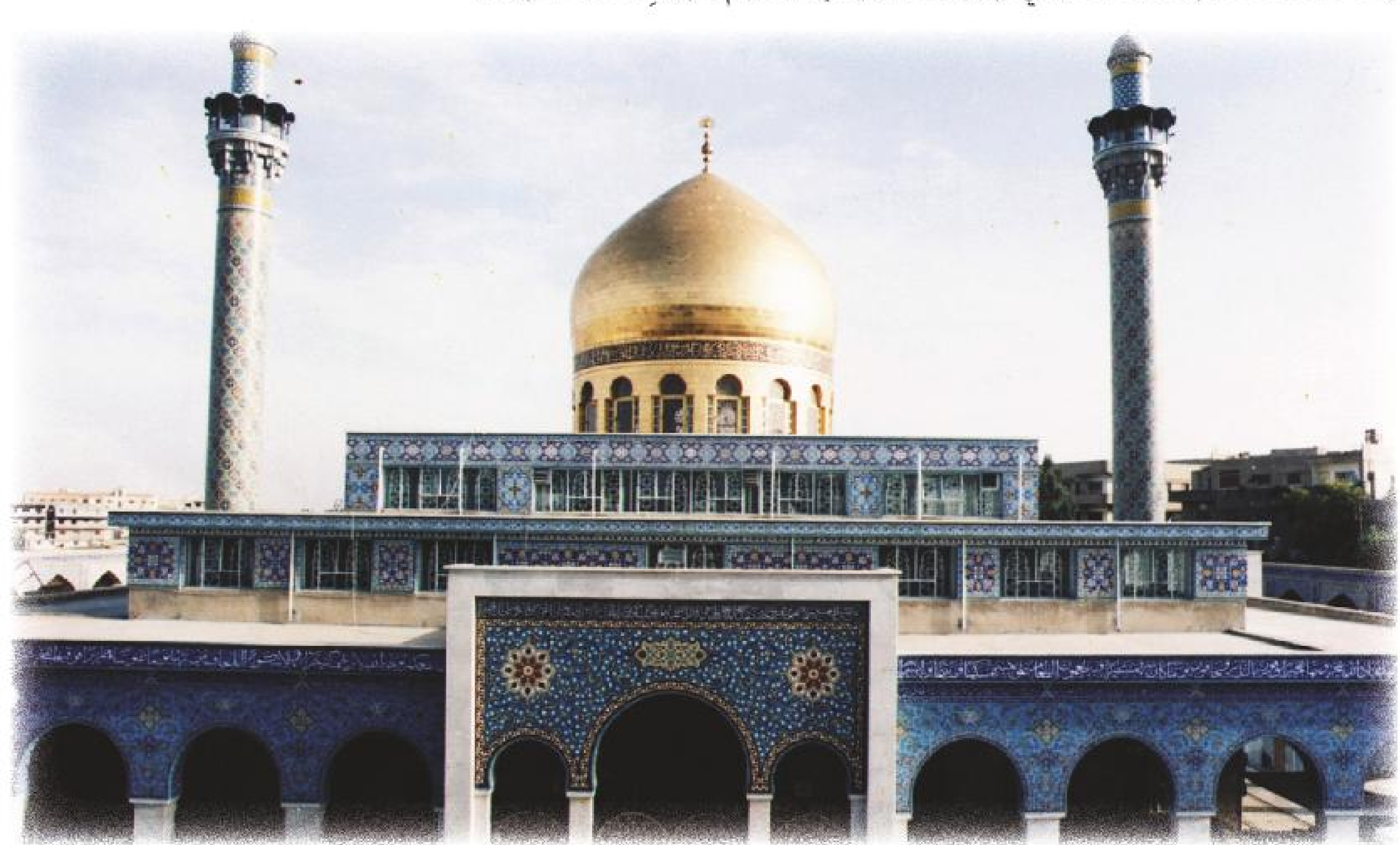


فقالَ ﷺ: **اللهُ أرحمُ بعبادِهِ من هذهِ بولدِها.**

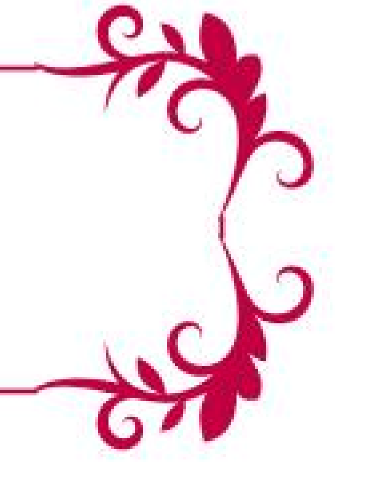
٢- إنَّ حُسْنَ الظَّنِّ باللهِ يمنحُ المؤمنَ الشَّجاعةَ والقدرةَ على الصَّبرِ وتحدّي الآلامِ، فلا يخشى الجهادَ دفاعًا عن الدّينِ، ولا يخافُ قولَ الحقِّ في ظلِّ سُلطانٍ جائرٍ، ولا يجزعُ أمامَ حالاتِ البؤسِ والتَّشريدِ والموتِ... فهو يتطلَّعُ دائمًا بتفاؤلٍ إلى ما يأتي من اللهِ، سواءٌ وافقَ رغبتَهُ أم لم يوافقها، إنَّهُ يؤمنُ بمحبَّةِ اللهِ وحكمتِهِ وعدلِهِ وحُسنِ جزائِهِ... هذا ما تؤكِّدُهُ مواقفُ الإمامِ الحسينِ عليه السلام وأهلِ بيتِهِ وأصحابِهِ في كربلاءَ.

حينَ ذُبِحَ الطِّفلُ الرَّضيعُ بسهمِ «حرملةَ» وهوَ على يدِ أبيهِ، نظرَ إليهِ والألمُ يعتصرُ قلبَهُ... فملأَ كفَّهُ بدمِ الرَّضيعِ الَّذي يفورُ من نحرِهِ، ورمى بهِ نحوَ السَّماءِ، وقالَ بلغةِ الصَّابرِ المحتسبِ: «**هوَّنَ ما نزلَ بي أنَّهُ بعينِ اللهِ**».

٣- وقفَتِ السَّيِّدةُ زينبُ عليها السلام بعدَ استشهادِ أخيها الإمامِ الحسينِ عليه السلام، أمامَ جسدِهِ الطَّاهرِ، والأسى والحزنُ يمزِّقُ أوتارَ قلبِها، وقفَتْ شامخةً معتزَّةً متماسكةً وهيَ ترمقُ السَّماءَ وتقولُ: «اللهُمَّ تقبَّلْ منّا هذا القُربانَ».







تبقى في ذاكرتي

وردَ عن الإمامِ الصّادقِ عليه السلام:

«حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ أن لا ترجوَ إلا اللهَ، ولا تخافَ إلاَّ ذنبكَ»



الدَّرسُ الثَّالثُ: العدلُ الإلهيُّ



﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ سُورَةُ التَّوبَة

صدق الله العلي العظيم





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أبيِّنُ معنى العدلِ الإلَهيِّ.
- أتعرَّفُ إلى الأدلَّةِ النَّقليَّةِ والعقليَّةِ على العدلِ الإلهيِّ.
- أقارنُ بينَ رأي الأشاعرةِ ورأي العدليَّةِ في حقيقةِ العدلِ.
- أجيبُ على بعضِ الشُّبهاتِ المتعلِّقةِ ببعضِ المظاهرِ الطَّبيعيَّةِ والخلقيَّةِ.



أقرأ وأكتشف

مستند

يحدِّدُ القرآنُ الكريمُ بعضَ صفاتِ الله تعالى في سورتَي الحشرِ وآلِ عمرانَ:

١- ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (الحشر)

٢- ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ (آل عمران)

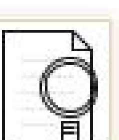
صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ





أطرحُ الموضوعَ

- اذكرْ أبرزَ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ الَّتي تذكرُها الآياتُ.
- بيِّنِ الصِّفاتِ الَّتي يذكرُها النَّصُّ الأوَّلُ وما هي الصِّفةُ الإضافيَّةُ في النَّصِّ الثَّاني؟
- أوضِح مفهومَ التَّوحيدِ، وما انعكاسُهُ العمليُّ على الأداءِ؟
- اشرح معنى كلمة العدلِ الإلهيِّ؟ وما تحديدُها في الإطارِ الإنسانيِّ؟



أقرأ وأحلّل

١- منَ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ

يقولُ اللَّهُ تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف)

اللَّهُ تعالى جامعٌ في ذاتِهِ جميعَ صفاتِ الكمالِ المطلقِ، وهي تختلفُ عن صفاتِ البشرِ، وليسَتْ خارجةً عن ذَاتِهِ، ولا منفصلةً عنها، بل هي عينُ ذاتِهِ جلَّ وعلا، وليسَ وجودُها إلا وجودَ الذَّاتِ.

أكَّدَ القرآنُ الكريمُ على أمرينِ كبيرينِ، جعلَهما أساسًا لعقيدةِ المسلمِ، لما لهما من انعكاسٍ عمليٍّ على أدائِهِ هما:

أ- التَّوحيدُ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان)

ب- العدلُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء)

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ (غافر)

والبحثُ في طبيعةِ العدلِ الإلهيِّ أفرزَ مواقفَ ومذاهبَ فكريَّةً مختلفةً، نحاولُ في هذا الدَّرسِ أنْ نُسلِّطَ الضَّوءَ عليها من أجلِ أن نخلصَ إلى رؤيةٍ واضحةٍ تزيلُ الشَّكَّ، وتحدِّدُ سلوكَ المسلمِ تجاهَ ربِّهِ والحياةِ.

٢- تحديدُ العدلِ الإلهيِّ

في المصطلحِ اللُّغويِّ والإطارِ البشريِّ:- العدلُ: هو إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ.

- والظُّلمُ: وضع الشيء في غير موضعه والاعتداءُ على حقوقِ الآخرينَ.

إنَّ هذا التَّحديدَ لا يجوزُ أن نطلقَهُ على اللَّهِ تعالى، فهوَ خالقُ الكونِ، والمالكُ الفعليُّ لكلِّ ما فيهِ، ولهُ الحقُّ في التَّصرُّفِ بكلِّ شيءٍ، فإذا أخذَ أو أعطى فهو العدلُ، ولا محلَّ لتجاوز حقوقِ الآخرينَ، لأنَّ كُلَّ شيءٍ ملكٌ له، والوجودُ كلُّهُ لَهُ، فهو يتصرَّفُ في مُلكِهِ الَّذي هوَ الوجودُ كلُّهُ.

على هذا الأساسِ فالعدلُ الإلهيُّ هو إصدارُ الفعلِ على وجهِ الصَّوابِ والمصلحةِ.

فاللَّهُ تعالى لا يهملُ فعلاً تحتِّمُهُ المصلحةُ، ولا يصدرُ عنهُ قبيحٌ تمنعُهُ الحكمةُ.



٣- الأدلَّةُ على العدلِ الإلهيِّ

موضوعُ العدلِ الإلهيِّ طرحَ تساؤلاتٍ في عقولِ بعضِ النّاسِ، وأثارَ جدلاً بينَ علماءِ المسلمينَ. والجوابُ هنا يَستدعي أولاً بحثَ الأدلَّةِ النَّقليَّةِ والعقليَّةِ الَّتي تُؤَكِّدُهُ:

أ- الدَّليلُ الأوَّلُ: النُّصوصُ القرآنيَّةُ:

في أكثرَ من آيةٍ قرآنيَّةٍ وصفَ اللهُ تعالى نفسَهُ بالعدلِ، نافيًا عنهُ الظُّلمَ بشكلٍ مطلقٍ: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ (غافر)

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ (آل عمران)

ب- الدَّليلُ الثّاني: الأمرُ بالعدلِ والنَّهيُ عن الظُّلم:

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى شجَّعَ عبادَهُ على الأخذِ بأسبابِ العدلِ، وشدَّدَ على أن يكونَ العدلُ هدفَ كلِّ حكمٍ يريدُ الإصلاحَ، وأكَّدَ على وجوبِ التَّضحيةِ من أجلِ تركيزِهِ في المجتمعِ الإنسانيِّ وفقَ الأُسسِ الَّتي شرَّعها اللهُ عزَّ وجلَّ:



﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ... ﴿٩٠﴾﴾ (النحل)

﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ... ﴿٥٨﴾﴾ (النساء)

وفي الوقتِ الَّذي يؤكِّدُ فيهِ على العدلِ، يدعو اللهُ تعالى إلى رفضِ الظُّلمِ والظّالمينَ:

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ (الشعراء)

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ (الزخرف)

هذه الآياتُ وغيرُها تشيرُ إلى حُسْنِ العدلِ والأمرِ بهِ، وقُبحِ الظُّلمِ والنَّهي عنه، بالنِّسبةِ للبشرِ المخلوقينَ، فهل يُعقَلُ أن يتَّصفَ الخالقُ بخلافِها، وهوَ الَّذي نفى الظُّلمَ عن ذاتِه؟

ج- الدَّليلُ الثّالثُ: تشريعُ الثَّوابِ والعقابِ:

إنَّ اللهَ سبحانَهُ ميَّزَ الإنسانَ بأمرينِ هُما:

- إمكاناتٌ تكوينيَّةٌ: العقلُ، الحرِّيَّةُ، الإرادةُ. فبالعقلِ يفكِّرُ، وبالحرِّيَّةِ يختارُ، وبالإرادةِ يتصرَّفُ.
- رسالاتٌ سماويَّةٌ توضحُ لهُ الطَّريقَ الَّتي لا يستطيعُ العقلُ إدراكَ كلِّ أبعادِها وتفاصيلِها.

ثمَّ إنَّهُ تعالى بعدَ أَنْ رسمَ للإنسانِ طريقَ الحقِّ، وأمرَهُ بسلوكِها، وبيَّنَ لهُ طريقَ الشَّرِّ، وحذَّرَهُ من نتائجِها، تركَ له حرِّيَّةَ الاختيارِ:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس)





﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ...﴾ (الكهف)

وبعدَ أن زوَّدَهُ اللهُ بكلِّ ما يحتاجُهُ لسلوكِ سبيلِ الحقِّ، حمَّلَهُ مسؤوليَّةَ خياراتِه، وما يصدرُ عنها من أفعالٍ، حيثُ تُسجَّلُ في كتابٍ يُحدِّدُ مصيرَهُ العادلَ: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف)

من خلالِ ذلكَ نخلصُ إلى النَّتيجةِ القرآنيَّة: أنَّ اللهَ تعالى الَّذي يتصف بكُلِّ صفاتِ الكمالِ، والَّذي بيدِهِ ملكوت كلِّ شيء، والَّذي أمرَ بالخيرِ ونهى عن الشَّرِّ، والَّذي بيدِهِ كُلُّ شؤونِ الثَّوابِ والعقابِ... لا بدَّ وأن يكونَ في منتهى العدالةِ:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ (الأنبياء)

د- الدَّليلُ الرَّابعُ: العدلُ حَسَنٌ والظُّلمُ قبيحٌ:

الإيمانُ بالعدلِ يؤكِّدُهُ العقلُ السَّليمُ. فالعقلُ يُثبتُ حُسْنَ العدلِ، ويُحبِّبُ به، ويُؤكِّدُ قبحَ الظُّلمِ ويحذِّرُ منهُ، وهذا من بديهيَّاتِ الفطرةِ والعقلِ معًا.

فلو أحسنَ إليكَ إنسانٌ، وقدَّمَ لكَ يدَ المساعدةِ، ثمَّ قابلْتَهُ بالإساءةِ فكيفَ ستكونُ ردَّةُ فعلِ جميعِ النّاسِ من مؤمنينَ وغيرِهم.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ (الرحمن)

فالإنسانُ بفطرتِهِ يحبُّ العدلَ ويرفضُ الظُّلمَ، فهل يكونُ اللهُ تعالى – وهو الكمالُ المطلَقُ – دونَ مستوى الإنسانِ العاديِّ؟ وهوَ يقولُ:

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ (غافر)

وبكلماتٍ موجزةٍ نقولُ: إنَّ العقلَ يتبنَّى قاعدةً مفادُها:

العدلُ حَسَنٌ والظُّلمُ قبيحٌ، واللهُ العادلُ لا يفعلُ إلا الحسنَ، صحيحٌ أنَّهُ يملكُ القدرةَ على فعلِ كلِّ شيءٍ، لكنَّهُ يتعالى عن ذلكَ، وليسَ لديهِ الدّاعي إلى ذلكَ، فإذا كانَ الإنسانُ يمارسُ بعضَ القبيحِ بدافعِ الحاجةِ أو الشَّهوةِ أو الجهلِ، فاللهُ تعالى مستغنٍ عن كلِّ شيءٍ، وهو العالمُ بكلِّ شيءٍ، والقادرُ والقويُّ على كلِّ شيءٍ، هذا ما أشارَ إليهِ الإمامُ زينُ العابدينَ ﵇ في مناجاتِهِ لربِّهِ:

«وقد علمْتُ أنَّهُ ليسَ في حكمِك ظلمٌ، ولا في نقمتِكَ عجلةٌ، وإنَّما يعجلُ من يخافُ الفوتَ، وإنَّما يحتاجُ إلى الظُّلمِ الضَّعيفُ، وقد تعاليْتَ يا إلهي عن ذلك علوًّا كبيرًا».

٤- الخلافُ حولَ تفسيرِ العدلِ الإلهيِّ

اتَّفقَ المسلمونَ على تأكيدِ صفةِ العدلِ للذّاتِ الإلهيَّةِ، ولكنَّهم اختلفوا في تحديدِ طبيعةِ الصِّفةِ حيثُ تبلورَ هذا الخلافُ في اتِّجاهينِ هما:

أ- اتِّجاهُ الأشاعرةِ:

يعتبرُ الأشاعرةُ أنَّ صفةَ العدلِ منتزَعةٌ من فعلِ اللهِ تعالى، فأيُّ فعلٍ بذاتِه لا يملكُ صفةَ العدلِ أو الظُّلمِ، فالفعلُ يصبحُ عدلاً حينَ



يكونُ فعلَ اللهِ، فكلُّ ما يفعلُهُ اللهُ يكونُ عدلاً، وما عداهُ يكونُ ظُلمًا.

من خلالِ وجهةِ النَّظرِ هذهِ، لا يوجدُ مقياسٌ للعدلِ، فإذا أثابَ اللهُ المطيعَ كانَ ذلكَ عدلاً، وإذا فعلَ العكسَ وأثابَ الشّريرَ كان ذلكَ عدلاً أيضًا، فالعدلُ هو ما يفعلُهُ اللهُ الّذي لايُسألُ عمّا يفعلُ وهم يُسألون.



وعلى هذا الأساسِ تطرَّفَ الأشاعرةُ فجوَّزوا على اللهِ فعلَ ما يستقبحُهُ العقلُ والفعلَ العشوائيَّ الّذي لا يعتمدُ الحكمةَ، وهو ما نزَّهَ اللهُ تعالى نفسَهُ عنهُ فقالَ:

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (آل عمران)

﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ (الدخان)

وهذا هو اتجاهُهم فيما شرَّعَهُ اللهُ تعالى: فالحَسَنُ ما حسَّنَهُ الشَّرعُ، والقبيحُ ما قبَّحَهُ الشَّرعُ.

ب- اتِّجاهُ المعتزلةِ والإماميَّةِ:

ويُسمَّونَ بالعدليَّةِ، وقد خالفوا مذهبَ الأشاعرةِ الّذين نفَوا وجودَ حكمِ الفعلِ في حُسْنِ الأفعالِ وقُبْحِها، وكانت وجهةُ نظرِهِمْ ما يلي:

إنَّ للأفعالِ قيمًا ذاتيَّةً عندَ العقلِ بعيدًا عن حكمِ الشَّرعِ، فمنها ما هو حسنٌ في نفسِهِ، ومنها ما هو قبيحٌ في ذاتِهِ، والشَّرعُ المُقدَّسُ لا يأمرُ إلا بالحسنِ، ولا ينهى إلّا عن القبيحِ، فالصِّدقُ – مثلاً – حَسَنٌ بذاتِهِ، ولِحُسْنِه أمرَ اللهُ بهِ، لا أنَّهُ صارَ حُسنًا بعدما أمرَ اللهُ به، والدَّليلُ على ذلك أنَّ المخالفينَ للدّينِ يصفونَهُ بالحسنِ من غيرِ أن يكونَ للحكمِ الشَّرعيِّ أيُّ أثرٍ للتَّحسينِ، فالحَسَنُ ما حسَّنَهُ العقلُ، وهو ما أمرَ بهِ الشَّرعُ، والقبيحُ ما قبَّحَهُ العقلُ، وهو ما نهى عنه الشَّرعُ.

٥- شبهاتٌ وردودٌ



وفي إطارِ الحديثِ عن العدلِ الإلهيِّ تُطرحُ تساؤلاتٌ حولَ الهدفِ من خلقِ بعضِ الظَّواهرِ الطَّبيعيَّةِ المدمِّرةِ، وحولَ وجودِ المشوَّهينَ والمُتخلِّفينَ والمُعذَّبينَ من النّاسِ... هل من العدلِ أن يتمتَّعَ أحدُهم ببصرِهِ والآخرُ يُحرَمُ منه؟

للإجابةِ عن كلِّ هذهِ التَّساؤلاتِ نطرحُ الأجوبةَ الآتيةَ:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ (القمر)

فاللهُ تعالى خلقَ الكونَ وأودعَ فيه قوانينَ تحكمُهُ وفقَ نظامٍ محدَّدٍ، وهيَ أمورٌ مقدَّرةٌ وُجدَتْ لصالحِ الإنسانِ، وعلى الإنسانِ أن يفهمَها ويتكيَّفَ معَها ويحذرَ من بعضِ نتائجِها (الزّلازلُ، الفيضاناتُ، البراكينُ...).

وفي هذا الإطارِ لا بدَّ من معالجةِ أمرينِ:

إذا نظرْنا إلى النِّظامِ الكونيِّ نظرةً كليَّةً، وجدناهُ متناسقًا متكاملًا، فالزَّلازلُ والبراكينُ هي متنفَّسٌ عن الاحتقانِ الموجودِ داخلَ جوفِ الأرضِ... والفيضاناتُ هي وسيلةٌ لريِّ الأراضي الواسعةِ وتغذيةِ المياهِ الجوفيَّةِ... وهكذا... أمّا إذا نظرْنا إلى التَّفاصيلِ، فإنَّنا نجدُ بعضَ السَّلبياتِ الَّتي قد تُلحقُ الأذى بفئةٍ من النّاسِ، ولكنَّ فوائدَها كبيرةٌ للنِّظامِ العامِّ... وهذا شأنُ كُلِّ القوانينِ الَّتي لا تُرضي رغباتِ جميعِ النّاسِ، إضافةً إلى أنَّ السَّلبياتِ تدخلُ في دائرةِ البلاءِ والاختبارِ، فالدُّنيا مسرحُ اختبارٍ.

إنَّ الإنسانَ بعلمِهِ المحدودِ وأفقِهِ الضَّيِّقِ لا يستطيعُ أن يُحيطَ بمصالحِ كلِّ نظامٍ، فقد يرى فيه بعضَ السَّلبيّاتِ ولكنَّها تحملُ في طيّاتِها إيجابيّاتٍ في جوانبَ أُخرى، فقد نعجبُ من وجودِ حيوانٍ مُضرٍّ لنا، ولكنَّهُ في العمومِ يكونُ مفيدًا لحيواناتٍ ومزروعاتٍ أخرى... فاللهُ تعالى لم يخلقِ الأشياءَ عبثًا، فلكلِّ شيءٍ دورُهُ وفعاليتُهُ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (الدخان)

٦- الإنسانُ وقانونُ الوراثةِ

ثمَّ إنَّ اللهَ تعالى خلقَ الإنسانَ وأخضعَهُ لقوانينِ التَّناسلِ والوراثةِ الَّتي استطاعَ الإنسانُ أن يكتشفَ الكثيرَ منها وطرقَ الوقايةِ من سلبيَّاتِها، والَّتي على ضوءِ الجهلِ بها تنتجُ التَّشوُّهاتُ البشريَّةُ، والَّتي هي من سوءِ تصرُّفِ البشرِ أنفسِهم، تمامًا حينما نحذِّرُ الإنسانَ من تناولِ طعامٍ معيَّنٍ، فلا ينتهي عنه فيصيبُهُ المرضُ.

ثمَّ إن بعضَ المشوَّهين في عضوٍ معيَّنٍ أو حاسَّةٍ معيَّنةٍ، قد يعوِّضُهم اللهُ بحسبِ قوانينِه بقدراتٍ أخرى تميِّزُهم عن الآخرينَ، وتبقى العبرةُ بارتباطِ الحسابِ، بمقدارِ ما أعطى اللهُ تعالى.

٣- وبمقتضى قوانينِ الثَّوابِ والعقابِ الَّتي تُجسِّدُ عدلَ اللهِ تعالى فإنَّه تعالى سيعوِّضُ على كلِّ من لحقَ به أذى عامٌّ بفعلِ القوانينِ الطَّبيعيَّةِ الَّتي لا يدَ للإنسانِ في تلافي سلبيَّاتِها، فمنْ أصابَهُ نقصٌ معيَّنٌ، فإنَّ اللهَ سيعوِّضُه إنْ لم يكنْ في الدُّنيا ففي الآخرةِ، ونحنُ نعرفُ أنَّ الحياةَ الدُّنيا ليسَتِ النِّهايَةَ، بل الحياةُ الآخرةُ هيَ الهدفُ، وفيها السَّعادةُ الحقيقيَّةُ حينَ يأخذُ كلُّ إنسانٍ ما يستحقُّهُ.

إنَّ اللهَ تعالى أشارَ في كتابِهِ المجيدِ إلى بعضِ ما قدْ يُصيبُ الإنسانَ كإطارٍ لاختبارِهِ في مواقعِ البلاءِ:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة)

إنَّ حياةَ النّاسِ غيرُ ممهَّدةٍ ومزروعةٍ بالورودِ، ففيها الأشواكُ الَّتي تُدميهم وهمْ في معتركِ الحياةِ، فمنْ جدَّ واجتهدَ وصبرَ وأطاعَ اللهَ نالَ جزاءَهُ العادلَ في الآخرةِ، وهناك الكثيرُ من الأحاديثِ الَّتي تشيرُ إلى الأجرِ الكبيرِ الَّذي ينالُهُ المُبتلى الصّابرُ، فعن الرَّسولِ ﷺ: **«إذا أحبَّ اللهُ عبدًا ابتلاهُ»**.



أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدِ المقصودَ من العدلِ الإلهيِّ.

٢- عدِّدِ الأدلَّةَ النَّقليَّةَ والعقليَّةَ على العدلِ الإلهيِّ.

٣- اذكر نصوصًا قرآنيَّةً تؤكِّدُ على العدلِ الإلهيِّ.

٤- أعطِ دليلاً على العدلِ من خلالِ تشريعِ الثَّوابِ والعقابِ.

٥- اشرح كيفَ تستدلُّ بالعقلِ على عدلِ اللهِ تعالى؟

٦- بيِّنْ رأيَ كلٍّ من الأشاعرةِ والعدليَّةِ في العدلِ الإلهيِّ.

٧- فسِّرْ ظاهرةَ المشوَّهينَ في الخَلْقِ؟ وظاهرةَ الكوارثِ الطَّبيعيَّةِ؟



من حصاد الدَّرس

١- إنَّ اللهَ تعالى عادلٌ يعني: أنَّ ما يفعلُهُ يكونُ على وجهِ الصَّوابِ والمصلحةِ.

٢- منَ الأدلَّةِ على العدلِ الإلهيِّ:

- النُّصوصُ القُرآنيَّةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ...﴾ (النساء)
- الأمرُ بالعدلِ والنَّهيُ عن الظُّلم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ...﴾ (النحل)
- تشريعُ الثَّوابِ والعقابِ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا ...﴾ (الأنبياء)

٣- العقلُ يتبنّى قاعدةً مفادُها: أنَّ العدلَ حسنٌ، والظُّلمَ قبيحٌ، واللهُ تعالى الكاملُ الصِّفاتِ لا يفعلُ إلا الحسنَ، وإنْ كانَ يملكُ القدرةَ على فعلِ القبيحِ.

- اتَّفقَ المسلمونَ على تأكيدِ صفةِ العدلِ للهِ تعالى، ولكنَّهم اختلفوا حولَ تحديدِ طبيعَةِ هذه الصِّفةِ:
- الأشاعرةُ قالوا: إنَّ كلَّ ما يفعلُهُ اللهُ تعالى يسمّى عدلاً، وبذلك جوّزوا على اللهِ فعلَ القبيحِ.
- العدليَّةُ (الإماميَّةُ والمعتزلةُ) قالوا: إنَّ العدلَ حَسَنٌ بذاتِهِ، واللهُ تعالى لا يأمرُ إلا بالحَسَنِ.

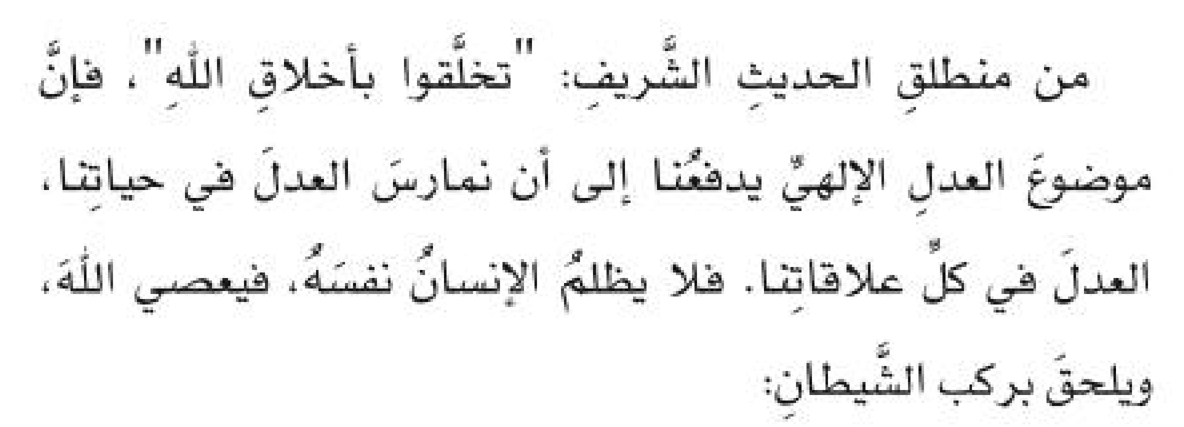
٤- في إطارِ الرَّدِّ على بعضِ الشُّبهاتِ حولَ وجودِ المشوَّهينَ وحصولِ الكوارثِ الطَّبيعيَّةِ الَّتي تحملُ الويلاتِ، نذكرُ:

- أنَّ الكونَ تحكمُهُ قوانينُ وجدَتْ لصالحِ البشريَّةِ، وعلى الإنسانِ أن يفهمَها، ويتكيَّفَ معَها، ويحذرَ نتائجَها.
- إنَّ الإنسانَ بفعلِ علمِهِ المحدودِ قد لا يُدركُ إيجابيّاتِ بعضِ الويلاتِ.
- إنَّ بعضَ التَّشوُّهاتِ البشريَّةِ قد تَنتجُ بفعلِ سوءِ تعاملِ الإنسانِ معَ قوانينِ التَّناسلِ والوراثةِ.
- إنَّ من يصيبُهُ أذى في الدُّنيا بفعلِ قوانينَ محتَّمةٍ، قد يعوِّضُ اللهُ عنهُ ثوابًا يومَ القيامةِ، فالدُّنيا ليسَتْ نهايةَ المطافِ.

٥- إنَّ موضوعَ العدلِ الإلهيِّ يدفعُنا إلى أن نمارسَ العدلَ معَ أنفسِنا وأهلينا ومحيطِنا، ونحاربَ الظُّلمِ في مواقعِ المستكبرينَ والطُّغاةِ.



الدَّرسُ العمليُّ من موضوعِ العدلِ الإلهيِّ:



من منطلقِ الحديثِ الشَّريفِ: "تخلَّقوا بأخلاقِ اللهِ"، فإنَّ موضوعَ العدلِ الإلهيِّ يدفعُنا إلى أن نمارسَ العدلَ في حياتِنا، العدلَ في كلِّ علاقاتِنا. فلا يظلمُ الإنسانُ نفسَهُ، فيعصي اللهَ، ويلحقَ بركب الشَّيطانِ:

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ...﴾ (الطلاق)

ولا يظلمُ الوالدُ ولدَهُ، ولا الأخُ أخاه، ولا الزَّوجُ زوجَهُ ولا ربُّ العملِ عُمّالَهُ، ولا المديرُ معلِّميه، ولا المعلِّمُ تلاميذَهُ، ولا الحاكمُ أمّتَهُ... «إيّاك وظلمَ من لا يجدُ عليكَ ناصرًا إلّا اللهُ».

يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: **«إذا دعتكَ القدرةُ إلى ظلمِ النّاسِ، فاذكرْ قدرةَ اللهِ عليك».**

ولا يظلمُ من لا يتّفقُ معَهُ في الفكرِ والعقيدةِ إذا كانَ مُسالمًا: يقولُ اللهُ تعالى:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة)

ولا يظلمُ حتّى الّذينَ يَكنُّ لهمُ العداوةَ والبغضاءَ، فيكونُ مَعَ الحقِّ والعدلِ ولو كان ضدَّ أهلِهِ وأصدقائِهِ، يقولُ اللهُ تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ...﴾ (المائدة)

وفي الجهةِ المقابلةِ على المسلمِ أن يجاهدَ ضدَّ الظّالمينَ **«أفضلُ الجهادِ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ».**

والإسلامُ ينذرُ الظّالمينَ وأتباعَهم ومن يعذرونَهُمْ بأشدِّ العقابِ في يومِ القيامةِ، منَ الأحاديثِ: عن الإمامِ الصّادقِ عليه السلام:

«اتّقوا الظُّلمَ فإنَّهُ ظلماتٌ في يومِ القيامةِ»، «من عذرَ ظالمًا بظلمِهِ، سلّطَ اللهُ عليه من يظلمُهُ، فإنْ دعا لم يُستجَبْ له، ولم يأجرْهُ اللهُ على ظلامتِهِ».



تبقى في ذاكرتي



يقول الشّاعر:

«تنامُ عيناكَ والمظلومُ منتبهٌ   يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تَنَمِ»

الدّرسُ الرّابعُ

في ظلالِ التّوحيدِ والتّوبةِ
(آياتٌ من سورةِ الزُّمرِ)



﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الزمر

صدق الله العلي العظيم



مِنْ أهدافِ الدّرسِ

- أتعرَّفُ إلى المعنى العامِّ للنَّصِّ القرآنيِّ.
- أُحسِنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى في إطارِ التَّوبةِ والمغفرةِ.
- ألتزمُ طرقَ السَّلامةِ القرآنيَّةِ في الحذرِ من المعاصي ومعالجتِها.
- أستنتجُ بعضَ لوازمِ الاعتقادِ بالتَّوحيدِ، وبالأخصِّ في مقامِ العبادةِ.





أقرأ وأكتشف

سُورَةُ الزُّمَرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾

النَّصُّ القرآنيُّ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى



ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الزّمر)

صدقَ اللّهُ العليُّ العظيمُ



أطرحُ الموضوعَ

يعالجُ هذا النَّصُّ القرآنيُّ مواضيعَ دينيَّةً مترابطةً، منها:

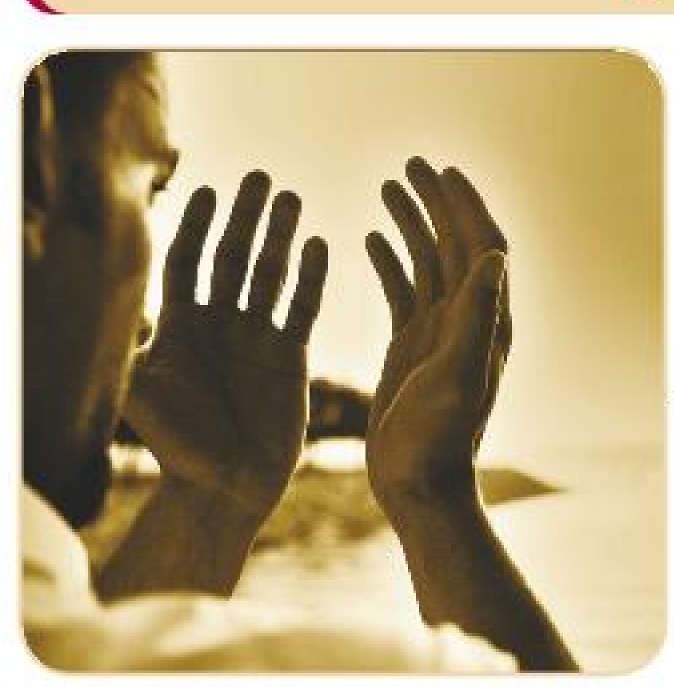
- عقيدةُ التَّوحيدِ وما يتَّصلُ بها من بيانِ عظمةِ الخلقِ.
- السّلوكُ الإيمانيُّ للمسلمِ في مواجهةِ تحدّياتِ الصَّبرِ والصّدقِ والتَّوكّلِ على اللّهِ.
- بعضُ أجواءِ الآخرةِ، وما تثيرُهُ من تفكيرٍ ووعيٍ ومسؤوليَّةٍ.

أقرأُ وأحلّلُ

تعالجُ هذهِ الآياتُ موضوعاتٍ متنوّعةً في التَّوبةِ والتَّوحيدِ والآخرةِ وغيرِها، فتعرضُ، وتُذكّرُ، وتُحذّرُ وتُنذرُ، وتُبشّرُ، وتُوجّهُ.... ليعيشَ المسلمُ مسؤوليَّةَ أعمالِهِ في الدُّنيا، ويخطّطَ بوعيٍ لمصيرِهِ النّهائيِّ في الآخرةِ.

من هذهِ الموضوعاتِ:

١- التَّوبةُ والأملُ برحمةِ اللّهِ تعالى



وردَ في كتبِ التَّفسيرِ: أنَّ أناسًا من أهلِ الشّركِ كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنَوا فأكثَروا، فأتَوا محمَّدًا ﷺ، فقالوا إنَّ الَّذي تقولُ وتدعو إليه لَحَسنٌ... حبَّذا لو تُخبرُنا أنَّ لما عملْنا كفّارةً... فكانَ خطابُ القرآنِ لهم:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ (الزمر)

إنَّه نداءٌ حميمٌ من اللّهِ الغفورِ الرَّحيمِ إلى عبادِهِ الخاطئينَ: يا عبادي الَّذين عاشوا



حالاتِ الضَّعفِ، وأسرفوا في ارتكابِ الذُّنوبِ، لا تيأسوا من روْحِ اللهِ، ولا تسقطوا في فريةِ اليأسِ والقنوطِ، عودوا إلى اللهِ تعالى، وأظهِروا النَّدمَ، وأخلِصوا في التَّوبةِ، والتزموا العملَ الصّالحَ... وبعدَهُ ستجدونَ أبوابَ رحمةِ اللهِ مفتوحةً، تدخلونَ من خلالِها إلى جنَّتِهِ ورضوانِهِ.

٢- الحذرُ من المعاصي

وبعدَ أن يمنحَهُمُ اللهُ الأملَ بالنَّجاةِ، يعودُ ليشرحَ لهم طريقَ السَّلامةِ، ويغرسَ في نفوسِهم الخوفَ منه، وفي الوقتِ ذاتِه يُحذِّرُهم من الانحرافِ عن خطِّهِ:

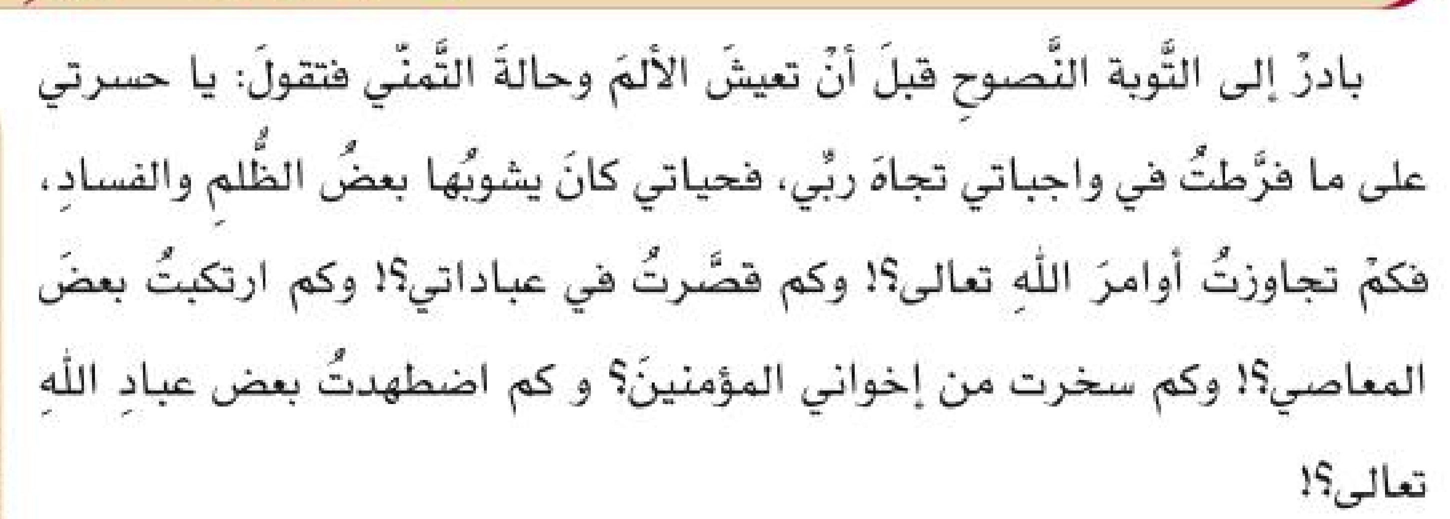
﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝﴾ (الزمر)

فيا أيُّها النّاسُ المذنبونَ... أنتمُ الآنَ لا تزالونَ في دارِ الدُّنيا حيثُ الأبوابُ مفتوحةٌ لتدارُكِ الذَّنبِ، والفرصةُ مؤاتيةٌ لتقويمِ الخطأ... عودوا إلى ربِّكم بنيّاتٍ صادقةٍ، وانقادوا لأوامرِه بعقولٍ واعيةٍ، وأخلِصوا في عبادتِهِ بقلوبٍ طاهرةٍ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝﴾ (الزمر)، فأبوابُ الرَّحمةِ قد تُغلقُ في أيَّةِ لحظةٍ، والأملُ بالنَّجاةِ قد يخبو في أيِّ وقتٍ، فاغتنموا الفرصةَ، واتَّبِعوا تعاليمَ اللهِ في قرآنِه الَّذي يُمثِّلُ خلاصةَ رسالاتِ السَّماءِ، وأفضلَ كتابٍ في الكونِ كلِّه، فهو ربيعٌ للقلوبِ، وشفاءٌ لما في الصُّدورِ.

فيا أيُّها الإنسانُ الغافلُ تذكَّرْ أنَّكَ في دارِ عملٍ بلا حسابٍ، وستصلُ – عاجلاً أو آجلاً – إلى يومِ حسابٍ لا ينفعُ فيه العملُ، يومَ لا تنفعُ فيه الحسرةُ، ولا يجدي فيه النَّدمُ.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ (الزمر)

٣- المبادرةُ إلى التَّوبةِ



بادِرْ إلى التَّوبةِ النَّصوحِ قبلَ أنْ تعيشَ الألمَ وحالةَ التَّمنّي فتقولَ: يا حسرتي على ما فرَّطتُ في واجباتي تجاهَ ربِّي، فحياتي كانَ يشوبُها بعضُ الظُّلمِ والفسادِ، فكمْ تجاوزتُ أوامرَ اللهِ تعالى؟! وكم قصَّرتُ في عباداتي؟! وكم ارتكبتُ بعضَ المعاصي؟! وكم سخرت من إخواني المؤمنينَ؟ و كم اضطهدتُ بعض عبادِ اللهِ تعالى؟!



آهٍ... لو أنَّ اللهَ هداني، وأخذَ بيدي إلى سبيلِ الحقِّ والنَّجاةِ.

بادرْ، فالفرصةُ متاحةٌ، وأنت في أوَّلِ عمرِك وشبابِكَ وكلِّ طاقتِك.

أيُّها الإنسانُ، إنَّ ثمنَ إعراضِك وتمرُّدِكَ وتقصيرِكَ ومعصيتِكَ واستهزائِكَ سيكونُ القلقَ الَّذي تشعرُ بهِ الآنَ.

ولن تنفعَ الحسراتُ والتَّأوُّهاتُ حينَ يرى الإنسانُ الحقيقةَ واضحةً في مصيرٍ مؤلمٍ عند الموتِ، فيطلبُ من اللهِ العودةَ ثانيةً إلى الدُّنيا ليعيشَ الإيمانَ والعبوديَّةَ، فيأتيه الجوابُ من ربِّ العالمينَ:

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ (الزمر)

إنَّكَ أضعْتَ فرصةً ذهبيَّةً، فقد أرسَلْنا لكَ الأنبياءَ، ووضَعْنا بينَ يديكَ الآياتِ، وحذَّرناكَ من سوءِ المصيرِ، فماذا كانَتِ النَّتيجَةُ؟

إنَّكَ أغلقتَ كلَّ أبوابِ المعرفةِ، فاستكبرتَ، وتعاليتَ، واستسلمتَ لأهوائِكَ، والتحقتَ بركبِ الكافرينَ، فانظرْ إلى جزاءِ المستكبرين:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (الزمر)

أمّا الَّذين اتَّقوا وأحسنوا، والتزموا طاعةَ ربِّهم، فجزاؤهم الفوزُ في جنّاتِ النَّعيم:

﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الزمر)

٤- تعظيمُ اللهِ وتوحيدُه

هذا خلق الله

ثمَّ تنتقلُ الآياتُ لتبرزَ لأولئكَ المنحرفينَ عظمةَ اللهِ الَّذي أنكروهُ وعصَوهُ، فخسروا بذلك أنفسَهم وآخرتَهم:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (الزمر)

وقد وردَ في السِّيرةِ أنَّ المشركينَ سألوا النَّبيَّ ﷺ أنْ ينصرفَ عن دعوةِ التَّوحيدِ، ويكفَّ عن التَّعرُّضِ لآلهتِهم، لينالَ منهم ما يحبُّ ويرغبُ من مالٍ وجاهٍ وسلطانٍ، ويأتي الجوابُ على لسانِ نبيِّه ﷺ:

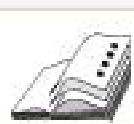
﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (الزمر)

إنَّكُمْ لم تعرفوا اللهَ حقَّ معرفتِهِ، ولم تُقدِّروهُ حقَّ قدرِهِ، فهوَ اللهُ الخالقُ القادرُ، لهُ الأمرُ والحكمُ والملكُ.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزمر)

فإذا كانَتْ هذهِ حقيقةَ اللهِ، وتلكَ عظمتَهُ، فكيفَ تطلبونَ مني – أيُّها الجاهلونَ – أن أعبدَ أشخاصًا أو أصنامًا أو مظاهرَ لا تضرُّ ولا تنفعُ... أليسَ هذا هو منتهى الجهلِ والسُّخفِ والتَّخلُّفِ... فمنْ يشركْ باللهِ تعالى، وينصرفْ عنهُ إلى ملَذّاتِ الدُّنيا وبهارِجها... فسيكونُ من الَّذينَ حبطَتْ أعمالُهم في الدُّنيا، وهم في الآخرةِ من الخاسرينَ... فالخلاصُ الوحيدُ هو الالتزامُ العمليُّ بهذا النِّداءِ القرآنيِّ:

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ (الزمر)



أختبر معارفي وقدراتي

١- اذكرْ عناوينَ الموضوعاتِ الَّتي يعالجُها النَّصُّ القرآنيُّ من سورةِ الزُّمر.

٢- اسردْ قصَّةَ النُّزولِ. واذكر ماذا تستوحي منها؟ وما الَّذي تحذِّرُ منه؟

٣- بيِّنْ طريقَ العلاجِ.

٤- استخلص الفوائدَ المستفادةَ من النَّصِّ.

من حصاد الدرس

تثيرُ هذهِ الآياتُ الكريمةُ أكثرَ من مفهومٍ وعبرةٍ.

١- لا تمنعُ كثرةُ الذُّنوبِ الإنسانَ من التَّوبةِ، والعودةِ إلى طاعةِ اللهِ تعالى، الَّذي يزرعُ الأملَ دائمًا ويغفرُ الذُّنوبَ جميعًا.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر)

٢- يُحذِّرُ اللهُ تعالى المؤمنينَ منَ المعاصي، وتسويفِ التَّوبةِ، فالموتُ قد يأتي فجأةً، وعندَها لا ينفعُ النَّدمُ.

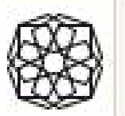
﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (الزمر)

٣- إنّ الإيمانَ باللهِ تعالى، والالتزامَ بأوامرِهِ هما سبيلُ النَّجاةِ، والكفرُ والتَّمرُّدُ على تعاليمِه هما سبيلُ الشَّقاءِ.

﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (الزمر)

٤- يستعدُّ المؤمنُ بالعملِ الصَّالحِ للقاءِ ربِّهِ، حيثُ تُجزى كلُّ نفسٍ ما كسبَتْ وهمْ لا يظلمون.

فإلى الإيمانِ باللهِ تعالى، والتَّقوى والصَّلاحِ في دارِ الدُّنيا، لنحملَ زادًا كافيًا إلى دارِ الآخرةِ:فعن النَّبيِّ ﷺ **«الدُّنيا مزرعةُ الآخرةِ»**.



من ثقافة الروح

أتدري ما الاستغفارُ؟

سمعَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام بعضَ أصحابِهِ يردِّدُ: **«أستغفرُ اللهَ»**.

فقالَ لهُ: ...أتدري ما الاستغفارُ؟

إنَّ الاستغفارَ درجةُ العلّيينَ، وهو اسمٌ واقعٌ على ستَّةِ معانٍ:

أوَّلُها – النَّدمُ على ما مضى.



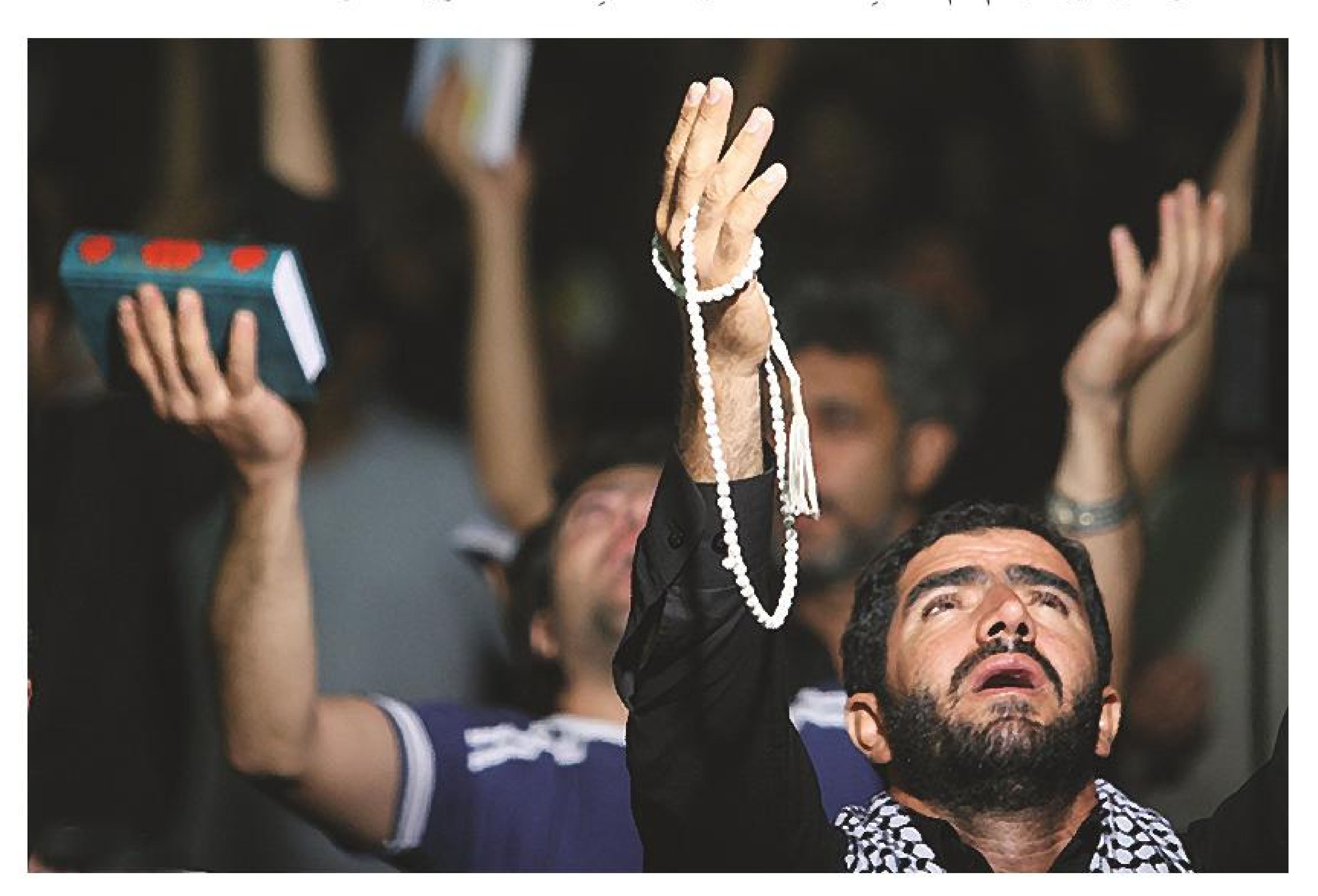
الثّاني – العزمُ على تركِ العودِ إليه أبدًا.

الثّالثُ – أن تؤدِّيَ إلى المخلوقينَ حقوقَهم، حتَّى تلقى اللَّهَ أملسَ ليسَ عليكَ تبعةٌ.

الرّابعُ – أن تعمدَ إلى كلِّ فريضةٍ عليك ضيَّعتَها، فتؤدِّيَ حقَّها.

الخامسُ – أن تعمدَ إلى اللَّحمِ الَّذي نبتَ على السُّحتِ، فتذيبَهُ بالأحزانِ حتَّى يلصقَ الجلدُ بالعظمِ، وينشأَ بينَهما لحمٌ جديدٌ.

السّادسُ – أن تُذيقَ الجسمَ ألمَ الطّاعةِ، كما أذقتَهُ حلاوةَ المعصيةِ. فعندَ ذلكَ تقولُ «أستغفرُ اللَّهَ».





تبقى في ذاكرتي





يقولُ اللَّهُ تعالى:

﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ الزمر



أبحاث المحور الأوَّل ونشاطاته

(١) الإسلامُ والتَّطوُّرُ

١- إنَّ اللهَ تعالى اختصَّ الإنسانَ بقدراتٍ وقابليّاتٍ وبيئاتٍ... تُمَكِّنُهُ من العملِ والتَّطوُّرِ والإبداع.

- من أجلِ توظيفِ هذه القدراتِ والقابليّاتِ والبيئاتِ في حركةِ النُّموِّ والتَّقدُّمِ شجَّعَ الإسلامُ المسلمَ على الالتزامِ بتعاليمَ محدَّدةٍ، ما هي؟

- اشرح ذلك بشواهدَ دينيَّةٍ.

٢- من حيثُ المبدأُ، كانَ الإسلامُ معَ سياسةِ الانفتاحِ على الآخرِ، والتَّفاعلِ معَ منجزاتِه الماديَّةِ والمعنويَّةِ.

- حَدِّدِ الضَّوابطَ الَّتي اعتمدَها في سياستِه وتفاعلِه.

(٢) حُسنُ الظَّنِّ باللهِ تعالى

١- يُشَجِّعُ الإمامُ الرِّضا عليه السلام على الظَّنِّ الحسنِ باللهِ تعالى فيقولُ: «**أحسنِ الظَّنَّ باللهِ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: أنا عندَ حسنِ ظنِّ عبدي المؤمنِ بي، إنْ خيرًا فخيراً، وإنْ شرًّا فشراً**»

- بيِّن هذا المفهومَ؟ أيِّدْ ذلكَ بشواهدَ وأمثلةٍ.

٢- فَقَدَ أحدُ أصدقائِكَ عزيزًا على قلبِه، فتأثَّرَ هذا الأخيرُ كثيرًا، حتى بلغَ به الحزنُ أن امتنعَ عن الطَّعامِ، والاجتماعِ بالناسِ.

أنتَ كمؤمنٍ تُحسنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى، ماذا تقولُ له؟ وبماذا تنصحُهُ؟

(٣) العدلُ الإلهيّ

١- موضوعُ العدلِ الإلهيِّ أمرٌ أكَّدهُ القرآنُ الكريمُ، وقالَ بِهِ العقلُ السَّليمُ بأدلَّةٍ نقليَّةٍ وعقليَّةٍ:

- اذكر امثلةً مختصرةً عن هذهِ الأدلَّةِ.

٢- اختلفَ الأشاعرةُ والمعتزلةُ حولَ مفهومِ العدلِ الإلهيِّ.

- بيِّن رأيَ كلِّ واحدٍ منهما؟

- حدِّد موقفَكَ من هذين الرَّأيينِ.

(٤) في ظلالِ التَّوحيدِ والتَّوبةِ (آيات قرآنية من سورة الزمر)

١- يقولُ اللهُ تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر)

- بيِّنْ ماذا توحي لكَ هذه الآيةُ الكريمةُ.

- واذكرْ نصيحتَك للمذنبِ في الدُّنيا؟

٢- في يومِ الحسابِ، يعيشُ المذنبُ وضعًا مؤلمًا...

- حدِّد ماذا يتذكَّرُ؟ وماذا يقولُ؟ وبماذا يناجي ربَّهُ؟

- اشرحْ كيف يستطيعُ اليومَ أنْ يتجنَّبَ هذا الوضعَ؟ وكيف سيجدُ اللهَ تعالى؟





المحور الثّاني: قُدوة ومسؤوليَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) ﴾ سُورَةُ الأنبياء

صدق الله العلي العظيم

موضوعاتُ المحورِ





في آلِ البيتِ عليهم السلام

لستُ أرجو النّجاةَ من كلِّ ما أخـشاهُ إلّا بأحمدٍ وعليّ

وببنْتِ الرّسولِ فاطمةِ الطُّهــرِ وسبطيهِ والإمامِ عليّ

والتّقيّ النّقيّ باقرِ علمِ اللّهِ فينا محمّدٍ بِـن علـيّ

وابنهِ جعفرٍ وموسى ومولانا عليّ أكرم بهِ من علـيّ

وأبـي جعفرٍ سَمِيّ رسـولِ اللّهِ ثمّ ابنِهِ الزّكـيّ علـيّ

وابنهِ العسكريّ والقائمِ المُظـهرِ حقّي محمّدٍ وعليّ

فبهم أرتجي بلوغَ الأماني يومَ عرضي على الإلهِ العلِيّ

ويـــــقـــــولُ أيـــضـــاً

يا ربّ إني مُهتَدٍ بهداهُمُ لا أهتدي يومَ الهدى بسواهُ

أهوى الّذي يَهوى النّبيّ وآلَهُ أبدًا وأشنأُ كلَّ من يشناهُ

أبو فراس الحمداني





تمهيد
(الدّرسان الأول والثّاني)

الحركةُ السِّياسيَّةُ والعلميَّةُ في حياةِ الإمامينِ: الباقرِ عليه السلام والصّادقِ عليه السلام



﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾ سورة المجادلة

صدق الله العلي العظيم





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى طبيعةِ عصرِ الإمامينِ عليهما السلام في المجالينِ العلميِّ والسِّياسيِّ.
- أكتشفُ أهميَّةَ نشاطاتِ الإمامينِ عليهما السلام في الميدانِ الفكريِّ والعقيديِّ.
- أحدِّدُ أهمَّ برامجِ مدرستِهما الفكريَّةِ والتربويَّةِ.
- أقدِّرُ دورَهما الحكيمَ في حفظِ الدِّينِ ومواجهةِ انحرافِ الحكّامِ.



أقرأ وأحلّل

مستند

«في يومِ الغديرِ، خاطبَ الرَّسولُ صلى الله عليه وآله جموعَ المسلمينَ: ألستُ أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهم؟

قالوا: بلى...

قال صلى الله عليه وآله: فمن كنتُ مولاهُ فهذا عليٌّ مولاهُ...»

بعدَ أقلَّ من ثلاثةِ أشهرٍ توفِّيَ الرَّسولُ صلى الله عليه وآله، ولم يتمَّ الالتزامُ بوصيَّتِهِ، فكانَتِ الخلافةُ الَّتي سرعانَ ما تحوَّلَتْ إلى مُلْكٍ وراثيٍّ يتلاعبُ به صبيانُ بَني أميّةَ، ورجالُ بني العبّاسِ.

إزاءَ هذا الواقعِ، لم يتركْ أئمَّةُ أهلِ البيتِ عليهم السلام ساحةَ المسؤوليَّةِ، فكانَتْ حياتُهم مكرَّسةً لحفظِ الرِّسالةِ وتحصينِها منَ الانحرافِ، فكانوا العيونَ السّاهرةَ الَّتي ترصدُ الواقعَ، وتدرسُ الظَّرفَ، لتوجِّهَ، وتصحِّحَ، وتعارضَ، وتقاومَ... بأساليبَ متنوِّعةٍ تنسجمُ معَ طبيعةِ

الأجواءِ والتَّحوّلاتِ الَّتي تمرُّ بها الأمَّةُ الإسلاميَّةُ.

كان لكلِّ إمامٍ دورٌ يتكاملُ معَ دورِ سلَفِهِ، ويكونُ مقدّمةً لدورِ خَلَفِهِ، فكانوا جميعًا يمثّلونَ روافدَ تصبُّ في نهرٍ واحدٍ، وتتوجَّهُ نحوَ هدفٍ واحدٍ هو حمايةُ الإسلامِ ونشرُهُ وتجسيدُهُ.

انطلاقًا من هذهِ الحقيقةِ وجدنا:

- الإمامَ عليًّا عليه السلام على الرَّغمِ من حرمانِهِ حقَّهُ، ومن أجلِ حفظِ الإسلامِ والمسلمينَ يقولُ: «**لأُسلمنَّ ما سَلِمَتْ أمورُ المسلمينَ**».

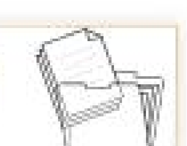
- الإمامَ الحسنَ عليه السلام صالحَ معاويةَ لحقنِ دماءِ المسلمينَ، وحفظِ البقيَّةِ الباقيةِ منهم، قال عليه السلام:

«**إني خشيتُ أن يُجتَثَّ المسلمونَ عن وجهِ الأرضِ فأردتُ أن يكونَ للدِّينِ داعٍ**»

- الإمامَ الحسينَ عليه السلام قاومَ حكمَ يزيدَ بعدَ أن هدَّدَ الخطرُ وجودَ الإسلامِ، قال عليه السلام:

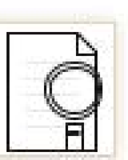
«**ألا وإنَّ هؤلاءِ قد لزموا طاعةَ الشَّيطانِ، وتولّوا عن طاعةِ الرَّحمانِ، وأظهروا الفسادَ، وعطّلوا الحدودَ... وإنّني أحقُّ بهذا الأمرِ**»

- الإمامَ عليًّا بنَ الحسينِ عليه السلام ركَّزَ على التَّربيةِ الرُّوحيَّةِ والخُلُقيَّةِ والجهاديَّةِ من خلالِ الدُّعاءِ والإرشاداتِ لبناءِ النُّخبةِ القياديَّةِ الواعيةِ، فاسحًا المجالَ لآثارِ ثورةِ أبيهِ الحسينِ عليه السلام أن تتفاعلَ وتُحقّقَ أهدافَها في الأُمَّةِ.



أطرحُ الموضوعَ

- هذه عناوينُ حركةِ الأئمَّةِ الأربعةِ:
- من جاءَ بعدَهُم؟
- وما كانَ دورُ الباقرِ عليه السلام؟ وكيفَ تكاملَ مع دَورِ والدِهِ؟ وكيفَ مهّدَ لدورِ ولدِهِ الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام؟
- وما طبيعةُ أجواءِ العصرِ الَّتي مارسا دورَهما فيه؟



أقرأُ وأتعرَّفُ

أجواءُ عصرِ الإمامينِ الباقرِ والصَّادقِ عليهما السلام

ما بينَ (٩٥ – ١٤٨هـ) عاشَ الإمامانِ الباقرُ والصَّادقُ عليهما السلام في عصرٍ امتازَ بالعناوينِ الآتيةِ:

أ- الانحرافُ السِّياسيُّ المتجسِّدُ بظلمِ الحُكّامِ واستبدادِهم.

ب- الانفتاحُ الواسعُ على حضاراتِ الأُممِ من خلالِ حركةِ الفتوحاتِ والتَّرجمةِ.

ج- مؤشراتُ انحرافاتٍ فكريَّةٍ وفقهيَّةٍ من خلالِ:

- نشأةِ مدارسِ علمِ الكلامِ والفقهِ والفلسفةِ.
- انتشارِ مذاهبِ الإلحادِ والزَّندقةِ.

د- تفاقمُ حدَّةِ الفسادِ الخُلُقيِّ من خلالِ أجواءِ اللّهوِ الَّتي شجَّعَها الحكّامُ وحواشيهم.

وخوفًا من أن تمتدَّ هذه الانحرافاتُ وتتشعَّبَ، رأى الإمامانِ عليهما السلام أنَّ المصلحةَ الإسلاميَّةَ تفرضُ التَّركيزَ على الأمورِ الآتيةِ:

أ- مراقبةُ الوضعِ السِّياسيِّ العامِّ، لتحديدِ طبيعةِ التَّدخُّلِ الحكيمِ الملائم.

ب- التَّصدِّي بموضوعيَّةٍ للتَّيَّاراتِ الفكريَّةِ المنحرفةِ لحفظِ الشَّريعةِ وتحصينِ العقيدةِ، وبناءِ الشَّخصيَّةِ الإسلاميَّةِ الواعيةِ.

ج- معالجةُ الانحرافِ الأخلاقيِّ بالتَّوجيهِ والإرشادِ، وأساليبِ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ.

ومن الطَّبيعيِّ أنَّ مرحلةَ كُلِّ إمامٍ كانَتْ تمتازُ بخصائصَ تفرضُ مواقفَ محدَّدةً، سنحاولُ أن نبرزَها من خلالِ الحديثِ عن نشاطِ كلِّ واحدٍ منهما.



الدَّرسُ الأوَّلُ

الإمامُ الخامسُ: محمَّدٌ الباقرُ عليه السلام



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى سياسةِ الإمامِ عليه السلام معَ حكَّامِ عصرِه.
- أتعرَّفُ إلى مكانةِ الإمامِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِه.
- أقدِّرُ نشاطاتِ الإمامِ عليه السلام في الميدانينِ الفكريِّ والعقيديِّ.

الهويَّةُ

الاسمُ: محمَّدٌ الباقرُ عليه السلام

الأبُ: الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام

الأمُّ: فاطمةُ بنتُ الحسنِ عليه السلام

الكُنيةُ: أبو جعفرٍ

الولادةُ: ٣ صفر سنة ٥٧ هـ في المدينةِ المنوَّرةِ.

الشهادةُ: ٧ ذي الحجة سنة ١١٤هـ.

قبرُهُ: في البقيعِ في المدينةِ المنوَّرةِ.

أقرأ وأتعرَّف

١- الإمامُ الباقرُ عليه السلام وحُكَّامُ عصرِه

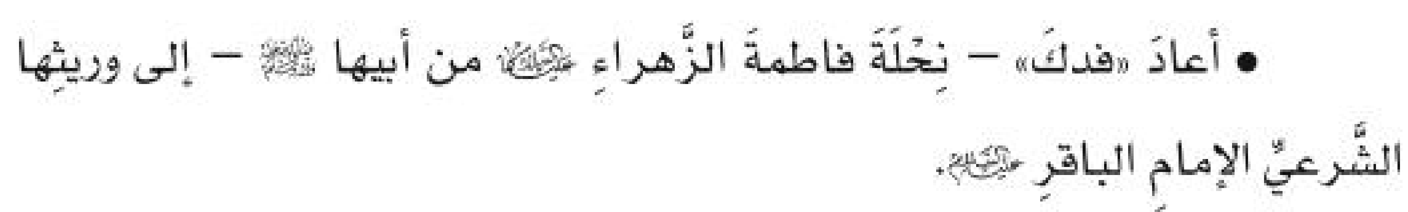
شهدَ عصرُه هدوءًا سياسيًّا نسبيًّا، سمحَ لهُ بأنْ يُمارسَ دورًا علميًّا وتربويًّا فاعلاً، فقد عاشَ عهودَ حُكَّامٍ أمويِّينَ شغلتْهُم اهتماماتُهم الخاصَّةُ عن متابعةِ نشاطاتِ الإمامِ عليه السلام. من هؤلاءِ الخلفاءِ:

١- «سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ» الَّذي انشغلَ بأمرينِ هُما:

- تصفيةُ أسرةِ «الحجّاجِ بن يوسفَ الثَّقفيِّ» الَّتي كانت تُمسكُ بالسُّلطةِ وتتمتَّعُ بالنُّفوذِ في عهدِ أخيهِ الوليدِ.
- انصرافُهُ إلى حياةِ التَّرفِ واللَّهوِ والمجونِ، حتَّى قِيلَ عنهُ بأنَّهُ أفسدُ ممَّنْ سبقَهُ من خلفاءِ بني أميَّةَ.

٢ – «عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ» الَّذي اتَّصفَ بالاعتدالِ، حيثُ اتَّسمَتْ مواقفُهُ من أهلِ البيتِ عليهم السلام بالإنصافِ، فهوَ الَّذي:

- رفعَ السَّبَّ عن الإمامِ عليٍّ عليه السلام، بعدَ أن كانَ معاويةُ قد جعلَهُ سُنَّةً في نهايةِ كلِّ خطبةٍ.





• أعادَ «فدكَ» – نِحْلَةَ فاطمةَ الزَّهراءِ عليها السلام من أبيها صلى الله عليه وآله – إلى وريثِها الشَّرعيِّ الإمامِ الباقرِ عليه السلام.

• شجَّعَ الحركةَ الفقهيَّةَ المتوازنَةَ في كُلِّ أقطارِ العالمِ الإسلاميِّ.

٣- «يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ» الَّذي كانَ على نقيضِ سَلَفِهِ، فانصرفَ إلى حياةِ المجونِ الَّتي شغلتهُ عن أيِّ أمرٍ آخرَ.

٤- «هشامُ بنُ عبدِ الملكِ» الَّذي امتازَ عصرُهُ بالضَّغطِ والإرهابِ، فقد:

• قتلَ «زيدًا بنَ عليِّ بنِ الحسينِ عليه السلام» – عمَّ الإمامِ الباقرِ عليه السلام...

• لاحقَ تلامذةَ الإمامِ عليه السلام بالأذى والاضطهادِ.

• استدعى الإمامَ إلى الشّامِ، فحبَسَهُ فترةً، ثمَّ أطلقَهُ.

٢- سياسةُ الإمامِ عليه السلام معَ الحكّامِ

علاقةُ الإمامِ عليه السلام معَ بعضِ الحُكّامِ كانَتْ إيجابيّةً، ملتزمًا بذلكَ سياسةَ جدِّهِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، فكانَ يرصدُ الواقعَ، وينصحُ، وينبِّهُ إلى الانحرافِ، ويؤيِّدُ كُلَّ تصرُّفٍ يرفعُ من كرامةِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ.

هذا الانفتاحُ على الحُكْمِ ظهرَ جليًّا في عهدِ «عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ» بفعلِ الاحترامِ الَّذي كان يكنُّهُ هذا الخليفةُ للإمامِ عليه السلام، فكانَ يتبادلُ معَهُ الرَّسائلَ، الَّتي كانَ يَضمِّنُها توجيهاتِهِ السِّياسيَّةَ والرُّوحيَّةَ، والَّتي كانَ يتقبَّلُها، برحابةِ صدرٍ، يقولُ في بعضِ رسائِلِهِ:

«اتَّقِ اللهَ عزَّ وجلَّ – يا عمرُ – وافتحِ الأبوابَ، وسهِّلِ الحجّابَ، وانصرِ المظلومَ، ورُدَّ المظالمَ.

ثلاثٌ من كُنَّ فيه استكملَ الإيمانَ باللهِ:

- مَنْ إذا رضيَ، لمْ يُدخلْهُ رضاهُ في الباطلِ.

- وإذا غضبَ، لم يُخرجْهُ غضبُهُ من الحقِّ.

- ومن إذا قدرَ، لم يتناولْ ما ليسَ لهُ».

٣- مكانةُ الإمامِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِهِ

احتلَّ الإمامُ الباقرُ عليه السلام مكانةً عاليةً في نفوسِ العلماءِ وجمهورِ المسلمينَ، وقد عبَّروا عن ذلكَ بكلماتِ الثَّناءِ والإعجابِ:

- قيلَ لعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: إنَّ عليًّا بنَ الحسينِ عليه السلام قد رحلَ إلى جوارِ ربِّهِ.

قالَ:: لقد رحلَ سراجُ الدِّينِ، وجمالُ الإسلامِ، وزينُ العابدينَ...

فقيلَ له: لقد تركَ ولدَهُ أبا جعفرٍ ومنه بقيَّةٌ.

قالَ: إنَّ أهلَ هذا البيتِ لا يُخلِّيهم اللهُ من فضلٍ.

- وقالَ ابنُ سعدٍ في كتابِهِ الطَّبقاتِ: إنَّهُ كان عالمًا عابدًا ثقةً عند جميعِ المسلمينَ.

- وقالَ عنهُ محي الدِّينِ النَّوويُّ (توفي سنة ٦٧٦هـ): سُمِّيَ بالباقرِ لأنَّهُ بقرَ العلمَ، أي شقَّهُ، فعرفَ أصلَهُ وخفاياه (إشارةً إلى

حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ).

- وقالَ عنهُ أحدُ العلماءِ «عبدُ اللهِ بنُ عطاءٍ المكيُّ» ما رأيتُ العلماءَ عندَ أحدٍ أصغرَ منهم عندَ أبي جعفرٍ، فلقدْ رأيتُ (الحكمَ بنَ عيينه) عندَهُ كأنَّهُ عصفورٌ مغلوبٌ».

٤- نشاطاتُ الإمامِ عليه السلام في الميدانِ الفكريِّ والعقيديِّ

في عصرِهِ بدأَ الانحرافُ الفكريُّ يتسلَّلُ إلى العقيدةِ والمفاهيمِ من خلالِ حركَتي تدوينِ الحديثِ والتَّرجمةِ فـ:

- الفتوحاتُ أنتجَتْ تواصلًا معَ شعوبٍ لها عقائدُ وفلسفاتٌ وعاداتٌ قد تكونُ غريبَةً في بعضِها.

- المنافقونَ ووُعّاظُ السَّلاطينِ انكبّوا على وضعِ أحاديثَ كاذبةٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ، لتبريرِ انحرافِ رجالِ السُّلطةِ.

إزاءَ هذا الواقعِ شعَرَ الإمامُ عليه السلام بالخطورةِ تهدِّدُ البنيةَ العقيديَّةَ لكيانِ الدِّينِ، فجرَّدَ حملتَهُ على كُلِّ مظاهرِ التَّحريفِ والدَّسِّ والتَّشويهِ، فكانَ يلتقي بالعلماءِ، ويحاورُ أصحابَ الدِّياناتِ، ويناظرُ الملحدينَ والزَّنادقةِ... مُتّخذًا من المسجدِ مدرسةً للتَّعليمِ والتَّوجيهِ والتَّربيةِ والحوارِ، ومعالجًا مختلفَ فنونِ المعرفةِ من عقيدةٍ، وحديثٍ، وتفسيرٍ، وسيرةٍ، وعلمِ كلامٍ، وفلسفةٍ ولغةٍ...

من نماذجِ لقاءاتِهِ معَ رجالِ الفكرِ.

- أنَّ «عمرًا بنَ عبيدٍ» – وكانَ من أئمَّةِ المعتزلةِ – وَفدَ إليه، فقالَ لهُ: جُعلتُ فداكَ... ما معنى قولِهِ تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ... ﴾ (الأنبياء)

ما هذا الرَّتقُ؟ وما هذا الفتقُ؟

أجابَهُ أبو جعفرٍ: كانَتِ السَّماءُ رتقًا لا تنزلُ القطرَ، وكانَتِ الأرضُ رتقًا لا تُخرجُ النَّباتَ، ففتقَ اللهُ السَّماءَ بالقَطْرِ، وفتقَ الأرضَ بالنَّباتِ.

فانقطعَ عمرو، ولم يعترضْ بشيءٍ.

- عن «محمّدِ بنِ مسلمٍ» أنَّهُ قالَ: سألتُ أبا جعفرٍ عن قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: «يا إبليسُ ما منَعك أن تسجدَ لما خلقْتُ بيدي».

فقالَ: اليدُ في كلامِ العربِ: القوّةُ والنّعمة...

قالَ سبحانَه: والسَّماءَ بنيناها بأيدٍ أيْ بقوَّةٍ.

وقالَ تعالى: «وأيَّدهُمْ" بروحٍ منه»، أي قوّاهم.

٥- من أقوالِهِ المأثورةِ

١- جاءَ في وصيَّةٍ لأحدِ أصحابِهِ: «أوصيكَ بخمسٍ: إن ظُلمتَ فلا تظلمْ، وإن خانوكَ فلا تخُنْ، وإن كُذبّتَ فلا تغضبْ، وإن

مُدحتَ فلا تفرحْ، وإن ذُممْتَ فلا تجزعْ».

٢- وكانَ ممّا أوصى به ولدَهُ الإمامَ جعفرًا الصّادقَ عليه السلام:

«إنَّ اللهَ خبَّأ ثلاثةَ أشياءٍ في ثلاثةِ أشياءٍ:

خبَّأَ رضاهُ في طاعتِهِ، فلا تُحقِرنَّ من الطّاعةِ شيئًا، فلعلَّ رضاهُ فيه.

وخبَّأ سخطَهُ في معصيتِهِ، فلا تحقرَنَّ من المعصيةِ شيئًا، فلعلَّ سخطَهُ فيها.

وخبَّأَ أولياءَهُ في خلقِهِ، فلا تُحقرَنَّ أحدًا، فلعلَّهُ ذلكَ الوليُّ».

أختبر معارفي وقدراتي

١- عدِّدْ ميزاتِ عصرِ الإمامينِ الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام.

٢- اشرحْ سياسةَ الإمامِ الباقرِ عليه السلام معَ حُكّامِ عصرِهِ.

٣- بيِّنْ مكانَةَ الإمامِ الباقرِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِهِ.

٤- اذكرْ نموذجًا من نشاطاتِهِ الفكريَّةِ والدِّينيَّةِ.

من حصاد الدَّرس

١- امتازَ عصرُ الإمامينِ الباقرِ والصّادقِ عليهما السلام بـ:

أ- الانحرافِ السِّياسيِّ المتجسِّدِ بظلمِ الحُكّامِ.

ب- الانفتاحِ على حضاراتِ الأممِ.

ج- مؤشِّراتِ انحرافاتٍ فكريَّةٍ وفقهيَّةٍ.

د- تفاقمِ حدَّةِ الفسادِ.

٢- رأى الإمامُ الباقرُ عليه السلام أنَّ المصلحةَ الإسلاميَّةَ تفرضُ التَّصدِّيَ للتَّيَّاراتِ الفكريَّةِ المنحرفةِ.

٣- عاصرَ الإمامُ عليه السلام عددًا منَ الخلفاءِ الأمويِّينَ هم: سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ، عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ، هشامُ بنُ عبدِ الملكِ.

كانَتْ علاقتُهُ معَ «عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ» إيجابيَّةً، لأنَّهُ رفعَ عادةَ السَّبِّ عنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، وأعادَ إليهِ «فدكَ» نِحْلَةَ السَّيِّدَةِ فاطمَةَ عليها السلام من أبيها صلى الله عليه وآله.

٤- في النَّشاطِ العلميِّ: احتلَّ الإمامُ عليه السلام مكانةً عاليةً في نفوسِ العلماءِ وجمهورِ المسلمينَ، فكانَ يلتقي بهم ليعلِّمَهم، ويُوجِّهَهُم، ويحاورَ المنحرفينَ منهم، حتّى أصبحَ مسجدُهُ محطَّ رِحالِ رجالِ الفكرِ والفقهِ.

الإمامُ الباقرُ عليه السلام مع ابنِ المنكدرِ

يُذكرُ أنَّ المُتصوِّفَ «محمّدًا بنَ المنكدرِ» كانَ يقولُ: ما كنتُ أرى أنَّ مثلَ عليٍّ بنِ الحسينِ يدعُ خلفًا أفضلَ حتّى رأيتُ ابنَه محمّدًا بنَ عليٍّ، فأردتُ أن أعظَهُ فوعظني. ففي ذاتِ يومٍ خرجتُ إلى بعضِ نواحي المدينةِ في يومٍ حارٍّ، فلقيتُ "محمّدًا بنَ عليٍّ" وكان بدينًا، وهو مُتّكئٌ على غلامينِ له. فقلتُ في نفسي: شيخٌ من شيوخِ قريشٍ، في هذهِ السَّاعةِ، على هذهِ الحالِ في طَلبِ الدُّنيا، واللهِ لأعظنَّه.



فدنوتُ منه، فسلَّمتُ عليه، فسلَّمَ عليَّ وقد تصبَّبَ عرقًا. فقلْتُ: أصلحكَ اللهُ، شيخٌ من شيوخِ قريشٍ، في هذهِ السَّاعةِ، على هذهِ الحالِ في طلبِ الدُّنيا، لو جاءَ الموتُ وأنتَ على هذهِ الحالِ.

فخلَّى عن الغلامينِ من يدِه، ثمَّ تساندَ، وقالَ: ... لو جاءَني واللهِ الموتُ وأنا في هذهِ الحالِ، جاءني وأنا في طاعةٍ من طاعاتِ اللهِ، أكفُّ بها نفسي عنكَ، وعن النّاسِ، وإنَّما كنتُ أخافُ الموتَ لو جاءَني وأنا على معصيةٍ من معاصي اللهِ.

فقلتُ يرحمُكَ اللهُ، أردتُ أن أعظَكَ فوعَظْتني.

تبقى في ذاكرتي

يقولُ الإمامُ الباقرُ عليه السلام:

«ثلاثُ خِصالٍ لا يموتُ صاحِبُهنَّ أبدًا حتَّى يرى وبالَهُنَّ: البغيُ، وقطيعةُ الرَّحمِ، واليمينُ الكاذبةُ يبارزُ اللّهَ بها»

الدَّرسُ الثّاني

الإمامُ السّادسُ: جعفرُ الصّادقُ عليه السلام

الهويَّة

الاسمُ: جعفرٌ الصّادقُ عليه السلام

الأبُ: الإمامُ محمَّدٌ الباقرُ عليه السلام

الأمُّ: أمُ فروةَ بنتُ القاسم

الكنيةُ: أبو عبدِ الله

الولادةُ: ١٧ ربيع الأوَّل سنة ٨٣ هـ– المدينة المنوَرَة.

الشهادة: ٢٥ شوال سنة ١٤٨ هـ المدينة المنوَّرة.

القبرُ: البقيعُ – المدينة المنوَرَة.

مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى سياسةِ الإمامِ عليه السلام معَ حكّامِ عصرِه.
- أتعرَّفُ إلى مكانةِ الإمامِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِه.
- أقدِّرُ نشاطاتِ الإمامِ عليه السلام في الميدانينِ الفكريِّ والعقيديِّ.

أقرأ وأتعرَّف

١ - النَّشاطُ السِّياسيُّ في عصرِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام

مرَّتْ إمامةُ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام (١١٤ – ١٤٨هـ). بظرفينِ سياسيَّينِ مختلفين:

- في الظَّرفِ الأوَّلِ استطاعَ الإمامُ أن يُمارِسَ دورَهُ بحُرِّيَّةٍ، بعيدًا عن أجواءِ الرَّقابةِ والإرهابِ، ولعلَّ من أسبابِ ذلكَ:

١- أنَّ الفترةَ (١١٤ – ١٣٢هـ) امتازَتْ بالصِّراعِ الشَّديدِ بينَ الحُكْمِ الأُمويِّ والمعارضةِ العباسيَّةِ، هذا الصِّراعُ الَّذي لم يشاركِ الإمامُ فيهِ، لأنَّ زعماءَ المعارضةِ كانوا لا يختلفونَ عن الأمويِّينَ في توجُّهاتِهم، إذ لم يكنِ الإسلامُ همَّهم وهدفَهُم، بقدرِ ما كانَ همُّهُم الوصولَ إلى الحكمِ بأيَّةِ وسيلةٍ.

٢- والفترةُ (١٣٢ – ١٣٥هـ) امتازَتْ بانشغالِ العباسِيِّينَ بأمورٍ منها:

أ- تصفيةُ الأمويِّينَ من قِبَلِ الحُكمِ الجديدِ.

ب- معالجةُ النِّزاعاتِ في داخلِ البيتِ العباسيِّ الواحدِ (حربُ المنصورِ معَ عمِّهِ داودَ بنِ عليٍّ).

ج- تصفيةُ الحساباتِ ما بينَ العباسيِّينَ والحَسنيِّينَ (بزعامةِ عبدالله المحض).

- وفي الظّرفِ الثّاني وبعدَ استقرارِ الحُكْمِ العباسيِّ، تفرّغَ الخليفةُ "أبو جعفرٍ المنصورُ" لمتابعةِ نشاطِ الإمامِ وملاحقةِ أنصارِه، فضيّقَ عليهِ، وهدَّدَهُ، واستدعاهُ أكثرَ من مرَّةٍ إلى بغدادَ، حتى اضطرَّ الإمامُ إلى نصحِ أتباعِهِ بالسِّريَّةِ والتَّقيَّةِ.

٢- مكانةُ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِه

خَلَفَ الإمامُ الصّادقُ عليه السلام والدَهُ في مكانتِهِ السّاميةِ في نفوسِ العلماءِ والسّاسةِ وجمهورِ المسلمينَ، فلقد تتلمذَ عليهِ كبارُ الفُقهاءِ والمفكّرينَ ورجالُ الفلسفةِ والعلومِ المختلفةِ.

- يقولُ أبو حنيفةَ النُّعمانُ إمامُ المذهبِ الحنَفيِّ عندَ أهلِ السُّنَّةِ: «ما رأيتُ أفقهَ من جعفرِ بنِ محمَّدٍ»

وكانَ قد درسَ في مدرستِهِ فترةَ سنتينِ متواصلتينِ، وقالَ عنهما: «لولا السَّنتانِ لهلكَ النُّعمانُ».

- يقولُ «مالكٌ بنُ أنسٍ» إمامُ المذهبِ المالكيِّ عندَ أهلِ السُّنَّةِ: "لقدْ كنتُ آتي جعفرًا بنَ محمَّدٍ، فكانَ كثيرَ التَّبسُّمِ، فإذا ذُكرَ عندَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله تغيَّرَ لونُهُ... وقد اختلفتُ إليه زمانًا، فما كنتُ أراهُ إلّا على إحدى ثلاثِ خصالٍ: إمّا مصلِّيًا، وإمّا صائمًا، وإمّا يقرأُ القُرآنَ...

ويقولُ عنه أيضًا: ما رأت عينٌ، ولا سمعَتْ أُذُنٌ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ أفضلُ من جعفرٍ بنِ محمَّدٍ الصّادقِ علمًا وعبادةً وورعًا.

- يقولُ الشَّهرستانيُّ في كتابِهِ المِللُ والنِّحَلُ: كانَ أبو عبدِ اللهِ الصّادقُ ذا علمٍ غزيرٍ في الدِّينِ، وأدبٍ كاملٍ في الحكمةِ، وزُهدٍ في الدُّنيا، وورعٍ تامٍّ عن الشَّهواتِ.

٣- مدرسةُ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام

هذهِ المكانةُ الرَّفيعةُ جعلتْ منهُ محطَّ أنظارِ كلِّ مَن يرغبُ في طلبِ العلمِ، وبالأخصِّ في الظَّرفِ السِّياسيِّ الأوَّلِ، حيثُ أخذَ حرِّيَّتَهُ في الحركةِ، فأنشأَ بذلكَ مدرسةً فكريَّةً متنقِّلةً، كانَتْ تلاحقُهُ أينما حلَّ أو رحلَ، عبَّرَ عن واقِعِها أحدُهم «محمَّدُ بنُ معروفٍ الهِلاميُّ»: «مضيتُ إلى الحيرةِ، إلى جعفرٍ بنِ محمَّدٍ، فوجدْتُهُ قد تداكَّ النّاسُ عليه ثلاثةَ أيّامٍ متوالياتٍ، فما كانَ لي حيلةٌ، ولا قدرتُ عليهِ من كثرةِ النّاسِ، وتكاثُفِهم عليهِ».

وكانَ من اهتماماتِ هذهِ المدرسةِ:

أ- بناءُ القياداتِ الواعيةِ:

اهتمَّ الإمامُ بتربيةِ دُعاةٍ رساليِّينَ مخلصينَ يحملونَ الإسلامَ في عقولِهم، ويُجسِّدونَهُ في مواقِفهم، وينشرونَ مبادئَه في مجتمعاتِهم، وفي إطارِ هذهِ التَّربيَةِ ركَّزَ على الصِّفاتِ الآتيةِ:

١- **العلمُ:** وهوَ أوَّلُ زادٍ يصونونَ به نفوسَهم، ويواجهونَ به خصومَهم، وحتّى يتزوَّدوا به فتحَ لهم أبوابَ مدرستِه، وحَثَّهم على البحثِ والحوارِ، والتَّحلّي بأخلاقِ العلماءِ، فكانَ يقولُ لهم:

«اطلبوا العلمَ، وتزيَّنوا معَهُ بالوَقارِ، وتواضعوا لمن تتعلَّمونَ منه، وتُعلِّمونَهُ، ولا تكونوا علماءَ جبّارينَ، فيذهبُ باطلُكم بحقِّكم».

٢- **التَّقوى:** وهيَ الملكةُ الَّتي تَعصِمُهم عن فعلِ الحرامِ، فيُقبِلُون بعفويَّةٍ على طاعةِ اللهِ، ويَرفضونَ بشدَّةٍ معصيةَ اللهِ، وفي

وصيَّةٍ لهُ إلى بعضِ أصحابِهِ يقولُ:

«عليكُمْ بالورعِ والاجتهادِ، وصِدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ، والتَّمسُّكِ بما أنتم عليه».

٣- **القدوةُ**: وهيَ تجسيدُ الإسلامِ بأفعالِهم بعدَ أقوالِهم، ليكونوا القدوةَ النَّموذجيَّةَ لكلِّ الناسِ. بهذا خاطبَ تلامذتَهُ:

«خالِقوا النّاسَ بأخلاقِهِم، صَلُّوا في مساجدِهِم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزَهم... فإنكم إذا فعلتمْ ذلكَ قالوا: هؤلاءِ الجعفريَّةُ، رحمَ اللهُ جعفرًا، ما كانَ أحسنَ ما يؤدِّبُ أصحابَهُ».

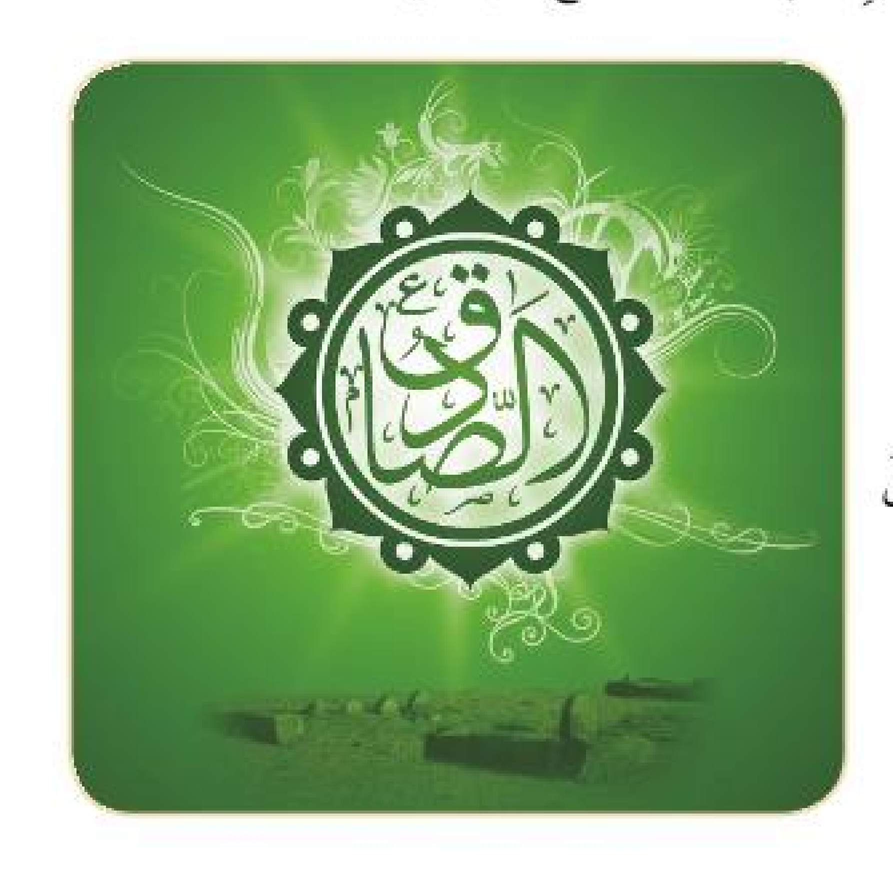
وبالفعلِ فقدْ نجحَ الإمامُ عليه السلام في بناءِ هذهِ القياداتِ الواعيةِ الَّتي توزَّعَتْ في حواضرِ العالمِ الإسلاميِّ لتُعلِّمَ وتوجِّهَ وتُرشِدَ، وبالأخصِّ في الفتراتِ الَّتي ضيّقَ الحاكمونَ فيها على نشاطاتِ الإمامِ عليه السلام .

ب- مواجهةُ التَّيّاراتِ الفكريَّةِ المنحرفةِ:

نشطَتْ في عصرِهِ حركةُ الزَّندقةِ الَّتي كانَ يتزعَّمُها رجالٌ أذكياءُ أمثالُ: ابنِ المقفَّعِ، وابنِ أبي العوجاءِ، والديصانيِّ... فكانَ الإمامُ الصّادقُ عليه السلام يجتمعُ بهم ليحاورَهُم بالأسلوبِ القرآنيِّ الَّذي يعتمدُ الهدوءَ في الطَّرحِ، والرَّصانةَ في العرضِ، والمنطقَ في التَّحليلِ... بشكلٍ يُبدِّدُ الشَّكَّ، ويُؤكِّدُ اليقينَ.

وقدْ وجدَ هؤلاءِ في الإمامِ عليه السلام خَصمًا شريفًا، فكانوا يحاولونَ إثارتَهُ وتحدِّيَهُ في عقيدتِهِ ومُقدَّساتِهِ، ولكنَّهُ كانَ يقابلُهم بالحُجَّةِ الَّتي تُثيرُ الثِّقةَ والاحترامَ.

١- **معَ ابنِ المُقفَّعِ**: يُروى أنَّ ابنَ المقفَّعِ كانَ معَ ابنِ أبي العوجاءِ في المسجدِ الحرامِ، والنّاسُ يطوفونَ حولَ الكعبةِ، فقالَ لهُ: «هذا الخلقُ – وأومَأ بي إلى موضعِ الطَّوافِ – ما من أحدٍ أوجبُ له اسمَ الإنسانيةِ، إلا ذلكَ الشَّيخُ الجالسُ».



ويسألُهُ ابنُ أبي العوجاءِ بدهشةٍ: وكيفَ أوجبتَ له هذا الاسمَ؟

أجابَهُ ابنُ المُقفَّعِ: رأيتُ عندَهُ ما لم أرَهُ عندَهم.

وكانَ الرَّدُّ: لا بدَّ من اختبارِ ما قلتَ فيه منه.

فقالَ لهُ: لا تفعلْ فإنّي أخافُ أن يُفسدَ عليكَ ما بيدِكَ.

ويذهبُ "ابنَ أبي العوجاءِ" ليحاورَ الإمامَ، ليعودَ بعدَها إلى «ابنِ المُقَفَّعِ» فيقولَ له: «ويلَك ما هذا ببشرٍ!!...».

٢- **معَ ابنِ مهرانَ والدّيصانيِّ**:

- قالَ «سليمانُ بنُ مهرانَ» سألتُ الإمامَ الصّادقَ عليه السلام عن معنى قولِهِ تعالى:

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾

فقالَ عليه السلام : اليمينُ هي اليدُ، واليدُ هي القدرةُ والقوَّةُ، أي مطويّاتٌ بقدرتِهِ وقوَّتِهِ.

- **وسألَهُ أحدُ الزّنادقةِ «أبو شاكرٍ الدّيصانيّ»: ما الدَّليلُ على أنَّ لكَ صانعًا؟**

فأجابَهُ عليه السلام : وجدتُ نفسي لا تخلو من إحدى جهتينِ:

إمّا أن أكونَ صنعتُها أنا؟

أو صنعَها غيري؟

فإنْ كنتُ صنعتُها، فلا أخلو من أحدِ معنيين:

- إمَا أنْ أكونَ صنعتُها وكانَتْ موجودةً أو صنعتُها وكانتْ معدومةً فإن كنت صنعتُها وكانتْ موجودةً فقد استغنتْ بوجودها عن صنعتها.

- وإنْ كانَتْ معدومةً، وإنَّكَ لتَعلمُ أنَّ المعدومَ لا يحدثُ شيئًا.

فقد ثبتَ المعنى الثَّالثُ أنَّ لي صانعًا وهو اللهُ ربُّ العالمينَ...» هنا سكتَ الدِّيصانيُّ، ولم يدرِ ما يجيبُ.

ج- تنقيةُ الحديثِ وتشجيعُ طلبِ العلمِ العامِّ:

بالإضافةِ إلى معالجةِ الانحرافِ الفكريِّ ركَّزَ الإمامُ عليه السلام على أمرينِ هُما:

١- تنقيةُ الأحاديثِ الشَّريفةِ:

بعدَ أن كَثُرَ الوضَّاعونَ الَّذين نشروا أحاديثَ كاذبةً عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله من أجلِ تشويهِ العقيدةِ، وتحريفِ الشَّريعةِ، اهتمَّ الإمامُ عليه السلام بتهذيبِ الحديثِ، فحذَّرَ من خطرِهم، وأرشدَ المسلمينَ إلى اعتمادِ مقياسٍ دقيقٍ لقبولِ أيِّ حديثٍ يُعرَضُ عليهم، فقالَ:

«لا تَقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافقَ القرآنَ والسُّنَّةَ».

وقالَ: «كُلُّ حديثٍ لا يوافقُ كتابَ اللهِ فهو زُخْرُفٌ».

٢- تشجيعُ طلبِ العلومِ العامَّةِ:

شجَّعَ الإمامُ المسلمينَ على ارتيادِ مختلفِ أبوابِ المعرفةِ كالفلسفةِ وعلمِ الكلامِ والطِّبِّ والرِّياضيّاتِ والفَلَكِ والكيمياءِ... والتَّخصُّصِ بها.

فكانَ من تلاميذِه: المفضلُ بنُ عمرو وهشامُ بنُ الحكمِ في الفلسفةِ وعلمِ الكلامِ.

وجابرُ بنُ حيّانٍ في الرِّياضيَّاتِ والكيمياءِ.

ومحمَّدُ بنُ مسلم وزرارة بن أعين وعبدُ اللهِ بنُ سنانٍ في الفقهِ والتَّفسيرِ.

من روائعِه الصِّحيَّةِ مثلاً: أنَّهُ أَمَرَ بغسلِ الفاكهةِ قبلَ الأكلِ، فقدْ وردَ عنهُ قولُهُ: **«إنَّ لكلِّ ثمرةٍ سُمًّا، فإذا أتيتم بها فَمسوها بالماء أو اغمسوها في الماءِ».**

ومن تعاليمِهِ الطِّبيَّةِ: مداواةُ الحُمّى بالماءِ البارِدِ. فقد ذكروا لهُ الحُمّى، فقالَ: **«إنّا أهلَ بيتٍ لا نتداوى إلَّا بإفاضةِ الماءِ البارِدِ يُصَبُّ علينا».**

وهذا ما دفعَ «الجاحظَ» إلى القولِ: «وفجَّرَ الإمامُ الصادقُ عليه السلام ينابيعَ العلمِ والحكمةِ في الأرضِ، وفتحَ للنَّاسِ أبوابًا من العلومِ لم يَعهدوها من قبل، وقد ملأَ الدُّنيا بعلمِه».

٤- سياسةُ الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام مَعَ الحُكّامِ

حاولَ الإمامُ عليه السلام أن يجعلَ مدرستَهُ الفكريَّةَ بعيدةً عن أجواءِ الحُكْمِ، كي تبقى للعلمِ هويَّتُه المستقلَّةُ عن نفوذِ السُّلطانِ ومنطلقاتِه، وقد عبَّرَ عن هذهِ الحقيقةِ بقولِهِ: **«الفقهاءُ أمناءُ الرُّسلِ، فإذا رأيتمُ الفقهاءَ قد ركبوا إلى السَّلاطينِ فاتَّهموهم».**

ولكنَّ هذا المنهجَ المُتحرِّرَ لم يوافقْ مزاجَ السُّلطةِ، فحاولَتْ أن تحتويَهُ، فدعاهُ الخليفةُ المنصورُ إلى زيارتِهِ أكثرَ من مرَّةٍ، والإمامُ عليه السلام يواجهُهُ بحذرٍ، ويردُّ عليه بسلبيَّةٍ.

١- جاءَ في روايةِ أبي نعيم في كتابِ «حِلْيةِ الأولياءِ» أَنَّ الخليفةَ المنصورَ استدعى الإمامَ الصّادقَ عليه السلام، وأجلسَهُ إلى جانبِهِ يحادثُه بإجلالٍ واحترام، فوقعَ الذُّبابُ على وجهِ المنصورِ، ولم يزلْ يقعُ على وجههِ وأنفِه حتَّى ضَجِرَ منهُ، فقال: لِمَ خلقَ اللهُ الذُّبابَ يا أبا عبدِ اللهِ؟

فقالَ الصّادقُ عليه السلام: «**ليُذِلَّ به الجبابرةَ**»، فوجمَ المنصورُ، وتغيَّرَ لونُهُ، ولم يتكلَّمْ معَهُ بما يُسيءُ إليه.

ولما يئِسَ المنصورُ من تجاوبِ الإمامِ معَ رغبتِهِ، ورأى ما كانَ يتمتَّعُ به من علمٍ ومكانةٍ لدى المسلمينَ... داخلَهُ الحقدُ والحسدُ، وعبَّرَ عن ذلكَ بقولِه: «إنَّهُ الشَّجى المُعترضُ حلقَهُ»... ففرضَ عليهِ رِقابةً صارمةً، وكانَ يستدعيهِ بينَ الحينِ والآخرِ ليهدِّدَهُ ويتوعَّدَهُ.

٢- عن المفضلِ بنِ عمرو قالَ: إنَّ المنصورَ كانَ قد هَمَّ بقتلِ أبي عبدِ اللهِ عليه السلام أكثرَ من مرَّةٍ، فكانَ إذا بعثَ إليهِ ليقتلَهُ، فإذا نظرَ هابَهُ ولم يقتلْهُ، غيرَ أنَّهُ منعَ النَّاسَ عنهُ، ومنعَهُ من القعودِ للنّاسِ، واستقصى عليه أشدَّ الاستقصاءِ».

أمامَ هذه الرَّقابةِ، نصحَ الإمامُ أصحابَهُ بالسِّريَّةِ والتَّقيَّةِ، فقالَ لهم:

«**التَّقيَّةُ ديني ودينُ آبائي، ولا دينَ لمن لا تقيَّةَ لهُ**».

وقالَ لأحدِهم: «اكتمْ سِرَّنا، ولا تُذِعْهُ، فإنَّ من كَتَمَ سِرَّنا... أعزَّهُ اللهُ به في الدُّنيا والآخرةِ».

وبعدَ تزايدِ الضَّغطِ، أشارَ الإمامُ عليه السلام على أصحابِهِ بالصَّمتِ في القولِ، والقدوةِ في العملِ. فقد رُوِيَ أنَّ نفرًا من أهلِ الكوفةِ أتوهُ يستمعونَ منه، ويأخذونَ عنه، فلما حضرَهُم الانصرافُ، قالَ لهُ بعضُهم: أوصِنا يا بنَ رسولِ اللهِ.

قالَ عليه السلام: وأن تكونوا لنا دُعاةً صامتينَ.

قالوا: وكيف ندعو إليكم ونحنُ صموتٌ؟

قالَ عليه السلام: «**تعلمون ما أمرناكم به من العملِ بطاعةِ اللهِ، وتتناهَونَ عما نهيناكُمْ عنهُ من ارتكابِ محارمِ اللهِ، وتعاملونَ النّاسَ بالصِّدقِ والعدلِ... ولا يَطَّلِعُ النّاسُ منكم إلا على خيرٍ، فإذا رأوا ما أنتمْ عليهِ، قالوا: هؤلاءِ الفلانيَّةُ، رحمَ اللهُ فلانًا، ما كانَ أحسَنَ ما يؤدِّبُ أصحابَهُ، وعَلِموا فضلَ ما كان عندَنا، فسارعوا إليه**».

أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدْ ميزاتِ النَّشاطِ السِّياسيِّ في عصرِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام.

٢- اذكرْ مكانةَ الإمامِ عليه السلام عندَ علماءِ عصرِهِ.

٣- عدِّدِ العناوينَ الَّتي ميَّزَتْ مدرسةَ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام.

٤- أوضح بماذا امتازَ تلاميذُهُ؟

٥- اذكرْ بعضَ مواقفِهِ معَ الزَّنادقةِ.

٦- بيِّنْ طرقَ معالجتِه للانحرافِ الفكريِّ، والسِّياسيِّ، وموقفَهُ من العلومِ العامَّةِ.

من حصاد الدَّرس

١- أكملَ الإمامُ الصَّادقُ (عليه السلام) دورَ والدِهِ (عليه السلام) في: مواجهةِ التَّيَّاراتِ المنحرفةِ، وتصحيحِ الأحاديثِ الكاذبةِ، وبناءِ الشَّخصيَّةِ الواعيةِ.

٢- استطاعَ الإمامُ (عليه السلام) ممارسةَ دورِهِ بحرِّيَّةٍ في فترةِ الصِّراعِ ما بينَ الأمويِّينَ والعباسيِّينَ، وبينَ العباسيِّينَ أنفسِهِم.
بعدَ هدوءِ الجوِّ السِّياسيِّ تفرَّغَ المنصورُ لمتابعةِ نشاطِ الإمامِ وملاحقةِ أنصارِهِ.

٣- أنشأَ الإمامُ مدرسةً فكريَّةً متنقِّلةً كانَتْ تهتمُّ بـ:

أ- بناءِ القياداتِ الواعيةِ (علم، تقوى، قدوة).

ب- فضحِ الأحاديثِ الموضوعةِ.

ج- الرَّدِّ على الزَّنادقةِ.

د- الاهتمامِ بالعلومِ المختلفةِ.

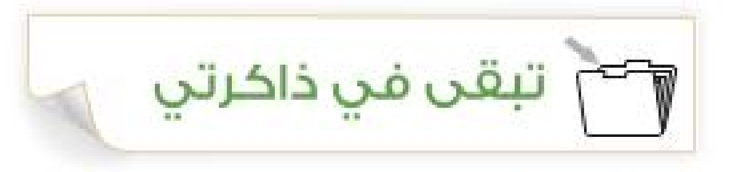
٤- حاولَ المنصورُ احتواءَ الإمامِ (عليه السلام)، ولكنَّ الإمامَ لم يتجاوب معه، مما جعلَهُ يلاحقُهُ ويطاردُ أنصارَهُ، حتّى أمرَ الإمامُ (عليه السلام) أصحابَهُ بالتَّقيَّةِ.



من ثقافة الروح

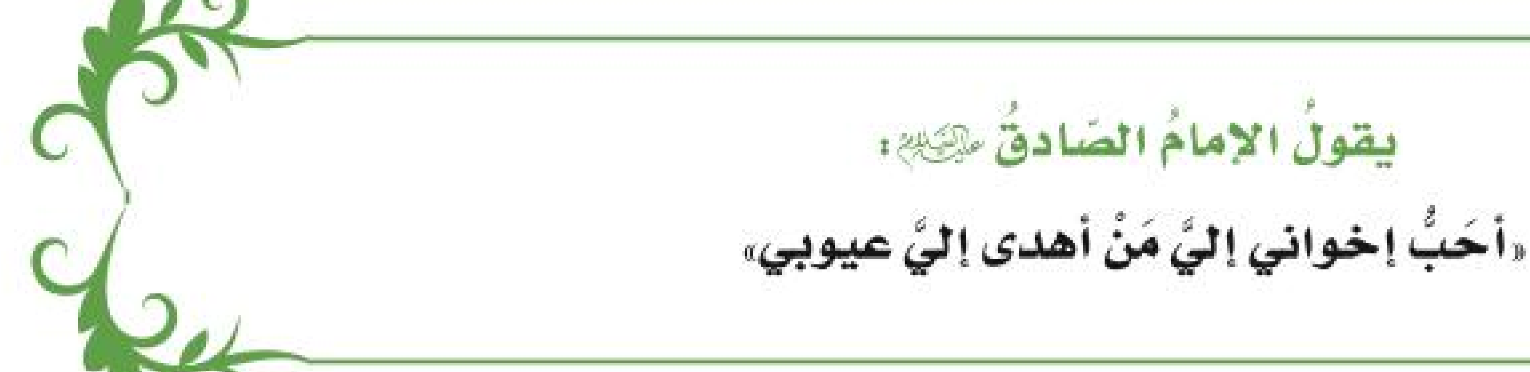
من أقوالِهِ المأثورةِ

- «من عذَر ظالمًا بظلمِهِ، سلَّط اللهُ عليهِ من يظلمُهُ، فإن دعا لم يُستجَبْ له، ولم يأجرْهُ اللهُ على ظلامتِهِ».
- ينبغي للمؤمنِ أن يكونَ فيه ثماني خصالٍ: وقوراً عندَ الهزاهزِ، صبوراً عندَ البلاءِ، شكوراً عندَ الرَّخاءِ، قانعاً بما رزقَهُ اللهُ، لا يظلمُ الأعداءَ، ولا يتحاملُ الأصدقاءَ، بدنُهُ منه في تعبٍ، والنَّاسُ منه في راحةٍ.
- من أرادَ عزًّا بلا سلطانٍ، وكثرةً بلا إخوانٍ، وهيبةً بلا مالٍ، فلينتقلْ من ذُلِّ معاصي اللهِ إلى عزِّ طاعتِهِ.



تبقى في ذاكرتي





يقولُ الإمامُ الصَّادقُ (عليه السلام):

«أحَبُّ إخواني إليَّ مَنْ أهدى إليَّ عيوبي»





مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم



الدّرسُ الثّالث

سياسةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الحكمِ والإدارةِ من عهدِهِ إلى «مالكٍ الأشترِ» (١)



«وأيمُ اللّهِ لأنصِفَنَّ المظلومَ من ظالمِهِ، ولأقودَنَّ الظّالمَ بخزامَتِه حتّى أوردَهُ منهلَ الحقِّ، وإنْ كانَ كارهًا»

الإمامُ عليٌّ عليه السلام





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى مضمونَ عهدِ الأشترِ وأهميَّتَهُ.
- أُحدِّدُ أهدافَ الحاكمِ الإسلاميِّ عندَ الإمامِ عليه السلام.
- أبيِّنُ أهمَّ معالمِ شخصيَّةِ الحاكمِ في الإسلامِ.
- أوضحُ علاقة الحاكمِ بالرَّعيَّةِ من خلالِ العهدِ.



أقرأ وأحلّل

مستند

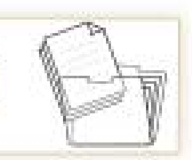
يقولُ الإمامُ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام:

«ولو شئتُ لاهتديتُ الطَّريقَ إلى مُصَفّى هذا العسلِ، ولُبابِ هذا القمحِ، ونسائجِ هذا القَزِّ. ولكنْ هيهاتَ أن يغلبَني هوايَ، ويقودَني جشعي، إلى تَخيُّرِ الأطعمةِ، ولعلَّ بالحجازِ أو اليمامةِ مَنْ لا طَمَعَ له في القرصِ، ولا عهدَ له بالشّبعِ أوأبيتَ مبطانًا وحولي بطونٌ غرثى، وأكبادٌ حَرّى...

أأقنعُ من نفسي بأنْ يُقالَ: أميرُ المؤمنينَ، ولا أشاركُهم في مكارهِ الدَّهرِ، أو أكونُ أسوةً لهم في جشوبةِ العيشِ...»

(نهج البلاغة)

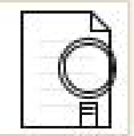




أطرحُ الموضوعَ

هذه الكلماتُ وغيرُها تعبّرُ عن بعضِ معالمِ شخصيَّةِ الإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام الحاكمِ:

- كيفَ جسَّد الإمام صفةَ الحاكمِ في سلوكِه؟
- هل استفادَ النّاسُ آنذاكَ من برنامجِهِ في الحكمِ؟ وهل سمحوا لهُ بتطبيقِهِ؟
- ماذا فعلَ الإمامُ عليه السلام حينذاكَ؟

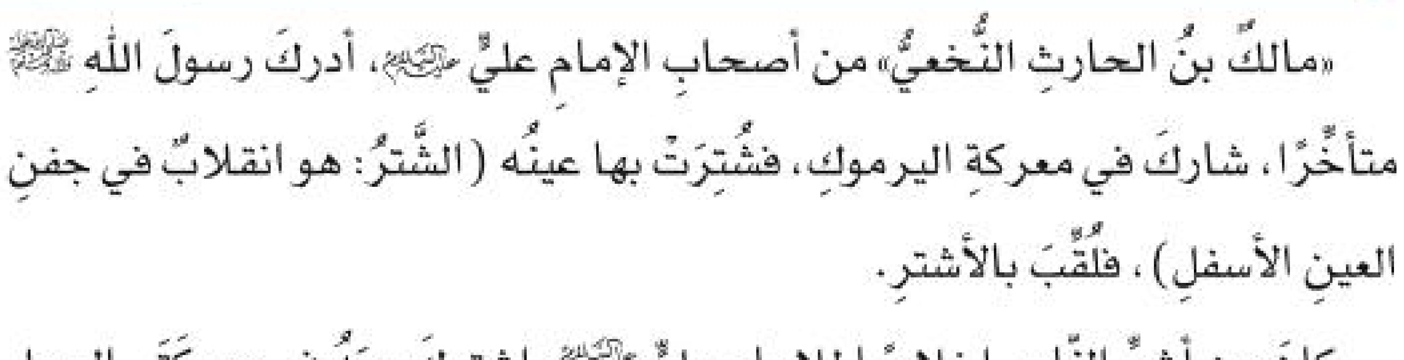


أقرأ وأتعرّف

لم تساعدِ الظُّروفُ الإمامَ عليًّا عليه السلام على تطبيقِ برنامجِهِ الإصلاحيِّ في الحكمِ لفترةٍ زمنيَّةٍ طويلةٍ، لكنَّهُ سجَّل بعضَ مبادئِهِ وعناوينِهِ في وصاياهُ وخطبِهِ ورسائلِهِ، وكانَ من أبرزِها عهدُهُ إلى واليه على مصرَ مالكٍ الأشترِ.

من هوَ مالكُ الأشترُ؟ وما هي أهمُّ مضامينِ عهدِهِ؟

١- معالمُ من شخصيَّةِ مالكِ الأشترِ



«مالكُ بنُ الحارثِ النَّخعيُّ» من أصحابِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، أدركَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله متأخِّرًا، شاركَ في معركةِ اليرموكِ، فشُتِرَتْ بها عينُه (الشَّترُ: هو انقلابٌ في جفنِ العينِ الأسفلِ)، فلُقِّبَ بالأشترِ.

كانَ من أشدِّ النّاسِ إخلاصًا للإمامِ عليٍّ عليه السلام، اشتركَ معَهُ في معركَتَي الجملِ وصفّين، كانَتْ له فيهما مواقفُ جريئةٌ، وبالأخصِّ في «صفّين» حيثُ كادَ أن يُسجِّلَ نصرًا حاسمًا على جيشِ الشّامِ، لولا فتنةُ التَّحكيمِ.

في سنة ٣٨هـ عهدَ إليه الإمامُ عليه السلام حُكمَ مصرَ، وزوَّدَهُ بخطَّةٍ كاملةٍ للحُكمِ عُرِفَتْ بـ «عهدِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام لمالكِ الأشترِ»، وقبلَ أن يدخلَ العاصمةَ المصريَّةَ، بعثَ إليه «معاويةُ بنُ أبي سفيانٍ» من دسَّ له السُّمَّ في العسلِ، فاستشهدَ في السَّنةِ ذاتِها.

وحينَ بلغَ معاويةَ نبأُ وفاتِه، قالَ كلمتَه المشهورةَ «إنَّ للهِ جنودًا من عسلٍ». أمّا الإمامُ عليه السلام فرثاهُ بكلماتٍ معبِّرةٍ قائلاً: **«ألا إنَّ مالك بنَ الحارثِ قد قضى نحبَه، وأوفى بعهدِه، ولقيَ ربَّهُ، فرحِمَ اللهُ مالكًا، لو كان جبلاً لكانَ فندًا، ولو كانَ حجرًا لكانَ صلدًا، للهِ مالكٌ وما مالكٌ؟ وهل قامَتِ النِّساءُ عن مثلِ مالكٍ؟ وهل موجودٌ كمالكٍ؟»**

٢- أهدافُ الحاكمِ ومهمَّاتُه

يبدأُ الإمامُ عليه السلام عهدَهُ لمالكِ الأشترِ بالقولِ: **«هذا ما أمرَ به عبدُ اللهِ: عليٌّ أميرُ المؤمنين... مالك بنَ الحارثِ الأشترِ في عهدِهِ إليهِ حينَ ولاّهُ مصرَ: جبايةَ خراجِها، وجهادَ عدوِّها، واستصلاحَ أهلِها وعمارةَ بلادِها...»**



هذهِ الكلماتُ تختصرُ مهمّاتِ الحاكمِ بأربعٍ، هي:

- جبايةُ الخراجِ: الإشرافُ على جمعِ الحقوقِ الماليَّةِ للدَّولةِ، بهدفِ إدارتِها، وتغذيةِ مشاريعِها الإنمائيَّةِ.
- جهادُ العدوِّ لحمايةِ الأمَّةِ بتوفيرِ الأمنِ والدِّفاعِ عن حدودِ الدَّولةِ وسلامتِها.
- استصلاحُ الأمَّةِ بالتَّربيةِ والتَّعليمِ والهدايةِ.
- عمارةُ البلادِ بالتَّنميةِ العمرانيَّةِ والاقتصاديَّةِ.

٣- مقوِّماتُ شخصيَّةِ الحاكمِ

وهذه المهمّاتُ لا يستطيعُ حَاكمٌ تحقيقَها بفعاليَّةٍ، إذا لم يتمتَّعْ بصفاتٍ خاصَّةٍ تجعلُهُ في مستوى القيادةِ الرّائدةِ، وهذهِ الصِّفاتُ يُحدِّدُها الإمامُ عليه السلام ب:

أ- التّقوى:

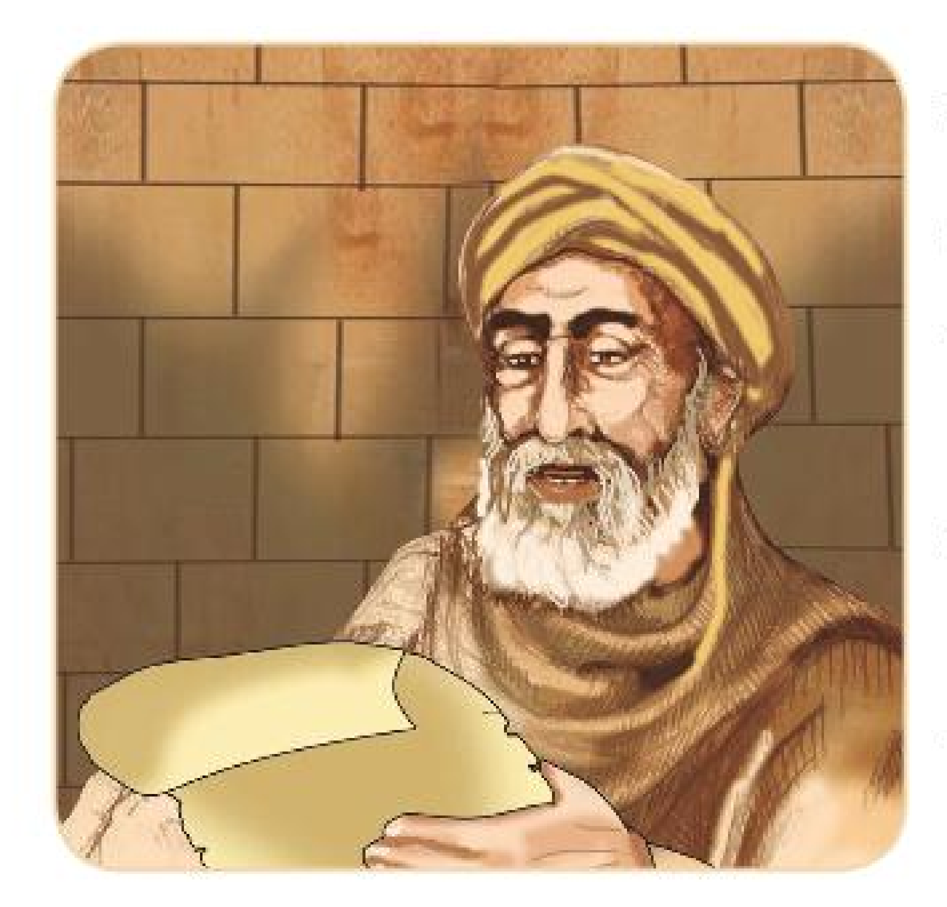
«أَمَرَهُ بتقوى اللهِ، وإيثارِ طاعته، واتّباعِ ما أمرَ بهِ في كتابِهِ من فرائضِهِ وسُننه، الّتي لا يسعدُ أحدٌ إلاّ باتّباعِها، ولا يشقى إلا مَعَ جحودِها وإضاعتِها، وأن ينصرَ اللهَ سبحانه بقلبِهِ ويدِهِ ولسانِه، فإنَّهُ جلَّ اسمُه قد تكفَّلَ بنصرِ مَنْ نَصَرَهُ، وإعزازِ مَن أعزَّهُ وأمرَهُ أن يكسرَ نفسَهُ من الشَّهواتِ، ويزعَها عن الجمحاتِ، فإنَّ النَّفسَ أمّارةٌ بالسُّوءِ إلا ما رحمَ اللهُ...».

فالحاكمُ المسلمُ هوَ منْ يعيشُ حالةَ التَّقوى، فيستولي عليه حبُّ اللهِ تعالى، والخوفُ من غضبِهِ، فيحسُّ دائمًا بحضورِهِ ورقابتِهِ، فلا يفكِّرُ بقولٍ أو فعلٍ لا يحرزُ بهما رضا اللهِ تباركَ وتعالى.

إنّه يسلكُ طريقًا مستقيمًا، دليلُهُ فيه كتابُ اللهِ، ونهجُهُ سنَّةُ رسولِهِ، وعلى أساسِهما يتحمَّلُ مسؤوليَّةَ نُصرةِ دينِ اللهِ بإقامةِ دولةِ الحقِّ والعدلِ، الَّتي توفِّرُ الأمنَ وتُحقِّقُ الكفايةَ.

والتَّقوى هي الحرزُ الَّذي يحمي الحاكمَ من جموحِ أطماعِهِ، وهيَ الضَّميرُ الحيُّ الَّذي يقوِّمُ سلوكَهُ، فيراقبُ أهواءَهُ ومصالحَهُ، ويمنعُها من أن تستبدَّ وتطغَى، ليكونَ شعارُهُ الدّائمُ رضا اللهِ وصالحَ النّاسِ، وهذا يتطلَّبُ جهدًا وصبرًا وإيثارًا، لينالَ بعدَها تأييدَ اللهِ تعالى ونصرَهُ ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ (محمد)

ب- العلمُ:



وحتّى تتأكَّدَ التَّقوى يدعوهُ الإمامُ إلى التَّجمُّلِ بصفةِ العلمِ، فهي سلاحُهُ الَّذي ينيرُ له السَّبيلَ في الدَّعوةِ إلى اللهِ، وتجسيدِ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ في نظامٍ متكاملٍ، وهذا يتطلَّبُ منهُ ارتيادَ مجالسِ العلماءِ ومواقعِ الحكماءِ ليحصلَ على:

١- معرفةٍ وافيةٍ بالكتابِ والسُّنَّةِ ليملكَ القدرةَ على استنباطِ الأحكامِ من مصادرِها الأصليَّةِ.

٢- ثقافةٍ عميقةٍ بسيرةِ الأنبياءِ والأئمَّةِ والصّالحينَ لمعايشةِ تجاربِهم، وأخذِ العبرةِ من تاريخِهم، لتكونَ دليلاً يسدِّدُ خطواتِه أثناءَ ممارستِه للحكمِ:

يقولُ الإمامُ عليه السلام: «وأكثِرْ من مُدارسةِ العلماءِ، ومُنافثةِ الحكماءِ، في تثبيتِ ما صَلُحَ عليه أمرُ بلادِك، وإقامةِ ما استقامَ به النّاسُ قبلَكَ».

«والواجبُ عليكَ أن تتذكَّرَ ما مضى لمنْ تقدَّمَكَ من حكومةٍ عادلةٍ وسُنَّةٍ فاضلةٍ، أو أثرٍ عن نبيِّنا صلى الله عليه وآله، أو فريضةٍ في كتابِ اللهِ، فتقتدي بما شاهدْتَهُ ممّا عملنا به فيها...».

ج- العدالةُ:

ثمَّ يشدِّدُ الإمامُ عليه السلام على صفةِ العدلِ في الحاكمِ، ويحذِّرُهُ خصومةَ اللهِ، وتعجيلَ نقمتِهِ فيقولُ: **«وأنصفِ اللهَ، وأنصفِ النّاسَ من نفسِك، ومن خاصَّةِ أهلِك، ومَنْ لك فيه هوى من رعيَّتِك، فإنّكَ إلّا تفعلْ تظلمْ، ومَنْ ظلمَ عبادَ اللهِ، كانَ اللهُ خصمَهُ دونَ عبادِهِ... وليسَ شيءٌ أدعى إلى تغييرِ نعمةِ اللهِ، وتعجيلِ نقمتِهِ، من إقامةٍ على ظُلمٍ، فإنَّ اللهَ سميعُ دعوةِ المضطهدينَ وهوَ للظالمينَ بالمرصادِ».**

والعدلُ وصيَّةُ اللهِ تعالى إلى الحاكمينَ ودليلُ محبَّتِهِ لهم: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (المائدة)

إنَّهُ صفةٌ ملازمةٌ للحاكمِ الصَّالحِ، فيه:

- يحقِّقُ المساواةَ بينَ النّاسِ إذ لا فرقَ بينَ قريبٍ وبعيدٍ، وحاكمٍ ومحكومٍ.
- ينتصفُ للمظلومِ من ظالمِه مهما بلغَتْ قوَّتُهُ وارتفعَ شأنُهُ.
- يُجري الأحكامَ والحدودَ الشَّرعيَّةَ حتَّى على أقربائِهِ وأصدقائِه.

والحاكمُ العادلُ يتحرّى مواطنَ العدلِ ليعملَ بها، ويبحثُ عن مواقعِ الظُّلمِ ليقتصَّ من أصحابِها، لا يُداري ولا يُداهنُ امتثالاً لأمرِ اللهِ تعالى، وخوفًا من عقابِه، لأنَّهُ تعالى سميعُ دعوةِ المضطهدينَ وهوَ للظّالمينَ بالمرصادِ.

د- الحكمةُ والصَّبرُ والرَّويةُ:

وينصحُ الحاكمَ بالحكمةِ والرويَّةِ وأخذِ الحيطةِ والحذرِ، ليكونَ عميقَ الفكرِ، بعيدَ النَّظرِ فلا يستعجلُ قطفَ الثِّمارِ قبلَ أوانِ نضجِها، إذ عليهِ التريُّثُ وهوَ يرسمُ خطَّةَ عملِه، فيدرسُ الأبعادَ والمراحلَ، ويحلِّلُ الظُّروفَ والإمكاناتِ.... لينطلقَ إلى التَّنفيذِ مُتَّكلًا على اللهِ، ووفقَ ما رسمَ وخطَّطَ:

«وإيّاكَ والعجلةَ بالأمورِ قبلَ أوانِها، أو التَّسقُّطَ فيها عندَ إمكانِها، أو اللَّجاجةَ فيها إذا تنكَّرتْ، أو الوهنَ عنها إذا استوضحَتْ، فضعْ كُلَّ أمرٍ موضعَهُ، وأوقِعْ كلَّ عملٍ موقعَهُ».

هـ- التَّواضعُ:

وأخيرًا يوصي الحاكمَ بالتَّواضعِ، وخلعِ رداءِ الكِبْرِ، والابتعادِ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الغرورِ والطُّغيانِ، فاللهُ سبحانَهُ وحدَهُ هوَ أهلُ الكبرياءِ والعظمةِ، وليسَ لأحدٍ أن يساويَهُ في عظمتِهِ أو يتشبَّهَ بكبريائِهِ:

«إيَّاكَ ومساماةَ اللهِ في عظمتِهِ، والتَّشبُّهَ في جبروتِهِ، فإنَّ اللهَ يذلُّ كلَّ جبّارٍ، ويهينُ كُلَّ مختالٍ».

فعلى الحاكمِ أن لا يستسلمَ لنوازعِ الإعجابِ بنفسِهِ وأعمالِهِ، ولا ينخدعَ بكلماتِ الإطراءِ، من المتزلِّفينَ، لأنَّ هذا يدفعُهُ إلى الزَّهْوِ والخَيَلاءِ، فيقدِّرُ كلَّ ما يصدرُ عنهُ، ويستصغرُ كلَّ ما يصدرُ عن غيرِهِ، وبالنَّتيجةِ يغفلُ عن نفسِهِ، ويتناسى أخطاءَهُ، ممّا يوقعُهُ في مآزقَ خطيرةٍ لا يعرفُ مدى عواقبِها إلا اللهُ.

«وإيّاكَ والإعجابَ بنفسِكَ، والثِّقةَ بما يُعجبُكَ منها، وحُبَّ الإطراءِ، فإنَّ ذلكَ من أوثقِ فُرصِ الشَّيطانِ في نفسِهِ ليمحقَ ما يكونُ من إحسانِ المحسنينَ».

و- رقابةُ الرَّأيِ العامِّ:

«ثُمَّ اعلمْ يا مالكُ أنّي قد وجَّهتُكَ إلى بلادٍ قد جرَتْ عليها دولٌ قبلَكَ من عدلٍ وجَوْرٍ، وأنَّ النّاسَ ينظرونَ من أمورِكَ في مثلِ ما كنتَ تنظرُ فيهِ من أمورِ الولاةِ قبلَكَ، ويقولونَ فيكَ ما كنتَ تقولُ فيهم، وإنَّما يستدلُّ على الصّالحينَ بما يُجري اللهُ لهم على ألسنِ عبادِهِ».

هنا ينبِّهُ الإمامُ (عليه السلام) إلى أهميَّةِ نظرةِ الشَّعبِ إلى حُكّامِهِ، فرأيُ عبادِ اللهِ الصالحين دليلٌ على صلاحِ الحاكمِ أو فسادِهِ: فمن أجلِ أن يكسبَ حبَّ النّاسِ، ومشاركتَهم الوجدانيَّةَ في دعمِ سياستِهِ عليهِ مراعاةُ أمرينِ أساسيَّينِ هُما:

١- الإخلاصُ في العملِ، والصِّدقُ في المعاملةِ، والأمانةُ في حملِ المسؤوليَّةِ، ومجانبةُ الهوى والإنصافِ.

«فليكنْ أحبَّ الذَّخائرِ إليكَ: ذخيرةُ العملِ الصّالحِ، فاملكْ هواكَ، وشُحَّ بنفسِكَ عمّا لا يحلُّ لكَ، فإنَّ الشُّحَّ بالنَّفْسِ: الإنصافُ منها فيما أحبَّتْ أو كرهَتْ».

٢- رصدُ أحوالِ النّاسِ لمساعدتِهم وحلِّ مشاكلِهم، فلا يرهقُهم بكثرةِ المطالبِ، ولا يُحمِّلُهم أعباءً لا يقدرونَ عليها:

«واعلمْ أنَّهُ ليسَ شيءٌ بأدعى إلى حسنِ ظَنِّ راعٍ برعيَّتِهِ من إحسانِهِ إليهم، وتخفيفِهِ المؤوناتِ عليهم، وتركِ استكراهِهِ إيّاهم على ما ليسَ قِبَلَهُم... وإنَّ أحقَّ من حَسُنَ ظنُّكَ بهِ: لَمَنْ حَسُنَ بلاؤكَ عندَهُ، وإنَّ أحقَّ من ساءَ ظنُّكَ بهِ، لَمَن ساءَ بلاؤكَ عندَهُ».

أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدْ أهمَّ معالمِ شخصيَّةِ مالكِ الأشترِ.

٢- عدِّدْ أهدافَ الحاكمِ الإسلاميِّ في نظرِ الإمامِ عليٍّ (عليه السلام).

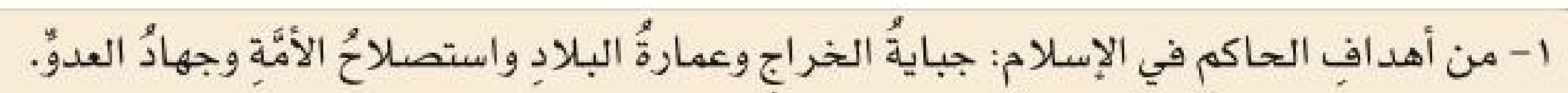
٣- اذكرِ الصِّفاتِ الأساسيَّةَ في شخصيَّةِ الحاكمِ.

٤- أوضحْ في شخصيَّةِ الحاكمِ:

- مظاهرَ التَّقوى
- أهميَّةَ العلمِ.
- واقعَ العدالةِ، الحكمةَ التَّواضعَ.

٥- بيِّنْ أهميَّةَ نظرةِ الرَّعيَّةِ إلى الحاكمِ.





من حصاد الدرس

١- من أهدافِ الحاكمِ في الإسلامِ: جبايةُ الخراجِ وعمارةُ البلادِ واستصلاحُ الأمَّةِ وجهادُ العدوِّ.

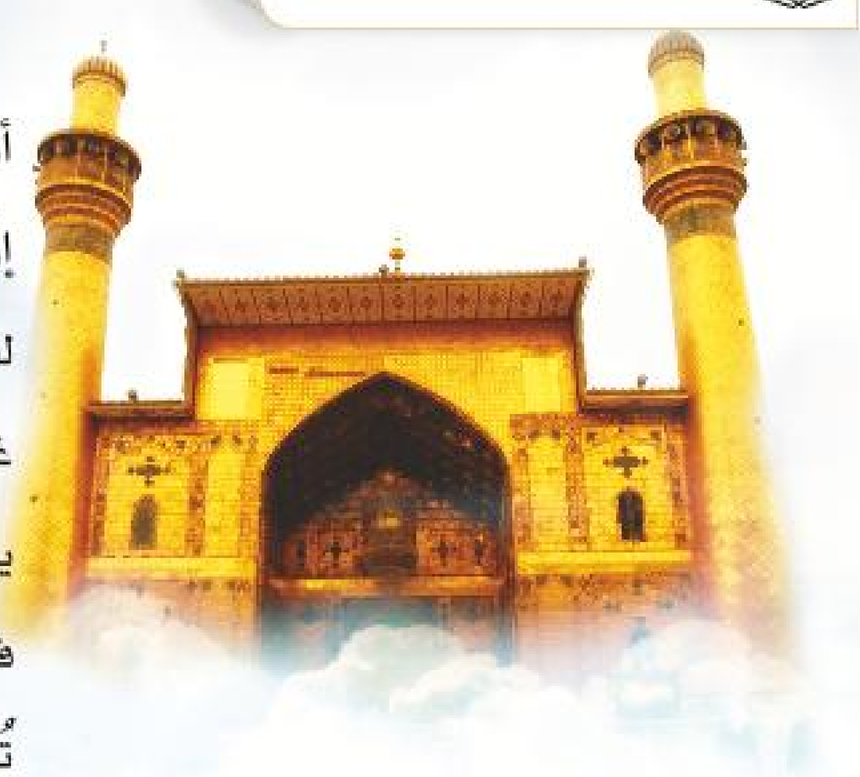
٢- من مقوِّماتِ شخصيَّةِ الحاكمِ:

- التَّقوى... «**أمرَهُ بتقوى اللهِ، وإيثارِ طاعتِهِ...**»
- العلمُ... «**وأكثرْ من مُدارسةِ العلماءِ، ومنافثةِ الحكماءِ...**»
- العدالةُ... «**ومَنْ ظلمَ عبادَ اللهِ، كانَ اللهُ خصمَهُ دونَ عبادِهِ...**»
- الحكمةُ والصَّبرُ والرَّويَّةُ... «**وإيَّاكَ والعجلَةَ بالأمورِ قبلَ أوانِها...**»
- التَّواضعُ... «**إيَّاكَ ومساماةَ اللهِ في عظمتِهِ، والتَّشبُّهَ في جبروتِهِ...**»

  «**وإيَّاكَ والإعجابَ بنفسِكَ، والثِّقةَ بما يعجبُكَ منها...**»
- رقابةُ الرَّأي العامِّ، وتكون بـ:
  - رصدِ أحوالِ النَّاسِ لحلِّ مشاكلِهم.
  - عدمِ إرهاقِهم بما لا يستطيعونَ.
  - بناءِ علاقةِ المحبَّةِ والرَّحمةِ والاحترامِ.

من ثقافة الروح

يا إمامَ الأحرارِ



أنتَ لو شئتَ كنتَ داهيةَ الدُّنيا ... ولو شئتَ كنتَ ربَّ الأمورِ

إنَّ عقلًا يناطحُ الشُّهُبَ بالفكرِ ... ويسمو بمعجزاتِ الدُّهورِ

لقديرٌ أنْ يرسمَ الخططَ الكبرى ... بوحي الخداعِ والتَّزويرِ

غيرَ أنَّ الدِّينَ الَّذي فجَّر الينبوعَ ... بالطُّهرِ في حنايا الصُّدورِ

يمنعُ الفكرَ أن تشوِّهَ وجهَ ... الحقِّ منه نوازعُ التَّغريرِ

فتساميتَ ثمَّ حلَّقْتَ روحًا ... عبقريًّا منضّرًا بالنُّورِ

تُبدعُ العدلَ جوهرًا لم تؤثِّرْ ... فيه شتَّى عوالمُ التَّأثيرِ

تبقى في ذاكرتي

يقولُ الإمامُ عليٌّ (عليه السلام): سألتُ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله) حينَ وجَّهني إلى اليمنِ: كيفَ أُصلّي بهم؟

فقالَ (صلى الله عليه وآله): صلِّ بهم كصلاةِ أضعفِهم، وكنْ بالمؤمنينَ رحيمًا.



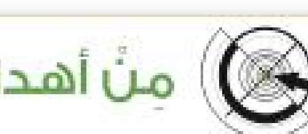
الدَّرسُ الرَّابعُ

سياسةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الحكمِ والإدارةِ من عهدِهِ إلى «مالكِ الأشترِ» (٢)

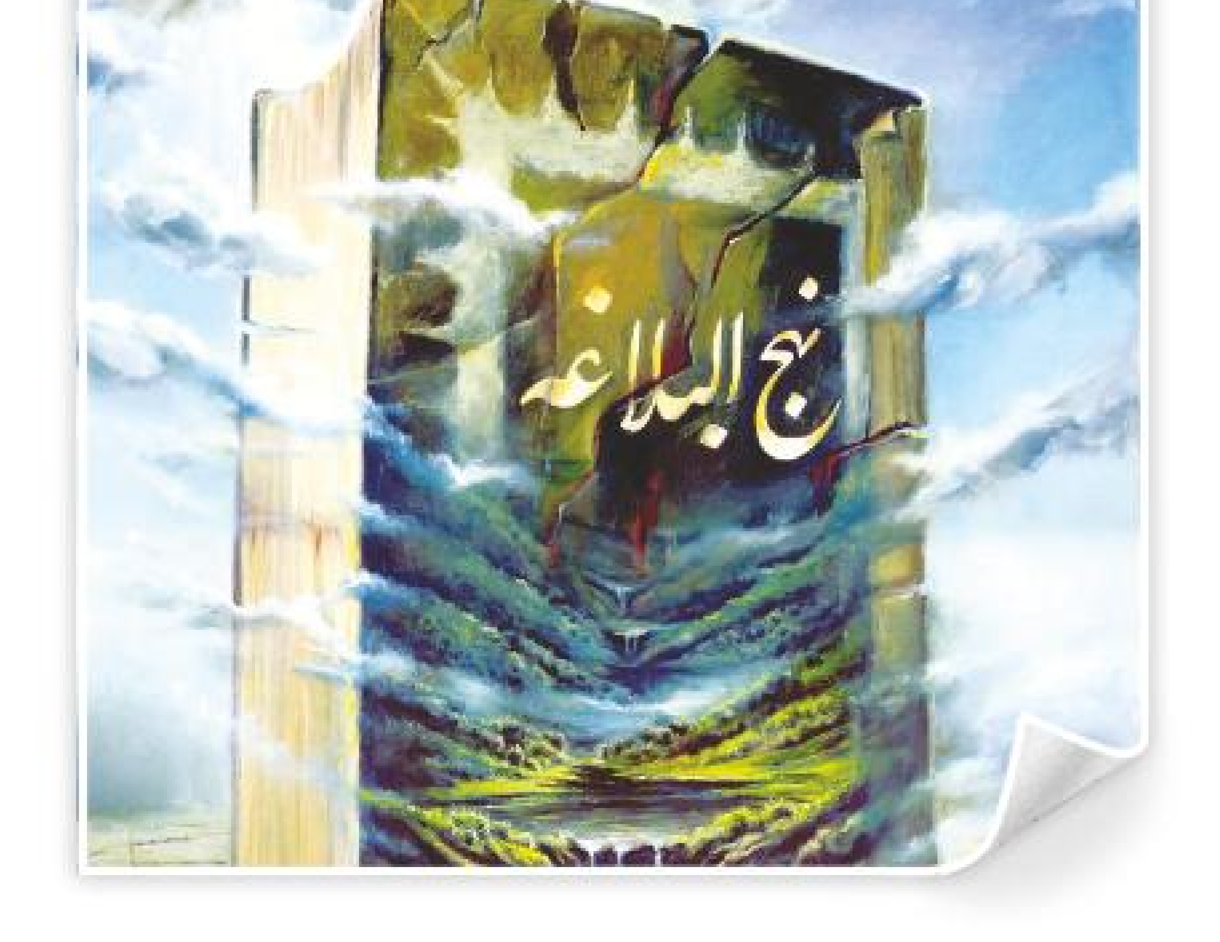


«ومَنْ ظَلَمَ عبادَ اللَّهِ، كانَ اللَّهُ خصمَهُ دونَ عبادِهِ...»

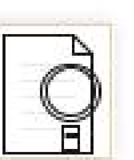
الإمامُ عليٌّ عليه السلام



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ



- أتعرَّفُ إلى العلاقةِ الوجدانيَّةِ للحاكمِ مع الرَّعيَّةِ.
- أحدِّدُ بنودَ سياسةِ الحاكمِ معَ العامَّةِ والخاصَّةِ.
- أوضحُ أصولَ التَّواصلِ الإيجابيِّ معَ الرَّعيَّةِ.
- أكتشفُ خصائصَ المستشارينَ لدى الحاكمِ وأهمِّيَّتَهُمْ.



أقرأ وأتعرّف

١ - سياسةُ الحاكمِ معَ الأمَّةِ




مستند

وحتَّى يضمنَ الحاكمُ حسنَ ظَنِّ النّاسِ به، يُحدِّدُ الإمامُ الخطَّ العامَّ لسياستِهِ في علاقتِهِ بهم، الَّذي يُختَصرُ بعاملِ المحبَّةِ:

«وأشعِرْ قلبكَ الرَّحمةَ للرَّعيَّةِ، والمحبَّةَ لهم، واللُّطفَ بهم، ولا تكُوننَّ عليهم سبعًا ضاريًا، تغتنمُ أكلَهُم، فإنَّهُم صنفانِ: إمّا أخٌ لكَ في الدِّينِ، وإمّا نظيرٌ لكَ في الخَلْقِ، يفرطُ منهم الزَّللُ، وتَعرضُ لهم العللُ، ويُؤتى على أيديهم في العمدِ والخطأ، فأعطِهم من عفوِكَ وصفحِكَ مثلَ الَّذي تحبُّ أن يعطيَكَ اللهُ من عفوِهِ وصفحِهِ، فإنَّكَ فوقَهُم، ووالي الأمرِ عليكَ فوقَكَ، واللهُ فوقَ من ولاّكَ...».

الحاكمُ الَّذي ينشدُ العدالةَ، ويسعى إلى رضا اللهِ تعالى، وتأييدِ الرّأيِ العامِّ، يحتاجُ إلى سياسةٍ حكيمةٍ متوازنةٍ، تعتمدُ أمرينِ أساسيَّينِ هُما:

أ- المشاركةُ الوجدانيَّةُ المتبادلةُ:

من خلالِ تركيزِ علاقاتِ المحبَّةِ والمودَّةِ والرَّحمةِ والثّقةِ والاحترامِ، فالحاكمُ أبٌ وليسَ طاغيةً، والحُكمُ رعايةٌ وليس استبدادًا، وهوَ الَّذي يعيشُ واقعَ المحكومينَ على اختلافِ مذاهبِهم: يتعرَّفُ إلى أوضاعِهم، ويعي حاجاتِهم، ويتفهَّمُ مخاوفَهم... فيُشعرُهم بمحبَّتِهِ ورعايتِه واهتمامِه بقضاياهم وشجونِهم... ليبادلوه حبًّا بحبٍّ، وثقةً بثقةٍ، فيقفوا إلى جانبِهِ في دعمِ خططِه وسياستِه، وبذلكَ يستطيعُ تحقيقَ أهدافِهِ بأيسرِ جهدٍ وأقصرِ طريقٍ.



أما إذا أغلقَ الحاكمُ دونَهم قلبَهُ، وشدَّدَ على محاسبتِهم، وتَتَبَّعَ زلّاتِهم، وأَخَذِهم بالقوَّةِ، فإنّه بذلكَ يثيرُ حقدَهم وكراهيَتَهُمْ من جهةٍ، ويُخفّفُ من دافعيَّتِهم ورغبتِهم في المشاركةِ من جهةٍ أخرى، فيصبحُ وكأنَّهُ خصمٌ يتمنَّونَ زوالَهُ.

ب- الفهمُ الواعي لطبائعِ النّاسِ وحاجاتِهم:

من خلالِ دراسةِ خصائصِهم وميولِهم ونقاطِ ضَعْفِهم وقوَّتِهم، فالإمامُ عليه السلام يريدُ للحاكمِ أن يفهمَ أصنافَ النّاسِ على الطَّبيعةِ، فلا يتوقَّعُ منهم الكمالَ، فهم ليسوا بمعصومينَ، فقد تتنازَعُهم الأهواءُ، ويضعفونَ في وجهِ المطامعِ... فيسقطونَ في بعضِ مراحلِ الطَّريقِ، فيصدرُ عنهم الخطأُ بقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ففي هذا الإطارِ على الحاكمِ أن يبتعدَ عن القسوةِ فيلجأَ إلى العدلِ والعفوِ بالشَّكلِ الَّذي تقتضيه الحكمةُ، ويُقِرُّهُ الشَّرعُ.

٢- سياسةُ الحاكمِ معَ العامَّةِ والخَاصَّةِ

وحتّى تترسَّخَ علاقةُ المحبَّةِ والثّقةِ ما بينَ الحاكمِ والرَّعيَّةِ، يعتمدُ الحاكمُ سياسةً متوازنَةً تأخذُ بعينِ الاعتبارِ المصالحَ العامَّةَ الَّتي تستجيبُ لحاجاتِ الفقيرِ والغنيِّ دونَ تفريقٍ أو تمييزٍ.

وانطلاقًا من هذا المبدأ، يوصيهِ الإمامُ عليه السلام بأن لا يُضحّيَ بمصالحِ جمهورِ النّاسِ من أجلِ رِضا حفنةٍ قليلةٍ من الخاصَّةِ (أصحابِ المالِ والنُّفوذِ)، فرضا هؤلاءِ لا قيمةَ له أمامَ غضبِ العامّةِ وتذمُّرِهم.

«وليكنْ أحبُّ الأمورِ إليكَ أوسطَها في الحقِّ، وأعمَّها في العدلِ، وأجمَعها لرضا الرَّعيَّةِ، فإنَّ سخطَ العامَّةِ يجحفُ برضا الخاصَّةِ، وإنّ سخطَ الخاصَّةِ يُغتَفرُ معَ رضا العامَّةِ».

ويبرِّرُ الإمامُ عليه السلام ذلكَ بقولِهِ:

«وليسَ أحدٌ من الرَّعيَّةِ أثقلَ على الوالي مؤونةً في الرَّخاءِ، وأقلَّ معونةً لهُ في البلاءِ، وأكرهَ للإنصافِ، وأسألَ بالإلحافِ،



وأقلَّ شكرًا عندَ الإعطاءِ، وأبطأَ عذرًا عندَ المنعِ، وأضعفَ صبرًا عندَ ملماتِ الدَّهرِ من أهلِ الخاصَّةِ».

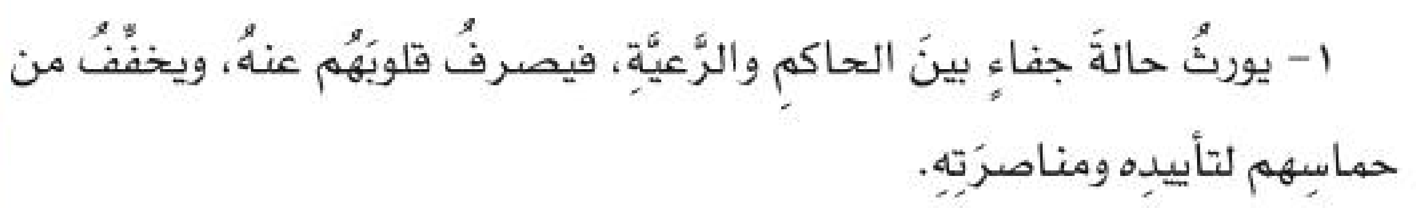
فأهلُ الخاصَّةِ – في نظرِ الإمامِ عليه السلام – يشكّلونَ تهديدًا وعبئًا على الدَّولةِ:

١- فهم في أوقاتِ الرَّخاءِ يطلبونَ الامتيازاتِ، وفي الشَّدَّةِ يهربونَ من حملِ المسؤوليَّاتِ، إنَّهم الطَّبقةُ المترفةُ الَّتي تأخذُ ولا تعطي، وتنهزمُ أمامَ الشَّدائدِ والمكارهِ.

٢- وهم من منطلقِ شعورِهم بالزَّهوِ، وشدَّةِ حرصِهم على الثَّروةِ: يطلبونَ المالَ بجرأةٍ وإلحاحٍ، ولا يقنعونَ بما يُقدَّمُ إليهم لاعتقادِهم بزيادةِ فضلِهم على العامَّةِ، أما إذا مُنعوا منه لسببٍ مشروعٍ، فليسوا على استعدادٍ لتقبُّلِ ذلكَ بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ.

لهذه الأسبابِ وغيرِها، على الحاكمِ الاهتمامُ بفئةِ المستضعفينَ، فينصرفُ لملاحقةِ مطالبِهم، وتوفيرِ حاجاتِهم، لأنَّهم «**عمادُ الدِّينِ، وجماعُ المسلمينَ، والعدَّةُ للأعداءِ**»... المهمُّ هوَ أن يعتمدَ العدالةَ في الحُكمِ، والتَّسويةَ في العطاءِ، والتَّوازنَ في المعاملةِ فـ:

- يكونُ القدوةَ «**وإيَّاك والاستئثار بما النَّاسُ فيه أسوةٌ**».
- لا يميلُ بقلبِهِ إلى خاصَّتِهِ، ليمنحَهُم فوقَ ما فُرِضَ لهم، أو يسلِّطَهُم على رقابِ العبادِ.
- يتوجَّهُ باهتمامِهِ إلى المستضعفينَ منَ الأمَّةِ، فيخدُمهم ويسهرُ على مصالحِهم دونَ منٍّ أو كبرياءٍ:
- «**وإيَّاكَ والمنَّ على رعيَّتِك بإحسانِكَ... فإنَّ المنَّ يُبطلُ الإحسانَ**».



٣- التَّواصلُ الإيجابيُّ معَ النَّاسِ (الرَّعيَّة)

ولتحقيقِ العدالةِ بكسبِ ثقةِ النَّاسِ ومشاركتِهم، يدعو الإمامُ عليه السلام الحاكمَ إلى توثيقِ العلاقةِ معَهم بالاتِّصالِ المستمرِّ بهم، فيجلسُ إليهم، وينفتحُ عليهم، فيتعرَّفُ إلى أحوالِهم عن قربٍ، ويستمعُ إلى مطالبِهم برحابةِ صدرٍ، لأنَّ الاحتجابَ عن الرَّعيَّةِ يؤدِّي إلى نتائجَ سلبيَّةٍ، منها:

١- يورثُ حالةَ جفاءٍ بينَ الحاكمِ والرَّعيَّةِ، فيصرفُ قلوبَهُم عنهُ، ويخفِّفُ من حماسِهم لتأييدِه ومناصرَتِه.

٢- يؤدِّي بهِ إلى قلَّةِ اطلاعٍ وفهمٍ لأحوالِهم، وإلى سوءِ ظنٍّ بخططِهِ وتصرُّفاتِهِ من جهتِهم، ما يولِّدُ أزمةَ ثقةٍ.

٣- قد يدفعُ إلى الانحرافِ عن الحقِّ دونَ قصدٍ، فالتَّقاريرُ الَّتي تُرفعُ إليهِ من الأجهزةِ الرَّقابيَّةِ قد تخطئُ، فلا تصوِّرُ الواقعَ على حقيقتِه نتيجةَ ميولٍ وأهواءٍ ومطامعَ.

يقولُ الإمامُ عليه السلام:

«**فلا تُطوِّلَنَّ احتجابَكَ عن رعيَّتِكَ، فإنَّ احتجابَ الولاةِ عن الرَّعيَّةِ شعبةٌ منَ الضِّيقِ، وقلَّةُ علمٍ بالأمورِ، والاحتجابُ منهُمْ يقطعُ عنهم علمَ ما احتجبوا دونَهُ، فيصغرُ عندَهُم الكبيرُ، ويعظمُ الصَّغيرُ، ويقبحُ الحسنُ، ويحسنُ القبيحُ، ويُشابُ الحقُّ بالباطلِ،**



وإنّما الوالي بَشَرٌ لا يعرفُ ما توارى عنهُ النّاسُ بهِ من الأمورِ، وليسَتْ على الحقّ سماتٌ تعرفُ بها ضروبَ الصّدقِ من الكذبِ».

وحتّى يحافظَ الحاكمُ على علاقاتِ الحبِّ والثّقةِ، ويروِّضَ نفسَهُ على التّواضعِ، يُطلَبُ منه:

أنْ يفتحَ أبوابَهُ لجميعِ ذوي الحاجاتِ في أوقاتٍ محدَّدةٍ، ليستمعَ إلى مطالبِهم من دونِ حواجزَ وقيودٍ، ويعالجَها بالأسلوبِ الإنسانيِّ الَّذي يراعي الأمزجةَ المتفاوتةَ، والحالاتِ المرضيَّةَ الخاصَّةَ.

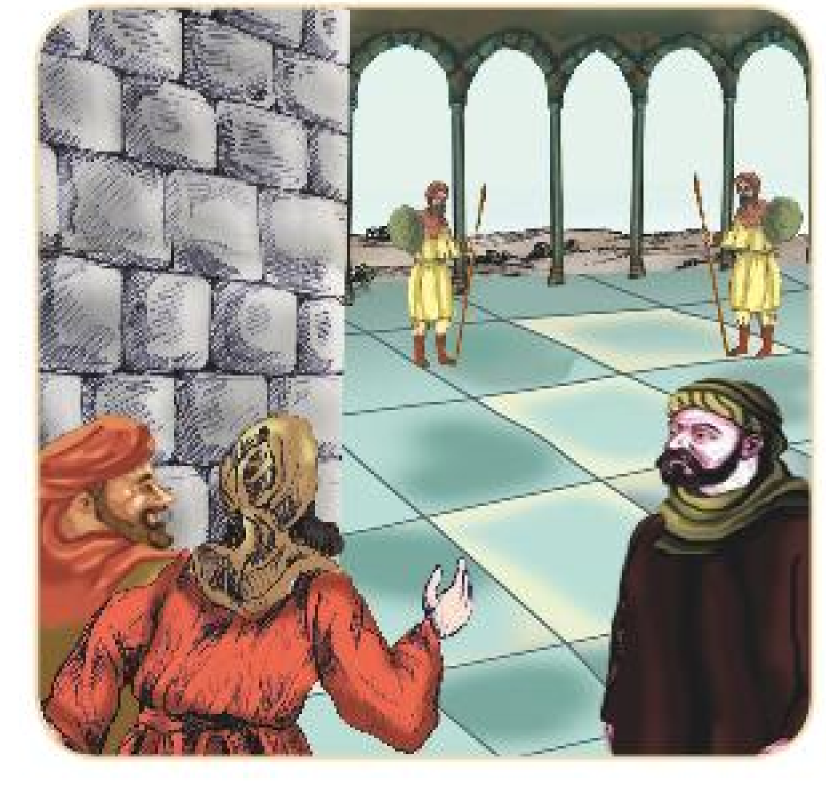
أنْ يجتمعَ بالعامَّةِ منَ النّاسِ بين حينٍ وآخرَ، ليشرحَ لهم نهجَهُ في الحكمِ، وخططَهُ في المستقبلِ، حتّى لا يُفاجأوا بإجراءاتٍ يُسيئون فيها الظَّنَّ، ويتوهَّمونَ فيها الظُّلمَ، ليحصُلَ من خلالِ ذلكَ على تأييدِهم ومناصرتِه. ولتحقيقِ أهدافِهِ يقولُ الإمامُ عليه السلام:

«واجعلْ لذوي الحاجاتِ منك قسمًا، تُفرِّغُ لهم فيه شخصَكَ، وتجلسُ لهم مجلسًا عامًّا، فتتواضعُ فيه للهِ الَّذي خلقَكَ، وتُقعدُ عنهم جندَكَ وأعوانَكَ من أحراسِك وشرطِك، حتّى يكلّمَكَ متكلّمُهم غيرَ مُتَتَعْتِعٍ، فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يقولُ في غيرِ موطنٍ: «لنْ تقدَّسَ أمَّةٌ لا يُؤخذُ للضّعيفِ فيها حقُّهُ من القويِّ غيرَ مُتتعتعٍ»، ثمَّ احتملِ الخُرقَ منهم والعيَّ، ونَحِّ عنكَ الضّيقَ والأنفَ، يبسطِ اللهُ عليكَ بذلكَ أكنافَ رحمتِهِ، ويوجبْ لكَ ثوابَ طاعتِهِ، وأعطِ ما أعطيتَ هنيئًا، وامنعْ في إجمالٍ وإعذارٍ».

ثمَّ يتابعُ عليه السلام القولَ:

«وإنْ ظنَّتِ الرَّعيَّةُ بك حيفًا، فاصحرْ (أظهرْ) لهم بعذرِكَ، واعدلْ عنك ظنونَهم بإصحارِك، فإنَّ في ذلكَ رياضةً منكَ لنفسِكَ، ورفقًا برعيَّتِكَ، وإعذارًا تبلغُ به حاجتَكَ من تقويمِهم على الحقِّ».

٤- الحاكمُ والحاشيةُ والمستشارونَ



والحاكمُ إنسانٌ، مهما بلغَ من العلمِ والخبرةِ، فإنَّهُ سيظلُّ محدودًا بمعارفِهِ وتجاربِهِ وإحاطتِهِ بكلِّ الظُّروفِ، لذا عليه – وهو في موقعِ المسؤوليَّةِ – استشارةُ أهلِ الفنِّ والاختصاصِ، فلا يتشبَّثُ برأيِه، ولا ينفردُ بموقفِه، وفي هذا الإطارِ يُطلقُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام حكمتَهُ: **«من شاورَ الرِّجالَ شاركَها في عقولِها».**

ويحدِّدُ الإمامُ عليه السلام صفاتِ أهلِ الشّورى بما يلي:

١- **الورعُ والصّدقُ والأمانةُ:** وهي صفاتُ الأشخاصِ الَّذينَ يخافونَ اللهَ، فلا يخدعونَ الحاكمَ بمدحِهِ والتَّزلُّفِ إليه دونَ حسابٍ كيلا يعيشَ حالتَي الكبرِ والزَّهوِ:

«وألصقْ بأهلِ الورعِ والصّدقِ، ثمَّ رُضْهُمْ على أن لا يطروكَ، ولا يبجحوكَ (يُفرحوك) بباطلٍ لم تفعلْهُ، فإنَّ كثرةَ الإطراءِ تُحدثُ الزَّهوَ، وتُدني من العزَّةِ (الكبرِ)».

٢- **العلمُ والحكمةُ والتَّجربةُ:** من خلالِ حضورِ مجالسِ العلماءِ ومحاورةِ الحكماءِ: يقولُ الإمامُ عليه السلام:

«وأكثرْ مُدارسةَ العلماءِ، ومنافثةَ الحكماءِ في تثبيتِ ما صلحَ عليه أمرُ بلادِك، وإقامةِ ما استقامَ به النّاسُ قبلَك».

٣- **الكرمُ والشَّجاعةُ والبذلُ:** لأنَّ البخلَ يمنعُ من الإحسانِ، والجبنَ يثبِّطُ الهممَ، والحرصَ يزيِّنُ الطمَعَ والظُّلمَ، وكلُّها صفاتٌ لا يحسُنُ فيها الظَّنُّ باللهِ تعالى:

«ولا تُدْخِلَنَّ في مشورتِكَ بخيلاً يعدلُ بكَ عن الفضلِ، ويعدُكَ الفقرَ، ولا جبانًا يُضْعِفُكَ عن الأمورِ، ولا حريصًا يزيِّنُ لكَ

الشَّرَهَ بالجَوْرِ، فإنَّ البخلَ والجُبْنَ والحِرْصَ غرائزُ شتّى يجمعُها سوءُ الظَّنِّ باللهِ».

٤- **احترامُ النّاسِ:** يطلبُ الإمامُ عليه السلام من مالكِ الأشترِ أن يُبعِدَ عنهُ الحاشيةَ الّتي تتتبَّعُ زلّاتِ النّاسِ وعيوبَهم ليشوا بها إلى الحاكمِ، فيفضحوا أسرارَهم العاديَّةَ، ويشوِّهوا سيرَةَ حياتِهم اليوميَّةَ، لأنَّ في ذلك عدوانًا صارخًا على حريّاتِهم وكراماتِهم.

فالحاكمُ العادلُ هو الّذي يحترمُ خصوصيّاتِ النّاسِ، فيسترُ العيوبَ، ويعالجُ الظّواهرَ، ويتركُ البواطنَ للهِ تعالى:

«وليكنْ أبعدَ رعيَّتِكَ منك، وأشنأَهُم عندَك، أطلبُهُم لمعايبِ النّاسِ، فإنَّ في النّاسِ عيوبًا، الوالي أحقُّ مَنْ سترَها، فلا تكشِفَنَّ عمّا غابَ عنك منها، فإنَّما عليك تطهيرُ ما ظهرَ لك، واللهُ يحكمُ على ما غابَ عنكَ، فاسترِ العورةَ ما استطعْتَ، يسترِ اللهُ منكَ ما تحبُّ سترَهُ من رعيَّتِك».

٥- **التّاريخُ النَّظيفُ:** وعلى الحاكمِ اختيارُ حاشيتِه من ذوي الآراءِ النّافذةِ، والتَّجاربِ الطَّويلةِ، والسِّيرةِ الصّالحةِ... من الّذينَ رفضوا السَّيرَ في ركابِ الظّالمينَ والطُّغاةِ، ومنَ الّذينَ لا يخافونَ قولَ الحقِّ، ولا يجارونَ الحاكمَ على الباطلِ.

«إنَّ شرَّ وزرائِكَ مَنْ كانَ للأشرارِ قبلَك وزيرًا، ومَنْ شَرَكَهُمْ منَ الآثامِ، فلا يكونَنَّ لكَ بطانةً، فإنَّهُم أعوانُ الأثمةِ وإخوانُ الظَّلمةِ... ثمَّ ليكنْ آثرُهُم عندَكَ أقوَلَهُمْ بمرِّ الحقِّ لكَ، وأقلَّهُمْ مساعدةً فيما يكونُ منكَ مما كرهَ اللهُ لأوليائِه، واقعًا ذلكَ من هواكَ حيثُ وقَعَ».



أختبر معارفي وقدراتي

من خلالِ عهدِ الأشترِ:

١- حدِّدْ طبيعةَ العلاقةِ الوجدانيَّةِ بينَ الحاكمِ والرَّعيَّةِ.

٢- عدِّدْ قواعدَ سياسةِ الحاكمِ معَ الخاصَّةِ... والعامَّةِ.

٣- عدِّدْ بعضَ إجراءاتِ التَّواصلِ الإيجابيِّ معَ النّاسِ.

٤- اذكرْ صفاتِ الحاشيةِ المستشارين.

من حصاد الدّرس

١- سياسةُ الحاكمِ معَ الأمَّةِ:

- يعيشُ أوضاعَ النّاسِ، ويعرفُ حاجاتِهم، ويفهمُ مخاوفَهم، ويبادِلُهم المحبَّةَ والثّقَةَ والاهتمامَ.
- يعالجُ نقاطَ ضعفِهم، ويعزِّزُ مواطنَ قوَّتِهم، ويعاملُهم بالعدلِ، ويتجاوزُ عن بعضِ أخطائِهم بالعفوِ.

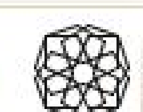
٢- سياسةُ الحاكمِ معَ العامَّةِ والخاصَّةِ:

- يحذرُ من متطلّباتِ الطبقةِ المُتْرَفةِ الّتي تأخذُ ولا تعطي، والّتي لا تشاركُ في المسؤوليّاتِ.
- يعتمدُ العدالةَ في الحكمِ، والتَّسويةَ في العطاءِ، والتَّوازنَ في المعاملةِ.
- يتوجَّهُ باهتمامِهِ إلى سدِّ حاجاتِ الفقراءِ، والسَّهرِ على مصالحِهم.

٣- التّواصلُ الإيجابيُّ معَ النّاسِ:

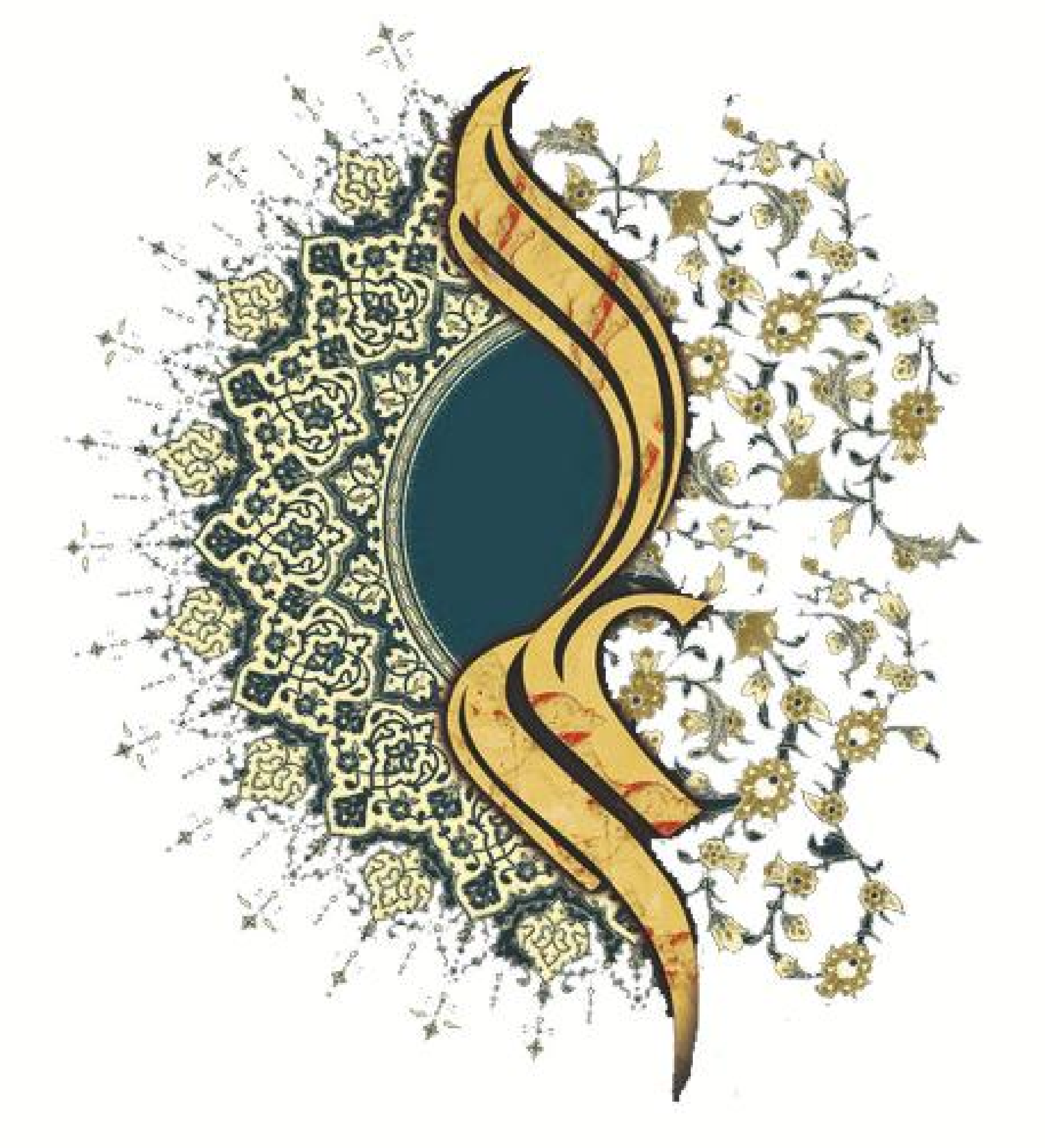


- يفتحُ أبوابَهُ لذوي الحاجاتِ في أوقاتٍ محدَّدةٍ، ليستمعَ إلى همومِهم.
- يجتمعُ بالنّاسِ ليشرحَ لهم نهجَهُ في الحكمِ، وخطَطَه في المستقبلِ، حتّى لا يُفاجأوا بإجراءاتٍ يتوهَّمونَ فيها الظُّلمَ.

٤- الحاكمُ والحاشيةُ والمستشارونَ: ينصحُ الإمامُ  الحاكمَ باختيارِ مستشارينَ يُعرفون بالورعِ والصِّدقِ والأمانةِ والعلمِ والخبرةِ والكرمِ والشَّجاعةِ واحترامِ النّاسِ، ومنَ الّذينَ يشتهرونَ بالتَّاريخِ النَّظيفِ.

من ثقافة الروح

من وصايا الإمامِ عليٍّ عليه السلام في عهدِ الأشترِ



١- «وتعهَّدْ أهلَ اليُتْمِ، وذوي الرِّقَّةِ في السِّنِّ ممَّنْ لا حيلةَ لهُ، ولا ينصبُ نفسَهُ للمسألةِ، وذلك على الولاةِ ثقيلٌ، والحقُّ كلُّهُ ثقيلٌ، وقد يخفِّفُهُ اللهُ على أقوامٍ طلبوا العاقبةَ، فصبَّروا أنفسَهُمْ، ووثقوا بصدقِ موعودِ اللهِ لهم...»

٢- «وإذا قمت في صلاتِك للنَّاسِ، فلا تكونَنَّ منفِّرًا أو مضيِّعًا، فإنَّ في النّاسِ من بهِ العلَّةُ ولهُ الحاجةُ، وقد سألتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله حين وجَّهني إلى اليمنِ: كيف أُصلّي بهم؟

فقالَ: صلِّ بهمِ كصلاةِ أضعفِهم، وكنْ بالمؤمنينَ رحيمًا».

تبقى في ذاكرتي

يقولُ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام:

«أأقنعُ من نفسي بأن يُقالَ أميرُ المؤمنينَ، ولا أشاركُهم في مكارهِ الدَّهرِ أو أكونُ أسوةً لهم في جشوبةِ العيشِ»



أبحاث المحور الثّاني ونشاطاته

الحركةُ العلميَّةُ في عهدي الإمامينِ الباقرِ عليه السلام والصّادقِ عليه السلام

(١) الإمامُ محمَّدٌ الباقرُ عليه السلام

١- اشرح علاقةَ الإمامِ الباقر عليه السلام بخلفاءِ عصرِه.

٢- اذكر كيف مارسَ الإمامُ الباقرُ عليه السلام نشاطَهُ العلميَّ؟
وكيفَ كانَتْ مكانتُهُ عندَ علماءِ المسلمينَ؟

(٢) الإمامُ جعفرٌ الصّادقُ عليه السلام

١- عدِّدْ أبرزَ اهتماماتِ مدرسةِ الإمامِ الصَّادقِ عليه السلام.

٢- حدِّد موقفَ الإمامِ الصَّادقِ من العلومِ المختلفةِ؟

سياسةُ الإمام عليٍّ عليه السلام في الحكمِ والإدارةِ

(٣) من عهدِهِ لمالكِ الأشترِ (١)

١- في عهدِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام لمالكِ الأشترِ، يتحدَّثُ عن الصِّفاتِ الأساسيَّةِ للحاكمِ الإسلاميِّ... بيِّن باختصارٍ أبرزَ عناوينِها.

(٤) من عهدِهِ لمالكِ الأشترِ (٢)

١- حتَّى تترسَّخَ علاقةُ المحبَّةِ والثِّقةِ ما بينَ الحاكمِ والرَّعيَّةِ، يقترحُ الإمامُ عليه السلام على مالكٍ الأشترِ سياسةً متوازنةً تأخذُ بعينِ الاعتبارِ المصالحَ العامَّةَ. اشرح أهمَّ بنودِ هذهِ السِّياسةِ في علاقتِه بالخاصَّةِ من النّاسِ والعامَّةِ؟

٢- في إطارِ التَّواصلِ الإيجابيِّ معَ النَّاسِ، ومن أجلِ توثيقِ العلاقةِ معَهم، وكسبِ ثقتِهم ينصحُ الإمامُ عليه السلام الحاكمَ بمواقفَ أخلاقيّةٍ وعلاقاتٍ إنسانيَّةٍ اجتماعيَّةٍ، اذكر أهمَّها؟





سبحان الله





المحور الثّالث: فقه والتزام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سُورَةُ الجَاثِيَةِ

صدق الله العلي العظيم

موضوعاتُ المحورِ







وصايا وحِكَمٌ

دَعِ الأيامَ تَفْعَلُ ما تشاءُ   وَطِبْ نَفسًا إذا حَكَمَ القضاءُ

ولا تجزعْ لحادثةِ اللّيالي   فما لحوادثِ الدُّنيا بقاءُ

وكنْ رجلاً على الأهوالِ جلْدًا   وشيمتُكَ السّماحةُ والوفاءُ

وإنْ كثُرت عيوبُك في البرايا   وسَرَّك أنْ يكونَ لها غِطاءُ

تستّرْ بالسّخاء فكلُّ عيبٍ   يغطّيهِ كما قيلَ السّخاءُ

ولا تُرِ للاعادي قطّ ذُلّاً   فإنَّ شماتةَ الأعدا بلاءُ

ولا ترجُ السّماحةَ من بخيلٍ   فما في النّارِ للظمآنِ ماءُ

ورزقُكَ ليسَ يُنقصُه التّأنّي   وليس يزيدُ في الرّزق العناءُ

ولا حزنٌ يدومُ ولا سرورٌ   ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ

إذا ما كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ   فأنتَ ومالكُ الدُّنيا سواءُ

ومن نزلَتْ بساحتِهِ المنايا   فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ

وأرضُ اللّهِ واسعةٌ ولكنْ   إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ

دعِ الأيّامَ تغدرُ كلّ حينٍ   فما يُغني عن الموتِ الدّواءُ

الإمامُ الشّافعيُّ





الدَّرسُ الأوَّلُ

الاقتصادُ الإسلاميُّ يعالجُ ظاهرةَ الفقرِ الأسلوبُ الوقائيُّ (١)



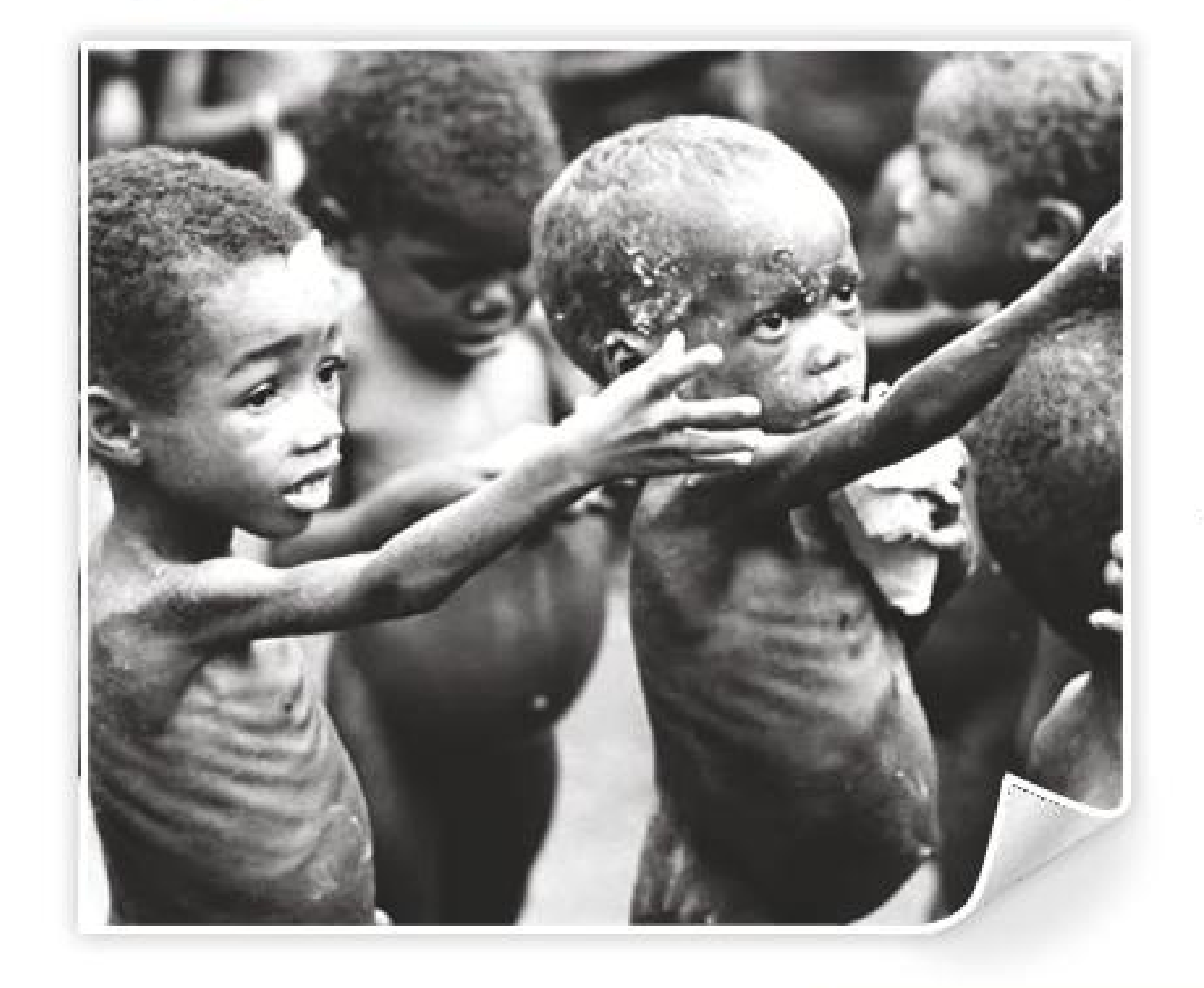
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ سُورَةُ الأَعْرَافِ





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أُحدِّدُ المصطلحَ الشَّرعيَّ للفقرِ والفقيرِ.
- أُعدِّدُ أسبابَ الفقرِ.
- أكتشفُ الأساليبَ الوقائيَّةَ لمعالجةِ الفقرِ في الإسلامِ.
- أتعرَّفُ إلى ارتباطِ سعَةِ الرِّزقِ بالتَّقوى.
- أُقدِّرُ أهميَّةَ معالجةِ الفقرِ في المجتمعِ.





أقرأ وأحلّل

مستند

- وردَ في الحديثِ عن الرَّسول ﷺ: «**نِعمَ العونُ على تقوى اللهِ: الغِنى**».
- وعنه أيضًا: «**من أكرمَ فقيرًا مسلمًا، لقيَ اللهَ يومَ القيامةِ وهوَ عنهُ راضٍ**».
- ويقولُ الصَّحابيُّ الجليلُ «أبو ذرٍّ الغِفاريُّ» أيضًا: «**كادَ الفقرُ أن يكونَ كُفرًا**».

إنَّ الاهتمامَ بظاهرةِ الفقرِ – ماضيًا وحاضرًا – لم يكنْ ترَفًا، ولا عبثًا، فالفقرُ شرٌّ مستطيرٌ، وداءٌ عُضالٌ قاتلٌ، إذا ما استشرى في واقعِ الأممِ كانَ السَّببَ في:

- انتشارِ الظُّلمِ الاجتماعيِّ، والقلقِ النَّفسيِّ.
- تفشّي الأمراضِ الجسديَّةِ والنَّفسيَّةِ بأنواعِها.



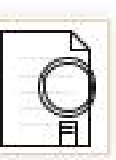
- ظهورِ الأميَّةِ والجهلِ والتَّخلُّفِ.
- الانحلالِ الخُلُقيِّ، وانتشارِ الجرائمِ.
- غرسِ بذورِ الحقدِ بينَ الطَّبقاتِ الاجتماعيَّةِ.
- الاضطراباتِ والثَّوراتِ الَّتي تؤدِّي إلى اهتزازِ النِّظامِ العامِّ.

إنَّ انتشارَ الفقرِ سببٌ رئيسٌ لانحطاطِ الأممِ وتَخلُّفِها، وعاملٌ أساسٌ للقضاءِ على طمأنينتِها واستقرارِها، وبما أنَّ الإسلامَ دينُ الحياةِ، وتبيانٌ لكلِّ شيءٍ، فقد اعتبرَ توفيرَ الكفايةِ المعيشيَّةِ أساسًا للأمنِ وسببًا في الاستعانةِ على تقوى اللهِ تعالى، وذلك من خلالِ آياتٍ قرآنيَّةٍ وأحاديثَ نبويَّةٍ وأحكامٍ شرعيَّةٍ عالجَتْ ظاهرةَ الفقرِ من جوانبَ متعدِّدَةٍ.



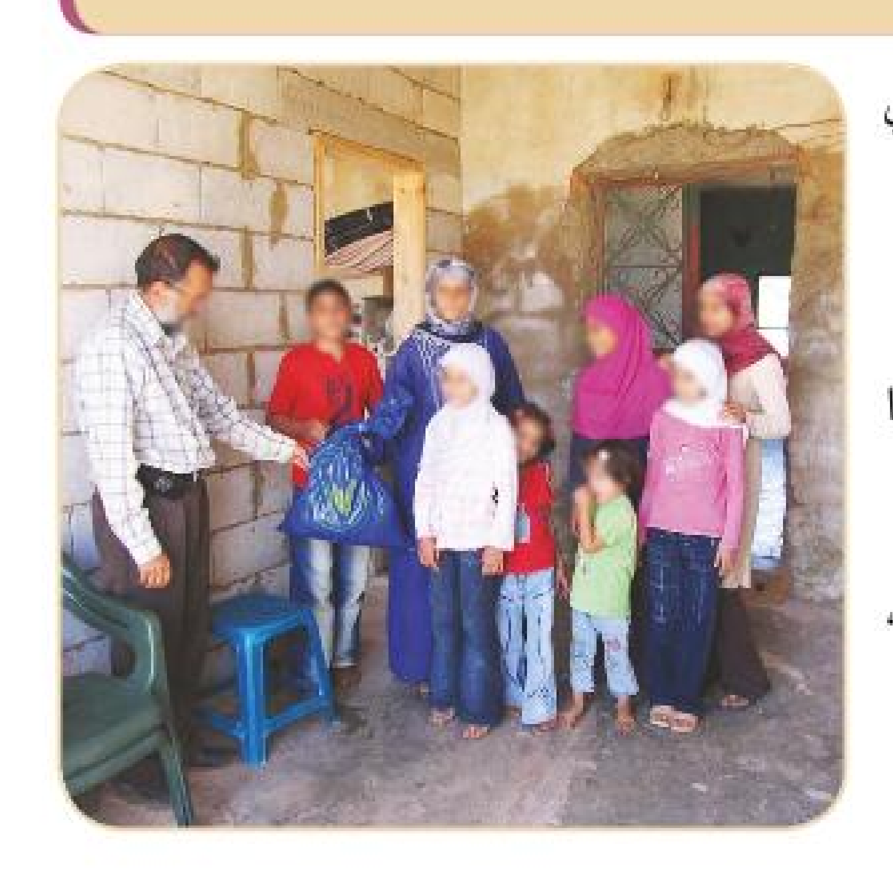
أطرحُ الموضوعَ

- من خلالِ هذا المستندِ بيِّنْ خطورةَ ظاهرةِ الفقرِ.
- حدِّدْ نظرةَ النُّصوصِ الدِّينيَّةِ إلى هذهِ الخطورةِ.
- وكيف عالجَتْ أسبابَها ونتائجَها؟



أقرأ وأتعرَّف

١- الفقرُ والفقيرُ



الفقرُ: هو عَجْزُ الإنسانِ عن تأمينِ حاجاتِهِ الضَّروريَّةِ الَّتي توفِّرُ لهُ الكفايةَ في العيشِ الكريمِ (المأكل، الملبس، السَّكن، التَّعليم...)

الفقيرُ: هو الَّذي لا يملكُ مؤنةَ سَنَتِهِ اللائقةِ بحالِهِ وعيالِهِ.

وتأمينُ الكفايةِ هوَ أحدُ الحقوقِ الأساسيَّةِ الَّتي لا يجوزُ التَّهاونُ بها، لأنَّها السَّبيلُ الواقعيُّ للحياةِ العزيزةِ.

ومن أجلِ ذلكَ كانَ الفقرُ موضوعَ همِّ الرِّسالاتِ السَّماويَّةِ، فانتشارُهُ في بلدٍ ما، يُعتبرُ سببًا لتخلُّفِ هذا البلدِ وانحطاطِهِ.

٢- من أسبابِ الفقرِ

وكي نتفادى سلبيّاتِ الفقرِ، ونعالجَ بعضَ نتائجِهِ، نلجأُ إلى بحثِ الأسبابِ المؤدِّيَةِ إليه، كمقدّمةٍ لتحديدِ طُرُقِ الوقايةِ منه في المستقبلِ.





الأسبابُ - هنا – تتوزَّعُ بينَ عاملينِ هُما:

أ- العاملُ الموضوعيُّ:

ويُقصَدُ به العواملَ الخارجةَ عن إرادةِ الإنسانِ، من أهمِّها:

١- قلَّةُ الموارِدِ الطَّبيعيَّةِ في بعضِ البلدانِ، مثل: تدنّي مستوى الإنتاجِ الزِّراعيِّ بفعلِ الجفافِ أو الزَّلازلِ أو الفيضاناتِ...

٢- انتشارُ الأمراضِ والأوبئةِ.

٣- الحروبُ والفتنُ وما ينتجُ عنها من بطالةٍ ودمارٍ.

٤- إهمالُ الحكوماتِ لتنميةِ المشاريعِ الزِّراعيَّةِ والصِّناعيَّةِ والتِّجاريَّةِ.

٥- سياسةُ الدُّوَلِ المستكبرةِ في إفقارِ الشُّعوبِ المستضعفةِ باستغلالِ مواردِهم الاقتصاديَّةِ، وجعلِ بلادِهم أسواقًا استهلاكيَّةً لمنتوجاتِهم.

٦- الشَّيخوخَةُ والمرضُ اللَّذانِ يمنعانِ الفردَ من الإنتاجِ، يُضافُ إليهما طوارئُ اليُتْمِ وتفكُّكُ الأسرةِ...

ب- العاملُ الذَّاتيُّ:

ويُقصَدُ بهِ ما يتحمَّلُ الفردُ مسؤوليَّتَهُ، من أهمِّ مظاهرِهِ:

١- روحُ الكسلِ والتَّواكُلِ وغيابُ إرادةِ الطُّموحِ.

٢- التَّبذيرُ والإسرافُ. يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «**سببُ الفقرِ الإسرافُ**».

٣- الأُمِّيَّةُ والجهلُ والتَّخلُّفُ...

وبما أنَّ الإسلامَ دينُ الحياةِ، الدِّينُ الَّذي تعالجُ تعاليمُهُ وأحكامُهُ كلَّ قضايا الإنسانِ الَّتي توفِّرُ لهُ الرَّفاهَ والأمانَ، فإنَّهُ أولى موضوعَ الفقرِ أهميَّةً قصوى، فحدَّدَ مصادرَ الثَّروةِ، ومواردَ الكسبِ المشروعِ، ورسمَ الخطوطَ العامَّةَ لمجتمعٍ اجتماعيٍّ متكافلٍ.

وفي هذا الإطارِ، حدَّدَ الإسلامُ أُسلوبينِ للمعالجةِ:

- الأسلوبَ الوقائيَّ الَّذي يحولُ دونَ انتشارِ الفقرِ.
- الأسلوبَ العلاجيَّ الَّذي يتصدَّى لواقعِ الفقرِ المحدقِ بالنّاسِ.

ومن الأسبابِ التي تُنزل الرزقَ التقوى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿٩٦﴾﴾
(الأعراف)

٣- الأسلوبُ الوقائيُّ

انطلقَ الإسلامُ في أسلوبِهِ الوقائيِّ من مبادئَ، منها:

أ- تشجيعُ السَّعي في طلبِ الرِّزقِ:

شجَّعَ الإسلامُ على العملِ المُفيدِ مهما كانَتْ طبيعتُهُ، فنظرَ إليهِ باحترامٍ، ورفعَهُ إلى مستوى العبادةِ والجهادِ.

عن الإمامِ عليٍّ عليه السلام: «**إنَّ اللهَ يحبُّ المحترفَ الأمينَ**».

وعن الرَّسولِ صلى الله عليه وآله: «**ما من مسلمٍ يزرعُ زرعًا، أو يغرسُ غرسًا، فيأكلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بَهيمَةٌ إلّا كانت له بهِ صدقةٌ**».





ورويَ عنه: «**أنَّهُ كانَ يسألُ عن الشَّخصِ إذا أعجبَهُ مظهرُهُ، فإنْ قيلَ له: ليس له حرفةٌ سقطَ من عينِه**».

و«**أنَّه رَفعَ يومًا يدَ عاملٍ مكدودٍ وقبَّلها، وقالَ: طلبُ الحلالِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ**».

وورد عن الإمامِ الصّادقِ عليه السلام: «**لا خيرَ فيمن لا يُحبُّ جمعَ المالِ مِن حلالٍ يكفُّ به وجهَه، ويقضي به دينَهُ، ويصلُ به رَحِمَهُ**».

هذهِ النُّصوصُ الدِّينيَّةُ وغيرُها تؤكِّدُ على احترامِ العملِ، وتُركِّزُ على توظيفِ الطّاقةِ البشريَّةِ في تنميةِ الإنتاجِ وتحريكِ عجلةِ الاقتصادِ، فبالعملِ تتوفَّرُ أسبابُ العيشِ الكريمِ، ويرتفعُ المستوى الاجتماعيُّ للأُمَّةِ.

ب- معالجةُ ظاهرةِ البطالةِ:



في الوقتِ الَّذي شدَّدَ الإسلامُ على العملِ اعتبرَ البطالةَ سببًا رئيسًا للفقرِ، ومشكلةً أساسيَّةً لتوازنِ الاقتصادِ.

فالإمامُ الكاظمُ عليه السلام حذَّرَ من انتشارِ روحِ الكسلِ في النّاسِ، فقالَ:

«**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يبغضُ العبدَ النَّوّامَ الفارغَ**».

«**ولا تكسلْ عن معيشتِكَ فتكونَ كَلًّا على غيرِك**».

وقد وردَ عن أحدِ أصحابِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام، أنَّهُ قالَ: «**رآني أبو عبدِ اللهِ عليه السلام، وقد تأخَّرتُ عن السّوقِ فقالَ لي: أُغدُ إلى عزِّكَ**».

ج- توفيرُ فرصِ العملِ:

والإسلامُ حينَ شدَّدَ على العملِ، وأنكرَ البطالةَ، لم يتركْ أبناءَهُ يتخبَّطونَ في التِّيهِ، فأمرَ بتهيئةِ الظُّروفِ المُلائمةِ من خلالِ:

- تعزيزِ مكانةِ العاملِ علميًّا ومهنيًّا واجتماعيًّا.
- توفيرِ فرصِ العملِ المُنتجِ بوظائفَ ومؤسَّساتٍ زراعيَّةٍ وصناعيَّةٍ...
- تأمينِ وسائلِ الإنتاجِ.
- تقديمِ القروضِ والمساعداتِ الماليَّةِ لإصلاحِ الأراضي وفتحِ المصانعِ وغيرِها.

كلُّ ذلكَ نستفيدُهُ من أحاديثَ ومواقفَ نبويَّةٍ وإماميَّةٍ:

- يُروى أنَّ رجلاً شابًا جاءَ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يشكوهُ الحاجَةَ، فقدَّمَ له فأسًا، وطلبَ منه العملَ بجمعِ الحطبِ وبيعَهُ لسدِّ حاجتِهِ.
- الإمامُ عليٌّ عليه السلام يؤكِّدُ ذلك في عهدِهِ لمالِكِ الأشترِ، فيقولُ:

«**وليكنْ نظرُكَ في عمارةِ الأرضِ، أبلغَ من نظرِكَ في استجلابِ الخراجِ، لأنَّ ذلكَ لا يُدركُ إلّا بالعمارةِ، ومَنْ طلبَ الخراجَ بغيرِ عمارةٍ، أخربَ البلادَ وأهلَكَ العبادَ**».





د- محاربةُ الإثراءِ غيرِ المشروعِ:

والإسلامُ في دعوتِه الصّادقةِ إلى العملِ، لم يقصدْ به أيَّ عملٍ كانَ، وإنَّما القصدُ هو العملُ المشروعُ بالوسيلةِ الشَّريفةِ، العملُ الَّذي لا يرافقُه ظلمٌ أو أذى.

لذا حرَّمَ الإسلامُ بعضَ السُّبلِ لجمعِ الثَّروةِ، لأنَّها تسلكُ طرقًا ملتويةً تنشدُ المالَ على حسابِ المستهلكينَ الفقراءِ، والكادحينَ الضُّعفاءِ، من هذهِ الطُّرقِ:

١- الرِّبا (الفائدة)

ومنه أن يدفعَ المرابي إلى شخصٍ آخرَ مبلغًا من المالِ على سبيلِ القرضِ لمدَّةٍ محدودةٍ، على أن يستردَّهُ بزيادةٍ في الوقتِ المُحدَّدِ، مثالٌ على ذلك: أنْ يدفعَ المرابي أو المصرف مليونَ ليرةٍ لمدَّةِ سنةٍ، على أن يردَّهُ المدينُ مليونًا ومائةَ ألفٍ في نهايةِ السَّنةِ بزيادةِ (١٠٪).

واللهُ تعالى حرَّمَ الرِّبا بشكلٍ حاسمٍ تشهدُ بذلكَ الآيةُ الكريمةُ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة)

٢- الاحتكارُ:

وهو حَبْسُ السِّلَعِ الضَّروريَّةِ، والامتناعُ عن بيعِها في انتظارِ زيادةٍ في ثمنِها معَ حاجةِ النّاسِ إليها، وعدمِ وجودِ الباذلِ لها.

من النُّصوصِ الَّتي تشجبُ الاحتكارَ: عن النَّبيِّ ﷺ: - «**الجالبُ مرزوقٌ، والمحتكرُ ملعونٌ**».

- «**لا يحتكرُ الطَّعامَ إلّا خاطئٌ**».

وفي عهدِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام إلى واليه على مصرَ «**مالكِ الأشترِ**» **يقولُ في شأنِ التُّجارِ، «واعلمْ معَ ذلك أنَّ في كثيرٍ منهم ضيقًا فاحشًا، وشُحًّا قبيحًا، واحتكارًا للمنافعِ، وتحكُّمًا في البياعاتِ، وذلكَ بابُ مضرَّةٍ للعامَّةِ، وعيبٌ على الولاةِ، فامنعْ من الاحتكارِ، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ منعَ منه، فمن قارفَ حكرةً بعدَ نهيِك إيّاهُ، فنكِّلْ بهِ، وعاقبْ من غيرِ إسرافٍ».**

٤- ضبطُ الأسعار

ويتابعُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في شأنِ ضبطِ الأسعارِ: «**وليكنِ البيعُ سَمْحًا، بموازينِ عدلٍ، وأسعارٍ لا تُجحِفُ بالفريقينِ من البائعِ والمبتاعِ...**».

فحتَّى لا يزدادَ فقرُ البائسينَ، ولا تتحوَّلَ أموالُهم – بشكلٍ فاحشٍ – إلى جيوبِ المستغلِّينَ... أوصى الإسلامُ البائعينَ بالرَّحمةِ والسَّماحةِ، فإذا ما طُرِحَتْ بينَ أيديهم حاجاتُ النّاسِ، فعليهم بالتَّوازنِ، فلا يطمعوا، ولا يستغلّوا الظُّروفَ الصَّعبةَ ليبيعوا بأسعارٍ مرتفعةٍ تثقلُ كاهلَ الأمَّةِ.

أما إذا استرسلَ هؤلاءِ في طُغيانِهم، وانطلقوا يبالغونَ في رفعِ الأسعارِ، هنا يجبُ على الدَّولةِ التَّدخُّلُ بطريقينِ هما:

- ضبطُ الأسعارِ المتعارفَةِ إذا كانَ الضَّررُ مُحْدِقًا.
- أو طرحُ السِّلَعِ المحتكرةِ بأسعارٍ معقولةٍ، بحيثُ يجبرُ أولئكَ على التزامِ جانبِ الاعتدالِ.



٥- الغشُّ

وهوَ كتمانُ عيبِ السِّلعةِ وإخفاؤه مكرًا وخداعًا على المشتري، والغِشُّ عاملٌ من عواملِ الفقرِ، ولونٌ من ألوانِ الخيانةِ والظُّلم والكذب. والأحاديثُ المأثورةُ تسهبُ في الحديثِ عن خطورتِه:

«**مَنْ غشَّ مسلمًا في شراءٍ أو بيعٍ فليسَ منّا**».

«**مَنْ غشَّ أخاهُ المسلمَ نزعَ اللهُ بركةَ رزقِه، وسدَّ عليه معيشتَهُ، ووكلَهُ إلى نفسِه**».

عن «موسى بن بكرٍ» قالَ: كُنّا عندَ أبي الحسنِ الكاظمِ ﵇، فإذا دنانيرُ مصبوبةٌ بينَ يديهِ، فنظرَ إلى دينارٍ، فأخذَهُ بيدِه، ثمَّ قطَعَهُ نصفينِ، وقالَ: ألقِهِ في البالوعةِ حتَّى لا يُباعَ بشيءٍ فيه غشٌّ».

٦- الغَصْبُ

وهو الاستيلاءُ على حقوقِ الآخرينَ عنوةً وظُلمًا، وقد حرَّمَهُ الإسلامُ، واعتبرَهُ سببًا لانتشارِ الفقرِ، لذلكَ وضعَ حدودًا شرعيَّةً صارمةً على كُلِّ من يحاولُ الاستيلاءَ على حقوقِ الآخرينَ، فأمرَ – مثلاً – بقطعِ يدِ السّارقِ وفق شروط محدّدة.

منَ النُّصوصِ الدِّينيَّةِ الَّتي تحرِّمُ غصبَ المالِ:

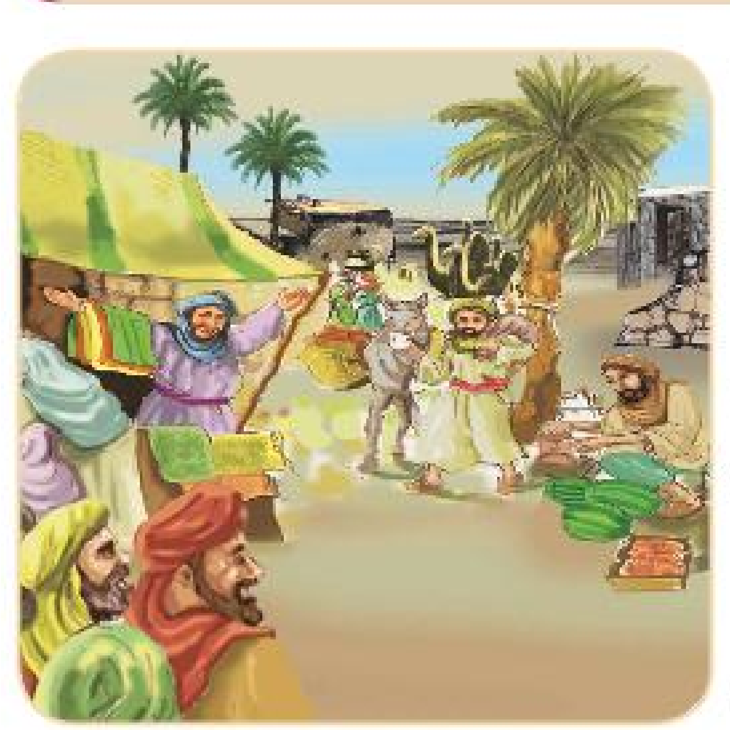
- الآيةُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمۡ ۝﴾ (النساء)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارًاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرًا ۝﴾ (النساء)

- عن رسول اللهِ ﷺ: «**حرمةُ مالِ المسلمِ كحرمةِ دمِه**».

«**لا يحلُّ مالُ امرئٍ إلاّ عن طيبِ نفسٍ منهُ**».

٧- محاربةُ الجشعِ والطَّمعِ



في المفهومِ الإسلاميِّ: أنَّ اللهَ تعالى هو المالكُ الحقيقيُّ للثَّروةِ، وهو الَّذي منحَ الإنسانَ حقَّ الإفادةِ منها، عن طريقِ استغلالِها والانتفاعِ بها لمصالحِه الخاصَّةِ، ومصالحِ المجتمعِ العامَّةِ: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ... ۝﴾ (الحديد)

واللهُ تعالى حينَ استخلفَ الإنسانَ على مالِه، لم يمنحْهُ الحريَّةَ المطلقةَ في أمرِ التَّصرُّفِ بِه، وإنَّما حدَّدَ له مصادرَهُ المشروعَةَ، وأُطُرَ جمعِه وإنفاقِه، ليكونَ أداةً لخدمةِ الإنسانِ، ووسيلةً لرُقيِّ الحياةِ.

في هذا الإطارِ، أنكرَ الإسلامُ على الأغنياءِ الجشعَ والطَّمعَ، بحيثُ يتحوَّلُ جمعُ المالِ لديهم إلى همٍّ يسيطرُ على مشاعرِهم، فتصبحُ علاقاتُهم بإخوانِهم لا تنطلقُ من أخلاقِ الأخوَّةِ والرَّحمةِ والعدالةِ، بل من خلالِ ما تجرُّ إليهم من منافعَ ماديَّةٍ، ومصالحَ شخصيَّةٍ.

فالثَّروةُ هنا وَبالٌ على الإنسانِ إذا حجبتهُ عن ربِّه، وجرَّدتْهُ من إنسانيَّتِه، وجعلتْهُ سببًا لإفقارِ النّاسِ وتعطيلِ مسيرتِهم

الإنتاجيَّة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (التوبة)

ولكي يحولَ الإسلامُ دونَ تكديسِ الثّرواتِ وتعطيلِ استثمارِها شرَّعَ:

- حقوقًا ماليَّةً على الثَّرواتِ النَّقديَّةِ والحيوانيَّةِ والنَّباتيَّةِ والمعدنيَّةِ لصالحِ الفقراءِ، والمحرومينَ والمشاريعِ الخيريَّةِ الَّتي تخفِّفُ من غلواءِ الفقرِ والمشاكلِ الاجتماعيَّةِ.
- قانونَ الإرثِ الَّذي يوزِّعُ الثَّروةَ ما بين الوَرَثَةِ.

٨- النَّهيُ عن الإسرافِ والتَّبذيرِ

وفي موضوعِ الإنفاقِ وضعَ اللهُ للإنسانِ حدودًا وسطيَّةً تكفلُ له الحياةَ الكريمةَ، فحذَّرَ من البخلِ، ومَنَعَ من الإسرافِ:

﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ (الإسراء)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ (الفرقان)

وفي جانبٍ آخرَ، اعتبرَ الإسلامُ إتلافَ المالِ بطرقٍ محرَّمةٍ نوعًا من السَّفهِ والحمقِ والتَّبذيرِ: كتعاطي الخمورِ والمُخدِّراتِ والقمارِ وسواها... لذا حرَّمها لكونها أعمالاً تُبدِّدُ الثَّرواتِ في مجالاتٍ فاسدةٍ وغيرِ منتجةٍ:

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ... ﴾ (البقرة)

خلاصةُ القولِ: إنَّ التَّربيةَ على التَّقوى، والحثَّ على العملِ، ومحاربةَ البطالةِ، وتأمينَ فرصِ العملِ، وتحريمَ الإثراءِ غيرِ المشروعِ، ومنعَ تكديسِ الثّرواتِ، والنَّهيَ عن الإسرافِ... كلُّها وسائلُ عمليَّةٌ، وأساليبُ وقائيَّةٌ تنظِّمُ جمعَ المالِ وإنفاقَهُ، وتمنعُ الظُّلمَ، وتحولُ دونَ تبديدِ الطّاقاتِ، وهذا ما يزيلُ أسبابَ الفقرِ، ويحولُ دونَ انتشارِهِ.

أختبر معارفي وقدراتي

١- عرِّف مُصطلَحي الفقرِ والفقيرِ في الإسلامِ.

٢- عدِّدْ أسبابَ الفقرِ.

٣- اذكرْ عناوينَ الأسلوبِ الوقائيِّ لحالةِ الفقرِ.

٤- بيِّنْ موقفَ الإسلامِ من:

- تشجيعِ العملِ، وتوفيرِ فرصِهِ.
- معالجةِ ظاهرةِ البطالةِ.
- محاربةِ الإثراءِ غيرِ المشروعِ، والجشعِ والطَّمعِ.
- ضبطِ الأسعارِ.
- الإسرافِ والتَّبذيرِ.





من حصاد الدَّرس

١- الفقرُ هو عجزُ الإنسانِ عن تأمينِ حاجاتِهِ الضَّروريَّةِ الَّتي توفِّرُ له مستوى الكفايةِ في العيشِ.

الفقيرُ هوَ الإنسانُ الَّذي لا يملكُ مؤنةَ سنتِهِ اللّائقةِ بحالِهِ وعيالِهِ.

٢- من أسبابِ الفقرِ:

أ- العاملُ الموضوعيُّ: - قِلَّةُ المواردِ الطَّبيعيَّةِ بسببِ الجفافِ، الفيضانِ.

- انتشارُ الأوبئةِ.
- الحروبُ والفتنُ.
- إهمالُ الحكوماتِ.
- الشَّيخوخةُ والمرَضُ.

ب- العاملُ الذَّاتيُّ: - الكسلُ والتَّواكلُ.

- الإسرافُ والتَّبذيرُ
- الأُميَّةُ والجهلُ.

٣- من الأساليبِ الوقائيَّةِ:

أ- السَّعيُ في طلبِ الرِّزقِ... عن الرَّسولِ ﷺ: **إنَّ اللهَ يحبُّ المحترفَ الأمينَ.**

ب- معالجةُ البطالةِ... عن الرَّسولِ ﷺ: **إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يبغضُ العبدَ النوَّامَ ...**

ج- توفيرُ فرصِ العملِ.

د- محاربةُ الإثراءِ غيرِ المشروعِ: الرِّبا، الاحتكارُ، الغلاءُ، الغشُّ، الغصبُ...

﴿ أحلَّ اللّهُ البيعَ وحرَّمَ الرِّبا ﴾

«لا يحتكرُ الطَّعامَ إلا خاطئٌ»

«من غشَّ مسلمًا في شراءٍ أو بيعٍ فليسَ منَّا»

هـ- عدمُ تشجيعِ الاستغراقِ في جمعِ المالِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ (التوبة)

و- النَّهيُ عن الإسرافِ والتَّبذيرِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ (الفرقان)

وتبقى التقوى من أهم الأسباب التي تُنزِلُ الرزقَ





من ثقافة الروح

الانتصارُ للفقراءِ

"يُروى أنَّ الملأَ من قريشٍ مرّوا على رسولِ اللهِ ﷺ وعندَهُ صُهيبٌ وخبابٌ وبلالٌ وعمّارٌ وغيرُهم من ضعفاءِ المسلمينَ، فقالوا: يا محمَّدُ!... أرضيتَ بهؤلاءِ من قومِك؟ أفنحنُ نكونُ تبعًا لهم؟ أهؤلاءِ الَّذينَ منَّ اللهُ عليهم؟ اطردْهُم عنكَ، فلعلَّكَ إن طردتَهُمْ اتَّبعناك.

رفضَ الرَّسولُ ﷺ ذلكَ بشدّةٍ، وأيَّدتْهُ في ذلكَ الآيةُ الكريمةُ:

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (الأنعام)



تبقى في ذاكرتي

يقولُ اللهُ تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ **(البقرة)**



الدَّرسُ الثّاني

الاقتصادُ الإسلاميُّ يعالجُ ظاهرةَ الفقرِ الأسلوبُ العلاجيُّ (٢)



﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) ﴾ سورة المعارج

صدق الله العليّ العظيم





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أستدلُّ على اهتمامِ التّشريعِ الإسلاميِّ بالفقراءِ.
- أكتشفُ أهمَّ الأساليبِ العلاجيَّةِ لواقعِ الفقرِ.
- ألتزمُ التّكاليفَ الشَّرعيَّةَ في معالجةِ الفقرِ.
- أؤمنُ بأهميَّةِ دورِ الفقيرِ في معالجةِ فقرِه.



أقرأ وأحلّل

مستند

- وردَ في الحديثِ الشَّريفِ: «**أنَّ اللهَ تعالى خاطبَ النَّبيَّ ﷺ في ليلةِ المعراجِ: يا أحمدُ!... محبَّتي محبَّةُ الفقراءِ، فأدنِ الفقراءَ، وقرِّبْ مجلسَهُم منكَ، فإنَّ الفقراءَ أحبّائي**».

- عن الإمامِ جعفرٍ الصّادقِ عليه السلام:

«**من حقِّ المؤمنِ على أخيه المؤمنِ: أنْ يُشبعَ جوعتَهُ... ويفرِّجَ كُربتَهُ، ويقضي دينَهُ، فإذا ماتَ خَلَفَهُ في أهلِهِ ووُلدِه**».





أطرحُ الموضوعَ

- اذكرْ وصيَّةَ اللّهِ تعالى للنَّبيِّ ﷺ.
- حدِّدْ كيف يُجسِّدُ المسلمُ هذهِ الوَصيَّةَ.
- بيِّن حقوقَ المؤمنِ على المؤمنِ من خلالِ قولِ الإمامِ الصّادقِ عليه السلام.
- ما هيَ أهمُّ التّشريعاتِ الَّتي يعالجُ الاسلام فيها الفقرَ والحاجةَ؟

أقرأ وأتعرَّف

الأسلوبُ العلاجيُّ

بعدَ أنْ حدَّدَ الإسلامُ أساليبَهُ الوقائيَّةَ، رسمَ المنهجَ الملائمَ لعلاجِ ظاهرةِ الفقرِ في حالِ بروزِ عوامِلِهِ من يُتمٍ أو عجزٍ أو شيخوخةٍ أو بطالةٍ أو كوارثَ طبيعيَّةٍ، أو أزماتٍ اقتصاديَّةٍ... وهذا المنهجُ ينطلقُ من أمرينِ:

١- تعزيزُ مكانةِ الفقراءِ في التَّوجيهِ الإسلاميِّ



وينطلقُ من موقفينِ هُما:

أ- إكرامُ الفقراءِ: من خلالِ مبادئِ حقوقِ الإنسانِ في الإسلامِ (الحريَّة، الإخاء، العدالة...) أزاحتِ التَّعاليمُ السَّماويَّةُ الحواجزَ النَّفسيَّةَ الَّتي كانتْ تُشعرُ الفقراءَ بالمهانةِ، فأعادَتْ إليهم ثقتَهُم بأنفسِهم، فالإنسانُ أخو الإنسانِ، لا فرقَ بينَ غنيٍّ وفقيرٍ، وأبيضَ وأسودَ... لهم حقوقٌ، وعليهم واجباتٌ، ومن يلتزمْ بها، يكنْ قريبًا من اللّهِ تعالى، ومحترمًا مِن الناسِ، واللّهُ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ...﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)

على هذا الأساسِ أكَّدَ الإسلامُ على إكرامِهم، وتعزيزِ مكانتِهم، ورفعِ معنويّاتِهم، لأنَّهم يُشكِّلونَ الجانبَ الأضعفَ بين فئاتِ المجتمعِ:

- قالَ أبو ذرٍّ الغِفاريُّ: **أوصاني رسولُ اللّهِ... أن أنظرَ إلى مَن هو دوني، ولا أنظرَ إلى مَن هو فوقي، وأوصاني بحبِّ المساكينِ والدُّنوِّ منهم.**

- **وروي أنَّ النَّبيَّ سليمانَ عليه السلام كان إذا أصبحَ تصفَّحَ وجوهَ الأغنياءِ والأشرافِ، حتَّى يجيءَ إلى المساكينِ، ويقعدَ معَهم ويقولَ: مسكينٌ معَ المساكينِ.**



ب- الانتصارُ للفقراءِ

ولا تقفُ رعايةُ الفقراءِ عندَ حدودِ إكرامِهم، بل تتجاوزُها إلى الدِّفاعِ عن قضاياهم، والانتصارِ لهم في المواقعِ الَّتي يتعرَّضونَ فيها إلى الأذى والظُّلم، فقد وردَ عن رسولِ اللهِ ﷺ:

«ومن استذلَّ مؤمنًا أو حقَّرَهُ لفقرِه، أو قلَّةِ ذاتِ يدِه، شهَّرَهُ اللهُ يومَ القيامةِ».

بهذه السِّياسةِ العادلةِ أعادَ الإسلامُ إلى الفقراءِ ثقتَهم بربِّهم وبأنفسِهم، وأغناهم بالإيمانِ، وشحنَهم بطاقاتٍ روحيَّةٍ فجَّرَتْ فيهم عناصرَ الجدِّ في العملِ، والثَّورةِ على الظُّلم، فتجاوزوا آلامَ فقرِهم، واندفعوا يعملونَ ويُجاهدونَ حتَّى استطاعوا دكَّ عروشِ الطُّغاةِ، وقيادةَ مسيرةِ العالمِ فترةً من الزَّمنِ، ويكفيكَ قراءةُ تاريخِ الأنبياءِ والأولياءِ لتكتشفَ هذا الواقعَ المُضيءَ عن كثبٍ.

٢- أساليبُ العلاجِ لواقعِ الفقرِ

الهدفُ منها حمايةُ الفقراءِ من شبحِ الفقرِ، من خلالِ تأمينِ مستوى لائقٍ منَ العيشِ، ويكونُ ذلكَ بطريقينِ هُما:

أ- التَّكافلُ الاجتماعيُّ:

ويعني التزامَ المسلمينَ برعايةِ فقرائِهم، وسدِّ حاجاتِهم المعيشيَّةِ، في الوقتِ الَّذي تتقاعسُ أجهزةُ الدَّولةِ عن أداءِ واجباتِها.

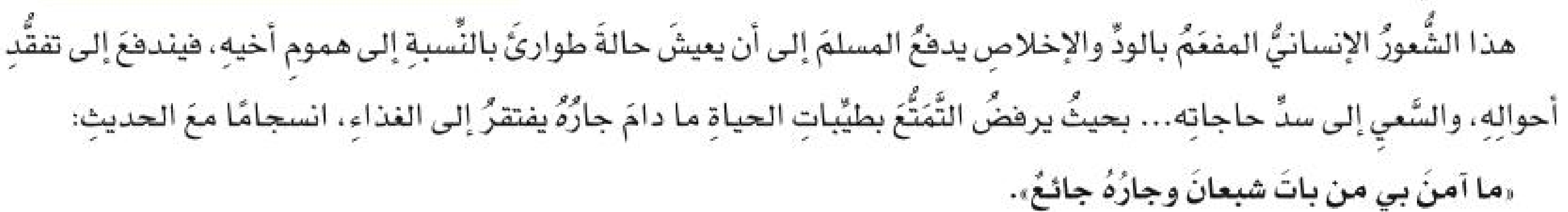
ولضمانِ تحقيقِ التَّكافلِ الاجتماعيِّ، اعتمدَتِ الشَّريعةُ إطارينِ للعملِ هما:

- الإطارُ التَّربويُّ:

في إطارِ التَّربيةِ، أثارَ الإسلامُ في نفوسِ أبنائِهِ أخلاقَ المحبَّةِ والأخوَّةِ والتَّعاونِ، فيحبُّ المسلمُ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِه، ويتعاونُ معَهُ على البرِّ والتَّقوى، ويشاركُهُ همومَ العيشِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ.

هذا الشُّعورُ الإنسانيُّ المفعَمُ بالودِّ والإخلاصِ يدفعُ المسلمَ إلى أن يعيشَ حالةَ طوارئَ بالنِّسبةِ إلى همومِ أخيهِ، فيندفعَ إلى تفقُّدِ أحوالِهِ، والسَّعيِ إلى سدِّ حاجاتِه... بحيثُ يرفضُ التَّمتُّعَ بطيِّباتِ الحياةِ ما دامَ جارُهُ يفتقرُ إلى الغذاءِ، انسجامًا معَ الحديثِ:

«ما آمنَ بي من باتَ شبعانَ وجارُهُ جائعٌ».



ويحدِّدُ الإمامُ الصّادقُ عليه السلام حقوقَ المسلمِ على أخيهِ في إطارِ التَّكافلِ الاجتماعيِّ:

«أن تعينَهُ بنفسِكَ ومالِكَ ولسانِكَ ويدِكَ ورجلِكَ»... «لا تشبعُ ويجوعُ، ولا تروى ويظمأُ، ولا تلبسُ ويعرى... ».

- الإطارُ الشَّرعيُّ (القانونيُّ): ولم يكتفِ الإسلامُ بإثارةِ الجانبِ الوجدانيِّ فقطْ، بل أرادَ أن تتمَّ صيغةُ التَّكافلِ بإطارٍ قانونيٍّ شرعيٍّ ملزمٍ، يخضعُ له المسلمُ سواءٌ في ظلِّ حكمٍ إسلاميٍّ أو غيرِهِ، وذلكَ بدفعِ حقوقٍ شرعيَّةٍ في أوقاتٍ محدَّدةٍ، وحالاتٍ معيَّنةٍ، من أجلِ:

- رفعِ المستوى الماديِّ للفقراءِ.
- تغذيةِ المشاريعِ الإنمائيَّةِ الَّتي تستفيدُ منها الحالاتُ الاجتماعيَّةُ الفقيرةُ.



ومن هذه الحقوقِ الشَّرعيَّةِ الواجبةِ والمستحبَّةِ:

١- **الزَّكاةُ**: وهي على نوعينِ هُما:

- زكاةُ الأموالِ: وهي فريضةٌ ماليَّةٌ على الثَّرواتِ النَّقديَّةِ (الدَّنانير الذَّهبيَّة والدَّراهم الفضيَّة) والغلاَّتِ الأربعِ (القمح والشَّعير والتَّمر والزَّبيب) والأنعامِ (الغنم أو الماعز والبقر والإبل).

وقد حدَّدتِ الشَّريعةُ مقدارَها ونصابَها ووجوهَ صرفِها.

- زكاةُ الأبدانِ، وتُعرفُ بزكاةِ الفطرةِ، تُدفعُ قبل زوال يومَ عيدِ الفطرِ السَّعيدِ.

تحدِّدُ الآيةُ الكريمةُ الجهاتِ الثَّمانيةَ الَّتي تستفيدُ من الزَّكاةِ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ (التوبة)

٢- **الخمسُ**: وهو فريضةٌ ماليَّةٌ على أرباحِ المسلم الَّتي تزيدُ عن مؤنةِ سنتِهِ. بدفعِ خُمسِ الزِّيادةِ الفائضةِ.

مثالٌ: إذا كانَ المسلمُ قد حصلَ في سنتِهِ على أموالٍ، وصرفَها في معيشتِه، وبقيَ معَهُ في آخرِ السَّنةِ زيادةٌ مليونُ ليرةٍ، فعليهِ أن يدفعَ خُمسَها، ومقدارُهُ مئتا ألفِ ليرةٍ.

تحدِّدُ الآيةُ الكريمةُ الجهاتِ الَّتي تستفيدُ من الخمسِ:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ... ٤١﴾ (الأنفال)

٣- **الكفَّاراتُ ومُلحقاتُها**: الَّتي تُغطّي بعضَ ذنوبِ المسلمِ، وتوجبُ بذلاً ماليًّا من خلالِ الإطعامِ أو الكسوةِ أو تحريرِ رقبةٍ أو غيرِ ذلكَ. منها:

أ- كفارةُ إفطارِ العمدِ في شهرِ رمضانَ على غيرِ محرَّم، وهي مُخيَّرةٌ بعَتقِ رقبةٍ، أو صيامِ شهرينِ مُتتابعين، أو إطعامِ ستّينَ مسكينًا.

ب- كفّارةُ حنَثِ اليمينِ وهي: عتقُ رقبةٍ، أو إطعامُ عشرةِ مساكينَ أو كسوتُهُمْ مُخيّرًا بينها، فإن عجزَ عن الجميعِ فصيامُ ثلاثةِ أيّامٍ.

ج- فديةُ الإفطارِ لمنَ أخَّرَ قضاءَ الصَّومِ إلى ما بعدَ شهرِ رمضانَ الثّاني، وهي وجوبُ التَّصدُّقِ من الطَّعامِ عن كلِّ يومٍ، أي ما يعادلُ ثلاثةَ أرباعِ الكيلو من الحنطةِ عن كُلِّ يومٍ.

د- فدية عدم القدرة على الصوم (الشيخ والشيخة...)

هذهِ حقوقٌ مفروضةٌ، يأثمُ المسلمُ المكلَّفُ على تجاوزِها أو التَّمنُّنِ بإنفاقِها.

٤- **تكافلُ الأقرباءِ**: في إطارِ التَّكافلِ أوجبَ الإسلامُ على الأولياءِ الشَّرعيِّينَ إعالةَ المسؤولينَ عن كفالتِهم من الأمثلةِ:

- إنفاقُ الزَّوجِ على زوجتِهِ، حتى ولو كانَتْ غنيَّةً.

- إنفاقُ الجدِّ على أطفالِ ولدِه المتوفّى.

أما إذا كانَ الوليُّ الشَّرعيُّ عاجزًا عن توفيرِ النَّفقاتِ للقاصرينَ، فإنَّ الحقوقَ الشَّرعيَّةَ تؤمِّنُ ذلك.

٥- **الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ تعالى:** بعدَ أداءِ الفرائضِ الماليَّةِ الواجبةِ، شجَّعَ الإسلامُ على الإنفاقِ على وجهِ الاستحبابِ، ووعدَ المُنفقينَ بالثَّوابِ الكبيرِ:

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة)

ولتوكيدِ ذلكَ كانَ التَّركيزُ على التَّحلّي بصفاتِ الكرمِ والإيثارِ والرَّحمةِ والإحسانِ، على أن نحترمَ في ذلكَ كرامةَ الفقيرِ، أي أن لا يصاحبَ المعروفَ منٌّ ولا أذى ينالُ من عزَّتِه وعنفوانِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة)

ب- الأمانُ الاجتماعيُّ:

في الوقتِ الَّذي يمارسُ المجتمعُ الإسلاميُّ دورَهُ في التَّكافلِ، تمارسُ أجهزةُ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ دورَها في علاجِ الفقرِ، فتعتمدُ الضَّمانَ الاجتماعيَّ لتحقيقِ الأمانِ الاجتماعيِّ.

فالدَّولةُ مسؤولةٌ عن كفالةِ كلِّ فردٍ من رعاياها في حالةِ عجزِه أو عدمِ قدرتِه على توفيرِ الكفايةِ لنفسِه بطريقِ جهدِه أو بطريقِ من يُكلَّفُ بإعالتِه، أمّا مَنْ تهيّأتْ لهُ فرصُ العملِ، وهوَ قادرٌ عليه، فالدَّولةُ لا تتحمَّلُ مسؤوليَّةَ الإنفاقِ عليه، لأنَّهُ غنيٌّ بالقوَّةِ، ومساعدتُهُ تعني تشجيعَهُ على الكسلِ والاستجداءِ. هذا المعنى يقرِّرهُ الإمامُ الباقرُ (ع) في روايةٍ عن بعضِ أصحابِه:

قالَ الإمامُ (ع): قالَ رسولُ اللهِ (ص): لا تَحلُّ صدقةٌ لغنيٍّ، ولا لذي مرَّةٍ سويٍّ، ولا لمحترفٍ ولا لقويٍّ.

قالَ (ع): لا يحلُّ لهُ أن يأخذَها وهو يقدرُ أن يَكُفَّ نفسَهُ عنها.

وفي عهدِه إلى واليهِ على مصرَ «مالكِ الأشترِ»، حدَّدَ الإمامُ عليٌّ (ع) سياسَةَ الحاكمِ في هذا المجالِ، فقالَ:

«... ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبقةِ السُّفلى، من الَّذينَ لا حيلةَ لهم من المساكينِ والمحتاجينَ وأهلِ البؤسى والزَّمنى، فإنَّ في هذهِ الطبقةِ قانعًا ومعترًّا، واحفظِ اللهَ ما استحفظكَ من حقِّهِ فيهم، واجعلْ لهم قِسمًا من بيتِ مالِك، وقِسمًا من غلاّتِ صَوافي الإسلامِ في كلِّ بلدٍ، فإنَّ للأقصى منهم مثلَ الَّذي للأدنى، وكلٌّ قد استرعيْتَ حقَّهُ...».

ثمَّ يتابعُ القولَ:

«وتعهَّدْ أهلَ اليُتمِ، وذَوي الرِّقَّةِ في السِّنِّ، ممَّن لا حيلةَ لهُ، ولا يَنْصِبُ للمسألةِ نفسَهُ، وذلكَ على الولاةِ ثقيلٌ، والحقُّ كلُّه ثقيلٌ، وقد يَخفِّفهُ اللهُ على أقوامٍ طلبوا العاقبةَ فصبروا أنفسَهم، ووثقوا بصدقِ موعودِ اللهِ لهم».

ثمَّ يؤكِّدُ الإمامُ على الاهتمامِ الشَّديدِ بهم:

«ولا يشغلنَّكَ عنهم بطرٌ، فإنَّكَ لا تُعذَرُ بتضييعِ التَّافهِ لإحكامِكَ الكثيرَ المهمَّ، فلا تشخصْ همَّكَ عنهم، ولا تصعِّرْ خدَّكَ لهم».



ولم يكتفِ الإمامُ عليه السلام بهذا القدرِ من إثارةِ الاهتمامِ، بل أمرَ واليَهُ باتِّخاذِ خطواتٍ عمليَّةٍ، وذلكَ بتشكيلِ لجانٍ لتفقُّدِ أحوالِهم، وخاصَّةً أولئكَ المستورينَ الَّذينَ لا تصلُ أصواتُ استغاثتِهم إلى المسؤولينَ:

«وتفقَّدْ أمورَ من لا يصلُ إليك منهم، ممَّنْ تقتحمُهُ العيونُ، وتُحقِّرُهُ الرِّجالُ، ففرِّغْ لأولئكَ ثقتَك من أهلِ الخشيةِ والتَّواضعِ، فليرفعْ إليك أمورَهم».

ثمَّ يُنهي حديثَهُ بالتَّهديدِ والوعيدِ منَ اللهِ تعالى عندَ أدنى تقصيرٍ:

«ثمَّ اعملْ فيهم بالإعذارِ إلى اللهِ يومَ تلقاهُ، فإنَّ هؤلاءِ من بينِ الرَّعيَّةِ أحوجُ إلى الإنصافِ من غيرِهم، وكل فأعذرْ إلى اللهِ في تأديةِ حقِّهِ إليهِ».

والدَّولةُ حينَ ألزمَتْ نفسَها بالأمانِ الاجتماعيِّ، كانَتْ تعتمدُ على مواردَ شرعيَّةٍ كافيةٍ (الزّكاة، الخمس، الكفّارات، الأوقاف، الأملاك العامّة، الضّرائب...).

وأخيرًا ما هو الحدُّ الماليُّ الَّذي يُدفعُ للفقيرِ؟

من أجلِ مستوى لائقٍ من العيشِ الكريمِ، يُحدِّدُ الإمامُ الصّادقُ عليه السلام بعضَ معالمِ الإنفاقِ، فعن اسحاقَ بنِ عمّارٍ قالَ: قلتُ للإمامِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ عليه السلام أعطي الرَّجلَ من الزَّكاةِ مائةً؟

قال: نعمْ... قلتُ: مائتينِ؟ قال: نعمْ...

قلتُ: ثلاثمائةٍ؟ قالَ عليه السلام: نعم، حتَّى تُغنيَهُ.

وبالفعلِ فإنَّ ما فرضَهُ اللهُ من حقوقٍ في أموالِ الأغنياءِ، كافٍ بتحقيقِ لونٍ من الغنى في أوساطِ الفقراءِ، وهذا ما يؤكِّدُه الإمامُ الصّادقُ عليه السلام: **«إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى نظرَ في أموالِ الأغنياءِ، ثمَّ نَظَرَ في الفقراءِ، فجعلَ في أموالِ الأغنياءِ ما يكتفونَ به، ولو لم يكفِهِمْ لزادَهم».**

وقالَ عليه السلام أيضًا: **«إنَّما وُضعَتِ الزَّكاةُ اختبارًا للأغنياءِ، ومعونةً للفقراءِ، ولوْ أنَّ النّاسَ أدّوا زكاةَ أموالِهم ما بقيَ مسلمٌ فقيرًا محتاجًا».**

ولضمانِ وصولِ الأموالِ إلى مواردِها الشَّرعيَّةِ وضعتِ الشَّريعةُ مُحدِّداتٍ لمواردِ صرفِها وكيفيَّتِه.

أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدْ نظرةَ الإسلامِ الإنسانيَّةَ إلى الفقراءِ، أعطِ شواهدَ.

٢- في إطارِ التَّكافُلِ الاجتماعيِّ بيِّنْ:

- قواعدَ تربيةِ المسلمِ تجاهَ أخيهِ.
- مواردَ حقِّ الفقيرِ على المكلَّفِ المسلمِ، ومقاديرَها.

٣- اذكرْ أهميَّةَ الإنفاقِ المستحبِّ عندَ اللهِ تعالى.

٤- عدِّدْ أهمَّ واجباتِ الدَّولةِ تجاهَ الفقراءِ.

٥- اذكرْ بعضَ الأحاديثِ الَّتي تؤكِّدُ على الأمانِ الاجتماعيِّ.

من حصاد الدّرس

من أساليبِ الإسلامِ في علاجِ ظاهرةِ الفقرِ:

١- تعزيزُ مكانةِ الفقراءِ:

- إكرامُهم: عن النَّبيِّ ﷺ قالَ أبو ذرٍّ الغفاريُّ: أوصاني بحبِّ المساكينِ والدُّنوِّ منهم.
- الانتصارُ لهم: عن رسول اللهِ ﷺ: من استذلَّ مؤمنًا أو حقَّرهُ لفقرهِ... شهّرَهُ اللهُ يومَ القيامةِ.

٢- أساليبُ العلاجِ وتشملُ أمرينِ هُما:

أ- التَّكافلُ الاجتماعيُّ: ويكونُ بإلزامِ المسلمينَ برعايةِ فقرائِهم، وذلكَ ضمنَ إطارينِ:

- الإطارِ التَّربويِّ: ويكونُ بإثارةِ روحِ المحبَّةِ والأخوَّةِ والتَّعاونِ والإيثارِ..
  عن رسولِ اللهِ ﷺ: «ما آمَنَ بي من باتَ شبعانَ وجارُهُ جائعٌ».
- الإطارِ الشَّرعيِّ: ويكونُ بدفعِ الحقوقِ الشَّرعيَّةِ الواجبةِ على المكلَّفِ، وهي:

١- الزَّكاةُ: وهي على نوعينِ:

- زكاةِ الأموالِ: وهيَ فريضةٌ ماليَّةٌ على النَّقدينِ (ذهبٍ – فضَّةٍ) والغلاّتِ الأربعِ (القمح والشَّعير والتَّمر والزَّبيب) والأنعامِ (الغنم أو الماعز، البقر، الإبل).
- زكاةِ الأبدانِ: وتُعرَفُ بزكاةِ الفطرةِ، تُدفعُ يومَ عيدِ الفطرِ.

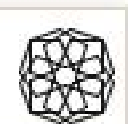
٢- الخمسُ: وهو فريضةٌ ماليَّةٌ على الأرباحِ الَّتي تزيدُ عن مؤونةِ المكلّفِ في سنتِهِ.

٣- الكفّاراتُ وملحقاتُها: كفّارةُ الإفطارِ، ومخالفةُ اليمينِ...

٤- تكافلُ الأقرباءِ.

بالإضافةِ إلى كلِّ ذلكَ شجَّعَ الإسلامُ على الإنفاقِ المستحبِّ في سبيلِ اللهِ.

ب- الأمانُ الاجتماعيُّ: ويعني كفالةَ الدَّولةِ لمعالجةِ حالاتِ اليتمِ والعجزِ والشيخوخةِ... في وصيَّتِهِ لمالكٍ الأشترِ يؤكِّدُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: **«وتعهَّدْ أهلَ اليتمِ، وذوي الرِّقَّةِ في السِّنِّ، ممَّنْ لا حيلةَ له، ولا يَنْصِبُ للمسألةِ نفسَهُ...»**



من ثقافة الروح

سياسةُ الإسلامِ معَ الأغنياءِ

يعتبرُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام أنَّ بعضَ أسبابِ الفقرِ تكمنُ في عاملينِ هما:

- رفضُ الأغنياءِ لدفعِ ما يترتَّبُ عليهم من حقوقٍ.



- اللامساواةُ في التَّوزيع والعطاء.

فقالَ: «**إنَّ اللهَ سبحانَهُ فرضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتَ الفقراءِ، فما جاعَ فقيرٌ إلا بما مُتِّعَ به غنيٌّ**».

وقالَ أيضًا: «**ما رأيتُ نعمةً موفورةً إلا وإلى جانبِها حقٌّ مضيَّعٌ**».

فالإسلامُ لم يرفضِ الغِنى، ولم يعتبرْهُ ظاهرةً مرضيَّةً، ولم يُنَدِّدْ بجمعِ المالِ والثَّروةِ بالطُّرقِ المشروعةِ، بل شجَّعَ عليهِ، ولكن ما يرفضُهُ هو أنْ يتحوَّلَ جمعُ المالِ إلى غايةٍ توقِعُ الإنسانَ في البخلِ والحرصِ والرَّذيلةِ، وتجرِّدُهُ من إنسانيَّتِهِ ومسؤوليَّتِهِ، يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «**هلكَ خزَّانُ الأموالِ وهمْ أحياءٌ**».

خلاصةُ القولِ: إنَّ الإسلامَ لم يتَّخذْ موقفًا عدائيًا منَ الأغنياءِ، بل أرادَ لهم أن يعيشوا إنسانيَّتهم، ويراقبوا اللهَ في جمعِ الأموالِ وإنفاقِها، لذلكَ اعتمدَ أساليبَ تثبِّتُ مواقفَهم على الحقِّ، وتحوِّلُهم إلى أدواتِ بناءٍ لا هدمٍ، منها:

- تذكيرُ الأغنياءِ بواجباتِهم الشَّرعيَّةِ والماليَّةِ.
- تذكيرُهم بالموتِ والفناءِ، حيثُ يخرجُ الإنسانُ من الدُّنيا ولا يحملُ معَهُ إلا ما قدَّمَ من عملٍ:

  «إنَّ للهِ ملكًا ينادي في كلِّ يوم: لِدوا للموتِ، واجمعوا للفناءِ وابنوا للخرابِ».
- إثارةُ عاطفتِهم الإنسانيَّةِ تجاهَ الفقراءِ: الإمامُ عليٌّ عليه السلام يوصي كميلًا بنَ زيادٍ بالقولِ: «يا كميلُ مُرْ أهلَكَ أن يروحوا في كسبِ المكارمِ، ويدلجوا في حاجةِ من هوَ نائمٌ، فوالَّذي وسعَ سمعُهُ الأصواتَ، ما من رجلٍ أودعَ قلبًا سرورًا إلا وخلقَ اللهُ له من ذلكَ السُّرورِ لطفًا، فإذا نزلَتْ به نائبةٌ جرى إليها كالماءِ في انحدارِه، حتَّى يطردَها عنه، كما تُطردُ غريبةُ الإبلِ».
- ينفِّرُهم من البخلِ، ويحذِّرُهم من الاستعلاءِ: يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «عجبتُ للبخيلِ يستعجلُ الفقرَ الَّذي منه هربَ، ويفوتُه الغِنَى الَّذي إيَّاهُ طلبَ، فيعيشُ في الدُّنيا عيشَ الفقراءِ، ويحاسبُ في الآخرةِ حسابَ الأغنياءِ».

تبقى في ذاكرتي

عن الإمامِ جعفرٍ الصَّادقِ عليه السلام:

«**من حقِّ المؤمنِ على أخيهِ المؤمنِ أن يُشبعَ جوعتَهُ، ويفرِّجَ كُربَتَهُ، ويقضيَ دينَهُ، فإذا ماتَ خلَفَهُ في أَهلِه ووُلدِه**»



الدّرسُ الثّالث

الإسلامُ والفَنُّ





صدق الله العلي العظيم



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى موقعِ الجمالِ في الإسلامِ.
- أحدِّدُ معنى الفنِّ.
- أحدِّدُ ضوابطَ العملِ الفنّيِّ في الإسلامِ.
- أميِّزُ بعضَ حدودِ الحلالِ والحرامِ في الأعمالِ الفنيَّةِ.
- ألتزمُ حدودَ الشَّرعِ الإسلاميِّ في التَّعامل الفنيِّ.



أقرأ وأحلّل

مستند

فطرَ اللّهُ سبحانَهُ وتعالى الإنسانَ على حُبِّ كُلِّ جميلٍ، والنُّفورِ من كُلِّ قبيحٍ.

فالإحساسُ بالجمالِ والتَّعبيرِ عنهُ فطرةٌ طبيعيَّةٌ، وضرورةٌ إنسانيَّةٌ في حدودِ ما حلَّلَ الله، والإنسانُ الَّذي يُخفي مشاعرَهُ بداخِلِهِ، ولا يريدُ الإفصاحَ عنها، قد يتحدّى فطرتَهُ وطبيعتَهُ، ويُسكتُ صوتَ الحياةِ في أعماقِهِ.

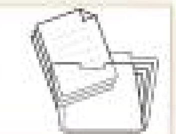
ولقد وجَّهَنا اللّهُ تعالى في الحياةِ إلى النَّظرِ والتَّفكُّرِ في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ من أجلِ اكتشافِ عظمةِ اللّهِ في بعضِ صورِ الجمالِ والإبداعِ في الكونِ:

﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا



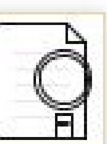
فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ (ق)

فالقدرةُ الإلهيَّةُ المبدعةُ شاءَتْ أن تجعلَ الجمالَ في شتَّى صورِهِ البهيَّةِ، مناطَ رِضا وسعادةٍ لدى الإنسانِ، وتذوّقَهُ حقًّا وفق الأحكام الشرعية، وإن كانَتْ مقاييسُه تختلفُ من فردٍ إلى آخرَ، ومن مفاهيمِ عصرٍ إلى آخرَ.



أطرحُ الموضوعَ

- اذكر الموضوعَ الَّذي يعالجُهُ المستندُ.
- أينَ تجدُهُ؟ بماذا تدركُهُ؟
- ما موقفُ القرآنِ الكريمِ في مقاربتِهِ لهُ.
- بيِّنِ المقياسَ الَّذي نحدِّدُ به مشروعيَّةَ الجمالِ وتَبَنِّيَهُ.
- ثمَّ أوضحْ علاقةَ الجمالِ بالفنِّ الَّذي هوَ موضوعُ بحثِنا.



أقرأ وأتعرَّف

١- الجمالُ والفَنُّ

يميلُ الإنسانُ بفطرتِهِ إلى الجمالِ، فهو يُحسُّ به، ويشاهدُهُ، ويدركُهُ، ويستمتعُ به في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

فالعينُ تدركُ الوجهَ الحسنَ، والأذنُ تأنسُ بالصوتِ الجميلِ، والأنفُ يستمتعُ بالرَّائحةِ الطيّبةِ، واللِّسانُ يلتذُّ بالطَّعمِ الشَّهيِّ، واليدُ ترتاحُ للملمسِ النّاعمِ...

إذاً، إدراكُ الجمالِ هو من وظيفةِ الحواسِّ، الَّتي خلقَها اللهُ عزَّ وجلَّ في الإنسانِ، كمدخلٍ لعيشِها مادةً وروحًا وإحساسًا وعقلًا... من أجلِ هذا كانَ الفَنُّ للتَّعبيرَ عن مشاعرِ الفردِ الجماليَّةِ.

الفَنُّ هوَ التَّعبيرُ الجميلُ، المنسَّقُ والمبدِعُ عن الكونِ والحياةِ والإنسانِ.

تُطلقُ كلمةُ الفَنِّ في وقتِنا على الفنونِ الأدبيَّةِ (الشّعر والنَّثرِ...) وعلى الغناءِ والموسيقى والنَّحتِ والرَّسمِ والخطِّ والزَّخرفَةِ والتَّصويرِ...

٢- الإسلامُ والفَنُّ

الإسلامُ دينٌ إلهيٌّ سامٍ، غرسَ حُبَّ الجمالِ في أعماقِ كلِّ مسلمٍ، ليثيرَ فيه الرِّضا والبهجةَ والتّفاؤلَ، فقد وَرَدَ في الحديثِ. عن



أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**».

واللهُ تعالى، بأسمائِهِ الحُسنى، متَّصِفٌ بكلِّ صفاتِ الجمالِ والكمالِ، ومن يتلو القرآنَ الكريمَ يلمسُ هذه الحقيقةَ بوضوحٍ، فهوَ الخَالقُ البارئُ المصوِّرُ المبدعُ الرَّؤوفُ الرَّحيمُ...

واللهُ تعالى حثَّ عبادَهُ على النَّظرِ الواعي في جمالِ الكونِ والإنسانِ من أجلِ أن تسموَ نفوسُهم، وترتقيَ عقولُهم لفهمِ المعاني الدِّينيَّةِ السَّامية: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝﴾ (آل عمران)



﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝﴾ (النمل)

واللهُ تعالى أرادَ من عبادِهِ اكتشافَ عناصرِ الجمالِ المبثوثِ في الكونِ، والمجسَّدِ في لوحاتٍ ربانيَّةٍ أبدَعَها الخالقُ العظيمُ المصوِّرُ، الَّذي أحسنَ كلَّ شيءٍ خلقَهُ وصوَّرَهُ:

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝﴾ (الملك)

٣- الجمالُ التَّعبيريُّ في القرآنِ الكريمِ

القرآنُ الكريمُ الَّذي يمثِّلُ معجزةَ الإسلامِ الخالدةَ، يُعتبرُ قمَّةَ الفنِّ الأدبيِّ، والإعجازِ البلاغيِّ الَّذي حيَّرَ جهابذةَ اللُّغةِ والأدبِ، وتحدّى قرائحَ كبارِ المفكِّرينَ... بجمالِ بيانِهِ، وسموِّ معانيهِ، وروعةِ نَظْمِهِ، واتِّساقِ أسلوبِهِ، وروعةِ لحنِهِ وموسيقاه...

وتلاوةُ القرآنِ الكريمِ بترتيلِهِ وتجويدِهِ أمرٌ يدهشُ الأسماعَ، ويُحرِّكُ المشاعرَ، فتتسلَّلُ معانيهِ إلى العقولِ بعفويَّةٍ، وتتفاعلُ إيحاءاتُهُ معَ الوجدانِ بروحانيَّةٍ.

وإذا أردنا شواهدَ عن هذا الإعجازِ البيانيِّ، فإنَّنا نلتقي بآياتٍ وآياتٍ، يكفي منها وصفُ الطّوفانِ في قصّةِ نوح عليه السلام:

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝﴾ (القمر)

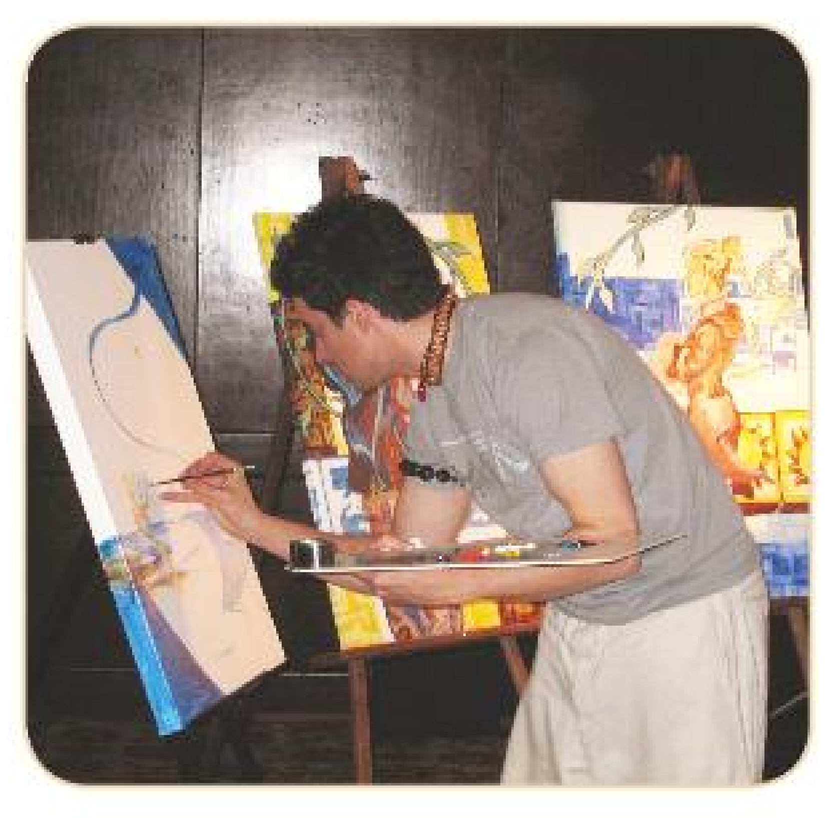
والإسلامُ دينٌ واقعيٌّ يتعاملُ معَ الإنسانِ كُلِّهِ جسدًا وروحًا، عقلاً وعاطفةً، ويعملُ على تغذيتِها جميعًا بحدودٍ متوازنةٍ: فالرِّياضةُ تُنمّي البدنَ، والعبادةُ تنعشُ الرّوحَ، والعلمُ يثقِّفُ العقلَ، والفنُّ يرقِّقُ الشُّعورَ، ويُغذّي الوجدانَ... والمقصودُ بالفنِّ – هُنا – هوَ ذلكَ النَّوعُ الرّاقي الَّذي يسمو بإنسانيَّةِ الإنسانِ، لا، ذلكَ – الَّذي يهبطُ بهِ في مهاوي الرَّذيلةِ.

٤- الفنُّ في الفقهِ الإسلاميِّ

تندرجُ جميعُ مفرداتِ الفعلِ الإنسانيِّ تحت الأحكام التكليفية الخمسة (الواجب والحرام والمستحب والمكروه والمباح)، سواءٌ أكانَ طعامًا أو شرابًا، أو لباسًا أو سكنًا، أو بيعًا أو شراءً، أو قولًا أو فعلًا، أو لهوًا أو متعةً... وكذلكَ ينطبقُ على سائرِ عناوينِ الفنِّ من شعرٍ ونثرٍ ورسمٍ ونحتٍ وتمثيلٍ...

والإسلامُ في بيئَتِهِ وتاريخِهِ شجَّعَ ألوانًا من الفنونِ الَّتي ميَّزَتْ حضارَتَهُ في نتاجاتٍ متنوِّعةٍ (أدب، رسم، نقش، زخرفة...)، والَّتي لا تزالُ ماثلةً في الكتبِ وجدرانِ المساجدِ والمنازلِ والقلاعِ... وكذلكَ في صناعةِ السيُّوفِ والأواني الخزفيَّةِ والنُّحاسيَّةِ... كلُّ ذلكَ برزَ واضحًا في الآثارِ الإسلاميَّةِ الموزَّعةِ ما بينَ المساجدِ وأضرحةِ الأولياءِ والقصورِ والحصونِ... الَّتي تمثِّلُ آيةً في الرَّوعةِ والجَمالِ، والَّتي اقتبسَ منها فنانو العالمِ الكثيرَ من الخصائصِ والقواعدِ البنائيَّةِ والفنِّيَّةِ.

٥- وظائفُ الفنِّ



تظهرُ أهميَّةُ الفنِّ في الإسلامِ من خلالِ وظائفِهِ المفيدةِ والمتنوِّعةِ:

أ- **وظيفةٌ ترفيهيَّةٌ**: في الموالدِ والأعيادِ والاجتماعاتِ العائليَّةِ... في إطارِ الضَّوابطِ الشرعيَّةِ، يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: «**روِّحوا القلوبَ، فإنَّها إذا أُكرهَتْ عميَتْ**».

ب- **وظيفةٌ تثقيفيَّةٌ**: الفَنُّ في بعضِ ألوانِهِ يُمثِّلُ الوعاءَ الَّذي ينقلُ تُراثَنا وقِيَمنا وإبداعَنا إلى الآخرينَ، كما نحصلُ على إبداعاتِهم بالطَّريقةِ ذاتِها.

ج- **وظيفةٌ تربويَّةٌ**: الفنُّ النَّبيلُ يختزنُ في معانيهِ القيمَ والآدابَ والأخلاقَ الفاضلةَ: في الأناشيدِ والنِّتاجاتِ الأدبيَّةِ والرُّسومِ والنُّقوشِ الَّتي تتَّسمُ بالذَّوقِ الرَّفيعِ، والإحساسِ المرهفِ، والَّتي تثيرُ في الإنسانِ السُّموَّ والارتقاءَ.

٦- ضوابطُ العملِ الفنِّي

والفنُّ كفعلٍ إنسانيٍّ فيه الحرامُ والحلالُ، ما هو محرَّمٌ في بذلِ الجهدِ الفنيِّ:

- التَّرويجُ للأفكارِ الباطلةِ
- تحريفُ الحقائقِ، أو التَّشويشُ عليها
- إهانةُ المقدَّساتِ.
- مدحُ الظَّالمينَ، وتبريرُ أفعالِهم.
- التَّشجيعُ على الرَّذيلةِ والإباحيَّةِ.

لا يختلفُ الحكمُ بحرمةِ الجهدِ الفنيِّ فيما لو أظهرَهُ الفنّانُ صريحًا في قولٍ أو فعلٍ كتابيٍّ أو مسرحيٍّ أو سينمائيٍّ أو تصويريٍّ... وفيما لو أشارَ إليه رمزًا بحيثُ يفهمُ منهُ المرادُ المحرَّمُ.

وعندما يحرمُ العملُ بذاتِهِ، يحرمُ أخذُ الأجرةِ عليهِ، ويُعتبرُ المالُ المأخوذُ حرامًا، وكذلكَ يعتبرُ العقدُ فاسدًا.

٧- معَ بعضِ أنواعِ الفنونِ

حينَ نُعدِّدُ بعضَ أنواعِ الفنونِ، نتوقَّفُ عندَ بعضِ القيودِ الَّتي تتَّصلُ بطبيعةِ كلِّ فنٍّ وخصوصيَّاتِهِ.

أ- فَنُّ التَّمثيلِ:

الفعلُ السّينمائيُّ أو المسرحيُّ حلالٌ في ذاتِهِ، إذْ يجوزُ استخدامُهُ في التَّعبيرِ عن موضوعٍ ثقافيٍّ، دينيٍّ، تاريخيٍّ، اجتماعيٍّ، سياسيٍّ... وتوجيهُ النّاسِ إليهِ، وحثُّهم على الالتزامِ به... شرطَ احترامِهِ لِضوابطِ القيمِ المعتمدةِ. ولا يضرُّ في جوازِ كونِ الأحداثِ الممثَّلةِ فيه – أحيانًا – مخترعةً، أي ليسَ لها واقعٌ، فإنّها لا تندرجُ في بابِ الكذبِ المحرَّمِ، ما دامَ الممثِّلونَ لا يقصدونَ الإخبارَ.

من أحكامِ التَّمثيلِ:

- يحرمُ السُّبابُ والقولُ الفاحشُ والسُّخريةُ من الآخرِ.
- تَحرمُ إشاعةُ أجواءِ الاختلاطِ المحرَّمِ.
- لا تجوزُ المبالغةُ في العنفِ، خاصَّةً إذا كانَ التَّمثيلُ موجَّهًا للأطفالِ والأحداثِ.
- تجنُّبُ ظهورِ شخصيَّاتِ المعصومينَ بصورٍ غيرِ مناسبةٍ.



ب- فنُّ النَّحتِ والتَّصويرِ:

من أحكامِ هذا الفنِّ:

- التَّصويرُ بالآلةِ لذي روحٍ إنسانيَّةٍ أو حيوانيَّةٍ أو غيرِهما حلالٌ في ذاتِهِ، إذا لم يكنْ استخدامُهُ مقترنًا بعملٍ محرَّمٍ، كأنْ يصوِّرَ أوضاعًا غيرَ محتشمةٍ.
- يجوزُ الرَّسمُ اليدويُّ لذي روحٍ وغيرِهِ، كاملًا كانَ الرَّسمُ أو ناقصًا، مُلوَّنًا أو غيرَ ملوّنٍ.
- لا يجوزُ رسمُ الصُّورِ الكاريكاتوريَّةِ الَّتي تهدفُ إلى السُّخريةِ من الآخرِ، وهتكِ حرمتِهِ وتوهينِ مكانتِهِ.
- لا يجوزُ نحتُ تمثالٍ كاملٍ لذي روحٍ من إنسانٍ أو حيوانٍ على رأيِ بعضِ الفقهاءِ.

ج- فنُّ الإنشادِ والغناءِ:

من أحكامِ هذا الفنِّ:

- يجوزُ للإنسانِ، من حيثُ المبدأُ، التَّعبيرُ عن أمانيهِ وخواطرِهِ في نتاجاتٍ أدبيَّةٍ. بصوتٍ مرقَّقٍ ومرجَّعٍ، إذا كانَتِ الكلماتُ والمعاني محتشمةً ونبيلةً، ولا تشتملُ على شيءٍ من الباطلِ (مدح ظالم، إهانة مقدَّس، التَّرويج لوضع فاسد...)

- لا يجوزُ الاستماعُ إلى الغناءِ المحرَّم، والمتناسبِ معَ مجالسِ اللّهوِ والمعصيةِ.
- لا يجوزُ للفتاةِ أن تؤدِّيَ الغناءَ المُحلّلَ أمامَ غيرِ المحارمِ منَ الرِّجالِ.



د- فنُّ الموسيقى:

ما يحرمُ من الموسيقى: الَّموسيقى اللَّهويَّةُ المُطربَةُ المتناسبةُ معَ مجالسِ اللّهوِ والباطلِ، الموسيقى الَّتي تبعدُ الإنسانَ عن الحقِّ تَباركَ وَتعالى، وعن الأخلاقِ الفاضلةِ، وفي الوقتِ ذاتِه، تقرِّبُهُ من المعاصي والذُّنوبِ.

ولما كانَتْ آثارُ الموسيقى الإيجابيَّةُ أو السَّلبيَّةُ ناتجةً عن طريقِ العزفِ على الآلةِ، لا من الآلةِ نفسِها، فإنَّهُ لا يوجدُ في هذهِ الآلاتِ ما هوَ محرَّمٌ في ذاتِهِ، فيجوزُ بذلك شراؤها واستخدامُها، إلّا إذا انحصرَ استخدامُها في المُحرَّمِ.

أختبر معارفي وقدراتي

١- بيِّنْ علاقةَ الفنِّ بالجمالِ.

٢- وضِّحْ موقفَ الإسلامِ من الجمالِ، وكيفَ يظهرُ في التَّعبيرِ القرآنيِّ؟

٣- حدِّدْ مكانةَ الفَنِّ في الفقهِ الإسلاميِّ.

٤- اذكرْ بعضَ أحكَامِ المُحَلَّلِ والمُحرَّمِ من الفنونِ: التَّمثيلِ، التَّصويرِ، الغناءِ، الموسيقى.

من حصاد الدَّرس

١- الفنُّ هوَ التَّعبيرُ الجميلُ المُنسَّقُ، والمبدعُ عن الكونِ والحياةِ والإنسانِ.

٢- غرسَ الإسلامُ حُبَّ الجمالِ في أعماقِ كُلِّ مسلمٍ، وردَ في الحديثِ: «**إنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ**».

وذلكَ من خلالِ: - الحثِّ على النَّظرِ في السَّماءِ والأرضِ.

- التَّأمُّلِ في جمالِ الكونِ الَّذي يبعثُ البهجةَ.

يقولُ تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ (الملك)

٣- يمثِّلُ القرآنُ الكريمُ قِمَّةَ الفنِّ الأدبيِّ، والمعجزةَ البلاغيَّةَ، بجمالِ البيانِ، وسموِّ المعنى، وروعةِ النَّظْمِ، وفرادةِ لحنِهِ وموسيقاهُ.

٤- من ضوابطِ الفنِّ الإسلاميِّ: يحرمُ بذلُ الجهدِ الفنيِّ في أمورٍ منها:

- ابتداعُ الأفكارِ الباطلةِ، وتحريفُ الحقائقِ.
- إهانةُ المقدَّساتِ، ومدحُ الظَّالمينَ.



- نشرُ الفسادِ.

٥- فنُّ التَّمثيلِ: - الأعمالُ المسرحيَّةُ حلالٌ في ذاتِها كأدواتٍ للتَّعبيرِ عن موضوعاتٍ فكريَّةٍ وللتَّوجيه والإرشادِ... شرطَ احترامِ الضَّوابطِ الشَّرعيَّةِ ومنها: - عدمُ استخدامِ لغةٍ غيرِ مهذَّبةٍ.

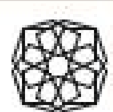
- المحرَّمات كالرقص والغناء وغيرهما.

٦- فنُّ التَّصويرِ: - التَّصويرُ الفوتوغرافيُّ حلالٌ في ذاتِهِ إذا لم يقترنْ بعملٍ محرَّمٍ.

- يجوزُ الرَّسمُ اليَدويُّ لذي روح وغيرِه.

٧- فنُّ الغناءِ: يجوزُ للإنسانِ - من حيثُ المبدأُ - التَّعبيرُ عن خواطرِهِ في نتاجاتٍ أدبيَّةٍ بصوتٍ مرقَّقٍ ومحتشمٍ وبكلماتٍ مهذَّبةٍ بما لا يتناسب مع مجالس اللهو والمعصية.





من ثقافة الروح

أنا مسلمْ

أنا مسلمٌ

نَطَقَتْ بها شُعَلُ الحياةِ على فمي

ومعَ الحليبِ رضعتُها

فنمَتْ وعاشت في دمي

حبًّا وتضحيةً وعزّةَ مؤمنٍ

للشَّعبِ والأرضِ الحبيبةِ ينتمي

أنا مسلمٌ

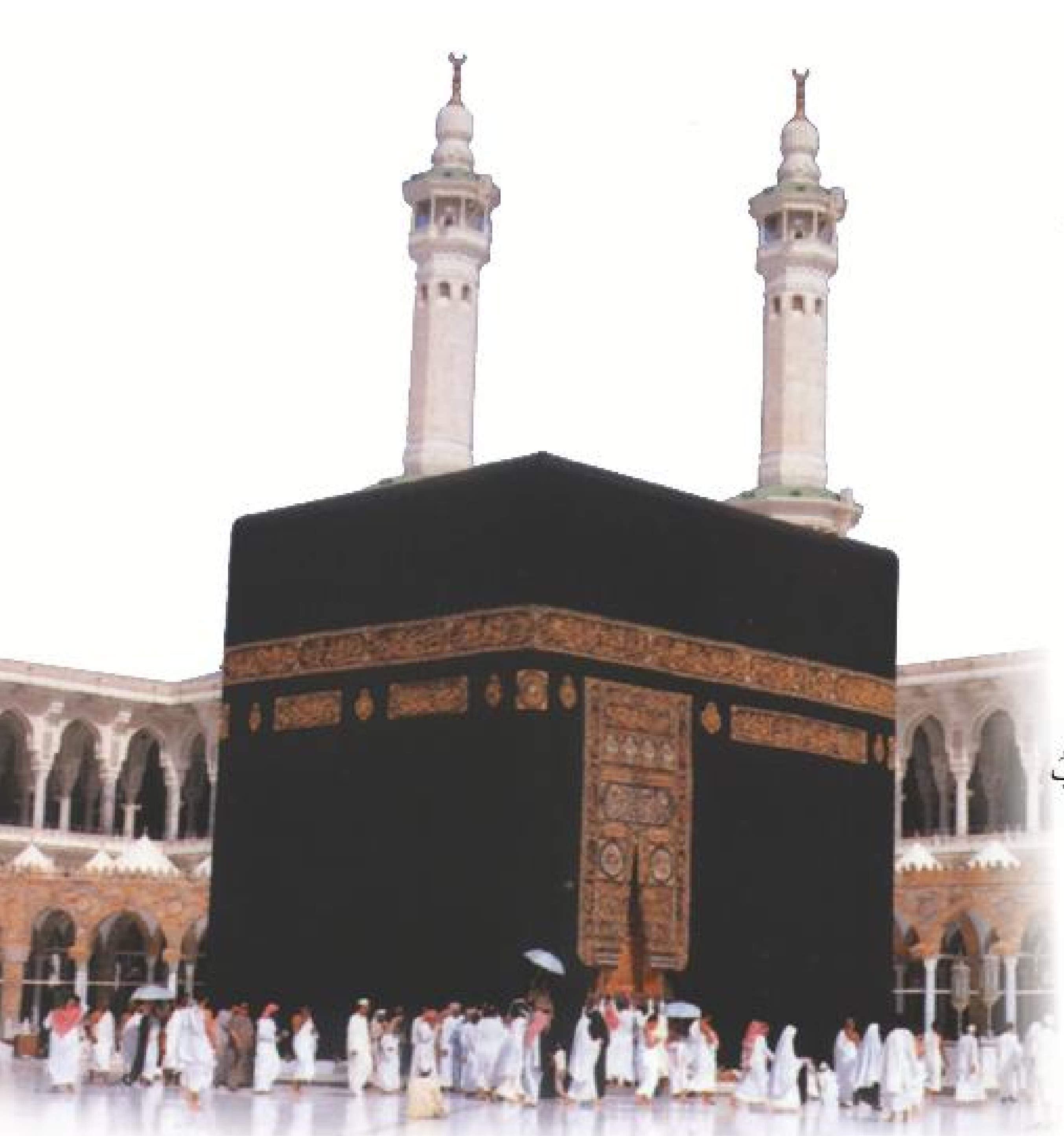
رُبِّيتُ فوقَ ثرايَ طفلًا حالمًا يترقَّبُ

ويرى الحياةَ تفانيًا

وإلى العلى يتوثَّبُ

عشقَ الحياةَ مجاهدًا

ومناضلًا لا يرهبُ...



الشاعر موسى فحص

تبقى في ذاكرتي

يقولُ اللهُ تعالى:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤﴾ (المؤمنون)



الدَّرسُ الرّابعُ

أحكامُ الإرثِ في الإسلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

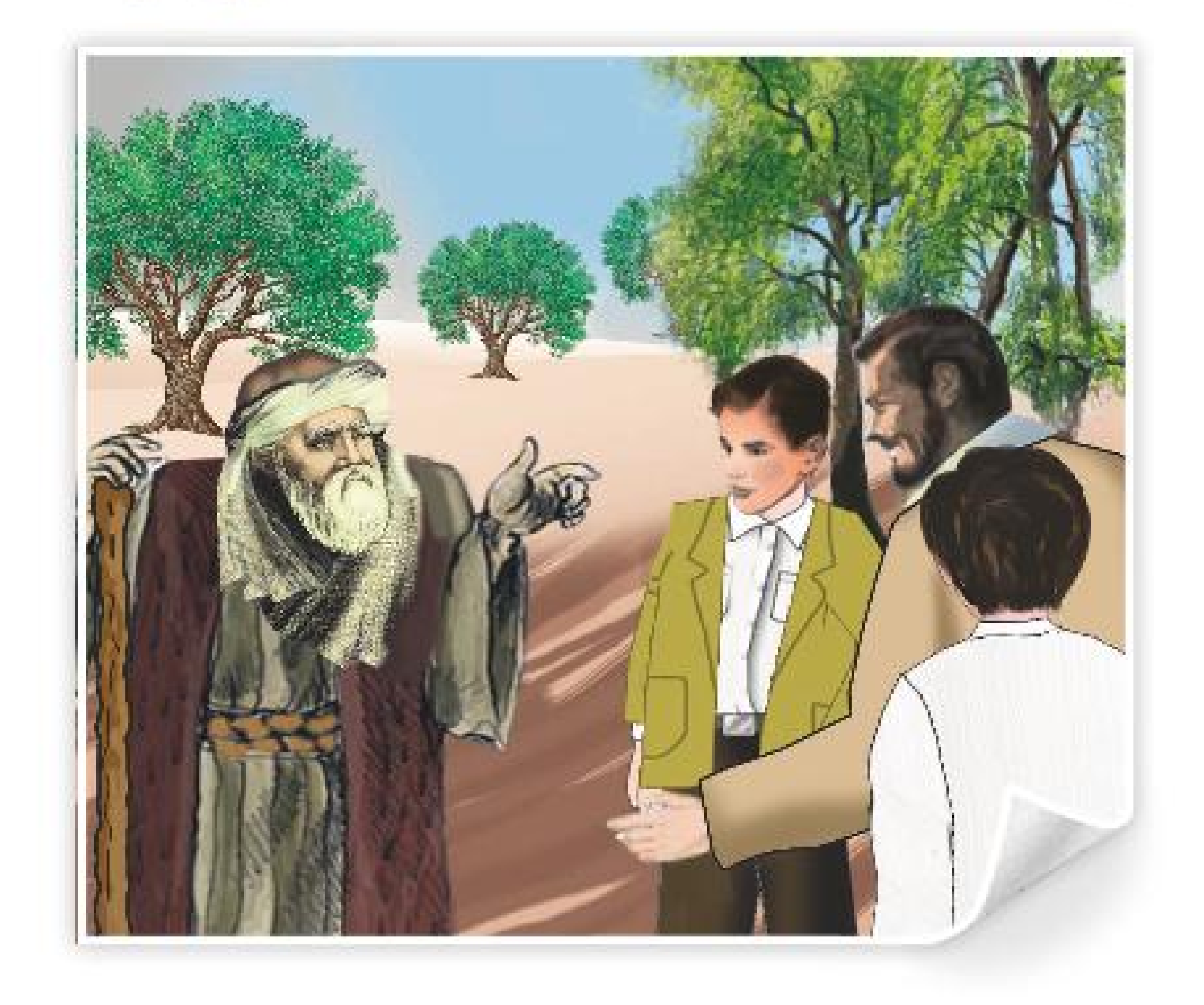
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣)﴾ سورة النساء

صدق الله العلي العظيم



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أُحدِّدُ مراتبَ الإرثِ، وأسْهُمَ كلِّ رتبةٍ.
- اكتشفُ الحكمةَ من التَّفاوتِ بينَ الأسهمِ في الإرثِ.
- أعدِّدُ فوائدَ الإرثِ في الإسلامِ.
- التزمُ أحكامَ الإرثِ في الإسلامِ.





أقرأ وأحلّل

مستند

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)﴾ (النساء)

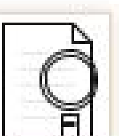
صدق الله العلي العظيم





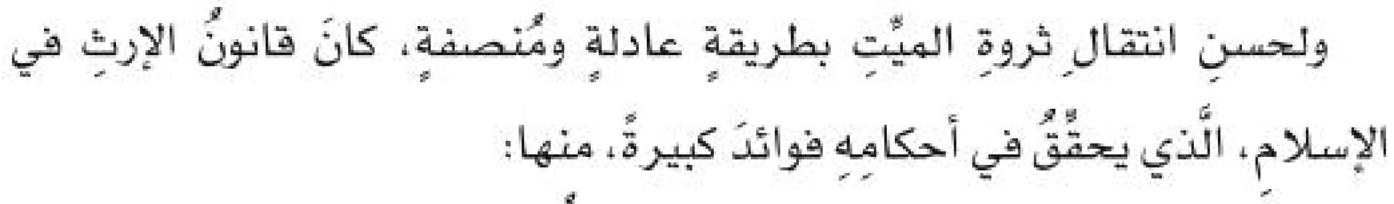
أطرحُ الموضوعَ

- ما الموضوعُ الَّذي تعالجُهُ الآيةُ؟
- حدِّدْ نصيبَ الأُنثى؟ وهلّا تشرحُ الحكمةَ التي تستوحيها من هذه الحكمة.
- ما مقدارُ نصيبِ كلٍّ من الأبِ والأمِّ والأخوةِ المذكورينَ في النَّصِّ؟
- كيف يُمكنُ التَّوصُّلُ إلى جداولَ تحدِّدُ المراتبَ والأسهمَ لورثةِ الميِّتِ؟



أقرأ وأتعرَّف

١ - لماذا الإرثُ؟



﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ... ﴾ (آل عمران)

وأخيرًا يموتُ الإنسانُ، ويفارقُ الأهلَ والأحبَّةَ، وقد يتركُ المالَ والمتاعَ، ليقدمَ على ربٍّ غفورٍ رحيمٍ، ومعَهُ كتابُ أقوالِهِ وأفعالِهِ ومواقفِهِ، لينالَ على أساسِهِ جزاءَ ما قدّمتْ يداهُ.

يموتُ الإنسانُ، ويتركُ ما كانَ لديهِ من أموالٍ وثرواتٍ وأملاكٍ... إلى أين تذهبُ هذهِ؟ ومن الَّذي يستفيدُ منها؟ وما نصيبُ كلِّ واحدٍ؟

وقد يكونُ لهذا الإنسانِ المتوفّى أقرباءُ يتوزَّعونَ بينَ الآباءِ والأُمَّهاتِ، والجدودِ والجدّاتِ والأبناءِ والبناتِ، والأزواجِ والزَّوْجاتِ، والأخوةِ والأخواتِ، والأعمامِ والعمّاتِ، والأخوالِ والخالاتِ...

٢ - من فوائدِ الإرثِ في الإسلامِ



ولحسنِ انتقالِ ثروةِ الميِّتِ بطريقةٍ عادلةٍ ومُنصفةٍ، كانَ قانونُ الإرثِ في الإسلامِ، الَّذي يحقِّقُ في أحكامِهِ فوائدَ كبيرةً، منها:

أ- توثيقُ الرَّوابطِ الإنسانيَّةِ بينَ أفرادِ الأُسرةِ الواحدةِ من خلالِ توزيعِ الحصصِ العادلةِ بينَ الورثةِ، بحيثُ يشعرُ كلُّ واحدٍ أنَّ ما بيدِهِ سيصلُ إلى الآخرِ، وأنَّ ما يستفيدُ منه اليومَ، سيرتدُّ نفعُهُ على الآخرِ من أبنائِهِ، وهذا ما يحقِّقُ التَّكافلَ الاجتماعيَّ من جهةٍ، ويؤكِّدُ المحبَّةَ والتَّواصلَ الإيجابيَّ من جهةٍ ثانيةٍ.

ب- معالجةُ نتائجِ تجمُّعِ الثَّروةِ في يدِ قلَّةٍ محدودةٍ من المجتمعِ وما يرافقُها من إغراءٍ بالطُّغيانِ والاستغلالِ الاجتماعيِّ والنُّفوذِ السِّياسيِّ... ومن زيادةٍ في الفوارقِ الاجتماعيَّةِ.

إن قانونَ الإرثِ من شأنِهِ أن يُفتِّتَ الثَّرواتِ ويوزِّعَها على عددٍ منَ الأقرباءِ، ما يؤدي إلى تداولِ الثَّروةِ «كيلا يكونَ دولةً بينَ



الأغنياءِ».

ج- ثمَّ إنَّ حرمانَ أفرادِ الأسرةِ من ثرواتِ أقربائِهم، من شأنهِ أن يولِّدَ شعورًا بالظُّلمِ والحرمانِ والمرارةِ، ما ينتجُ عنه من توتُّرٍ في العلاقاتِ وتفكُّكٍ في بُنيةِ الأُسرةِ.

٣- الحقوقُ الَّتي تتعلَّقُ بالميراثِ

قبلَ توزيعِ حصصِ الميراثِ على أفرادِ الأسرةِ، لا بُدَّ من تسديدِ الدُّيونِ والمستحقَّاتِ الماليَّةِ من ثروةِ المتوفّى، منها:

أ- تجهيزُ كلِّ مستلزماتِ الدَّفنِ.

ب- قضاءُ ما عليهِ من ديونٍ، وهيَ على نوعينِ:

- ديونٌ للهِ تعالى (الزَّكاة، الخمس، قضاء الصلاة والصوم، الحجّ، الكفّارات...)
- حقوقٌ للنّاسِ.

ج- الوصيَّةُ وتنفَّذُ من ثلثِ ثروتِهِ الباقيةِ، بعدَ تجهيزِ الدَّفنِ وقضاءِ الدَّينِ.

وهنا لا بدَّ من تنبيهِ الأحياءِ من المؤمنينَ إلى تسديدِ ما عليهم من حقوقٍ وواجباتٍ قبلَ فواتِ الأوانِ...

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ...﴾ (الأنعام)

د- توزيعُ الباقي على الورثةِ وفقَ الحصصِ الشَّرعيَّةِ المُحدَّدَةِ.

٤- مراتبُ الإرثِ

الورثةُ همُ الأرحامُ أو الأقاربُ، يتوزَّعونَ على ثلاثِ مراتبَ، بحيثُ لا يرثُ أحدُهم في المرتبةِ اللَّاحقةِ، معَ وجودِ الورثةِ في المرتبةِ السّابقةِ:

أ- المرتبةُ الأولى: تشملُ: الوالدين (الأبَ والأمَّ) والأولادَ، وأبناءَ الأولادِ عندَ عدمِ وجودِ الولدِ، فالولدُ إذا وُجد يمنعُ الحفيدَ (ابنَ وابنةَ الإبنِ) والسِّبطَ (ابنَ وابنَةَ البنتِ) عن الإرثِ.

ب- المرتبةُ الثّانيةُ: وتشملُ: - الأجدادَ (الجدَّ والجدّةَ) وآباءَهُم، غيرَ أنَّ الجدَّ مُقدَّمٌ على أبيهِ.

- الاخوةَ والأخواتِ أو أولادَهما معَ عدمِ وجودِ الأخِ أو الأختِ، أو أولادَ أولادِهما معَ عدمِ وجودِ أيِّ ولدٍ للأخِ والأختِ.

ج- المرتبةُ الثّالثةُ: وتشملُ: الأعمامَ والعمَّاتِ، والأخوالَ والخالاتِ، ومعَ عدمِ وجودِ أحدٍ منهم يقومُ أولادُهم مقامَهم، ويُلحظُ منهم الأقربُ فالأقربُ.

إذا لم يكنْ للميِّتِ أقرباءُ من هذهِ المراتبِ الثّلاثِ، ينتقلُ الميراثُ إلى أعمامِ الأبِ والأمِّ وعمّاتِهما، وأخوالِهما وخالاتِهما، وأبناءِ هؤلاءِ معَ عدمِ وجودِ أحدٍ منهم.

إذا لم يوجدْ للميِّتِ أقرباءُ من هذا القبيلِ، ينتقلُ الميراثُ إلى أعمامِ الجَدِّ والجدَّةِ وأخوالِهما، وأبناءِ هؤلاءِ معَ عدمِ وجودِهم، وأن لم يوجد فالإمام ﵇ وارثُ مَن لا وارثَ لهُ.

٥- الإرثُ بسببِ الزَّوجيَّة

يترافقُ الإرثُ بسببِ الزوجيَّةِ معَ هذهِ المراتبِ الثَّلاثِ: فالزَّوجُ والزَّوْجَةُ يرثانِ بصورةٍ مستقلَّةٍ من الإرثِ:

- يرثُ الزَّوجُ من الزَّوجةِ النِّصفَ إذا لم يكن لها ولدٌ، والرُّبعَ معَ وجودِ الولدِ أو ابنِه.
- ترثُ الزَّوجةُ من الزَّوجِ الرُّبعَ إذا لم يكنْ له ولدٌ، والثُّمنَ معَ وجودِ الولدِ أو ابنِه.



من الأمثلةِ التَّطبيقيَّةِ: لو توفِّيَ شخصٌ وتركَ إرثًا بمقدارِ: ٤٨٠٠٠٠٠ل

وكان له: أبٌ وأمٌّ وزوجةٌ وثلاثةُ أبناءٍ وبنتانِ، فكيفَ يوزَّعُ المبلغُ المذكورُ؟

يأخذُ الأبُ السُّدسَ، وكذلكَ الأمُّ.

تأخذُ الزَّوجةُ الثُّمنَ.

والباقي للأبناءِ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾

الأبُ: ٨٠٠,٠٠٠ ل الزَّوجةُ: ٦٠٠,٠٠٠ل.

الأمُّ: ٨٠٠,٠٠٠ ل كلٌّ من الأبناءِ الثَّلاثةِ: ٦٥٠,٠٠٠ ل.

كلٌّ من البنتين: ٣٢٥,٠٠٠ ل.

٦- ميراثُ الأُنثى

يُفصِّلُ القرآنُ الكريمُ حصَّةَ الأُنثى منَ الميراثِ بالآيةِ الكريمةِ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ... ﴿١١﴾﴾ (النساء)

قد يشعرُ البعضُ بأنَّ حصَّةَ الأُنثى من الميراثِ تعتبرُ انتقاصًا من إنسانيَّتِها، ولكنَّ الحسابَ الدَّقيقَ بينَ المسؤوليّاتِ والواجباتِ تثبتُ العدالةَ والحكمةَ من التَّشريعِ، وتُظهر بأنَّ الأنثى - في الظّاهر - تأخذُ نصفَ حصَّةِ الذَّكرِ، ولكنّها في الواقع - وبحكم موقعها - تستهلكُ أكثر من ذلك ويظهر ذلك في:

أ- على الزَّوجِ أن يتكفَّلَ بالنَّفقةِ على زوجتِهِ وأولادِهِ، والزَّوجةُ ليسَتْ مُلزمةً بذلكَ، حتَّى لو كانَتْ غنيَّةً.

ب- على الزَّوجِ أنْ يدفعَ مهرًا لزوجتِهِ، وهو حقٌّ ثابتٌ لها.

ج- ترثُ الزَّوجةُ زوجَها، وفقَ الآيةِ الكريمةِ:

﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ... ﴿١٢﴾﴾ (النساء)

د- أمّا البنتُ العازبةُ، فنفقتُها واجبةٌ على أبيها أو جدِّها في حالِ الاستطاعةِ، وهيَ ترثُ أباها معَ أخوتِها بالحصَّةِ المحدَّدَةِ.

أما إذا لم يُخلِّفِ الأبُ أولادًا ذكورًا، تقولُ الآيةُ: ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ... ﴾ (النساء)

هنا يتوقَّفُ القرآنُ الكريمُ عن ذكرِ مصرفِ الثُّلثِ أو النِّصفِ الباقي من نصيبِ البنتِ، وتحديدِ الوارثِ لهُ، وقد تباينَتْ وجهاتُ النَّظرِ بينَ المذاهبِ الإسلاميَّةِ:

مذاهبُ السُّنَّةِ تجعلُ أخوَةَ الميتِ شركاءَ معَ البنتِ.

مذهبُ أهلِ البيتِ عليهم السلام يقرنُ الآيةَ السّابقةَ بالآيةِ: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ... ﴾ (الأنفال) أيَّ أنَّ الأقربَ إلى الميتِ أحقُّ بالإرثِ ممَّنْ هوَ دونَهُ قرابةً، وبما أنَّ البنتَ أقربُ إلى الأبِ من أخيهِ، فالثُّلثُ أو النِّصفُ يعودُ إليها ثانيةً وهذا ما يسمّى بالردّ، وبذلكَ يكونُ لها كاملُ ميراثِ الأبِ.

مستند

١- الفروضُ وتوزيعُها على أصحابِها في الطَّبقةِ الأولى

السَّهم	أرباب السَّهامِ
النِّصفُ	للبنتِ الواحدةِ
	للزَّوجِ معَ عدمِ الولدِ للزَّوجةِ وإن نزلَ
الرُّبعُ	للزَّوجِ مَعَ الولدِ للزَّوجةِ وإن نزلَ
	للزَّوجةِ معَ عدمِ الولدِ للزَّوجِ وإن نزلَ
الثُّمنُ	للزَّوجةِ معَ الولدِ للزَّوجِ وإن نزلَ
الثُّلثان	للبنتينِ فصاعدًا معَ عدمِ الابنِ المساوي
الثُّلثُ	للأمِّ معَ عدمِ الولدِ وإن نزلَ وعدمَ الأخوَّةِ
السُّدسُ	لكلِّ واحدٍ من الأبوينِ معَ الولدِ وإن نزلَ
	للأمِّ معَ الاخوةِ للأبوينِ أو للأبِ

مستند

	أقسامُ الوارثِ			
الورثةُ	بالفرضِ	بالقرابةِ	بالرَّدِّ	دخولُ النَّقصِ
الأبناءُ ذكورًا وإناثًا	−	+	−	−
الابنُ الذَّكر فما زاد	−	+	−	−
البنتُ الواحدة	+	−	+	+
البنتانِ فما زاد	+	−	+	+
الزَّوجُ	+	−	−	−
الزَّوجةُ	+	−	−	−
الأمُّ	+	−	+	−
الأبُ	+	+	+	−

أختبر معارفي وقدراتي

١- عدّدْ فوائدَ قوانينِ الإرثِ في الإسلامِ.

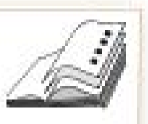
٢- بيّنِ المقدّماتِ الَّتي تُعتمدُ قبلَ توزيعِ الميراثِ.



٣- اشرحِ الحكمةَ من حُصَّةِ الأنثى في الميراثِ.

٤- عدِّدْ ثمَّ حدِّدْ مراتبَ الإرثِ في الإسلامِ.

٥- أعطِ مثلاً تطبيقيًّا على التّوزيعِ.



من حصاد الدَّرس

١- لحسنِ انتقالِ ثروةِ الميِّتِ إلى الورثةِ، كانَ قانونُ الإرثِ في الإسلامِ. من فوائدِهِ:

- يُوَثِّقُ الرَّوابطَ الإنسانيَّةَ بينَ أفرادِ الأُسرةِ.
- يعالجُ موضوعَ تَجمُّعِ الثَّروةِ في يدِ قلَّةٍ محدودةٍ.

٢- قبلَ توزيعِ حصصِ الورَثةِ، لا بدَّ من صرفِ الدُّيونِ المتنوِّعةِ:

- تجهيزِ مستلزماتِ الدَّفنِ.
- قضاءِ ديونِه على أنواعِها: - دَيْنٌ للهِ تعالى (الزَّكاةُ، الخمسُ، قضاء الصلاة والصوم، الحجُّ، الكفَّاراتُ...)
  - حقوقُ النّاسِ.
- تنفيذِ وصيَّتِهِ من الثُّلثِ.

٣- يفصِّلُ القرآنُ الكريمُ حصَّةَ الأُنثى من الميراثِ:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ...﴿١١﴾﴾ (النساء)

ولعلَّ الحكمةَ هنا تكمنُ في النَّفقاتِ الأُسريَّةِ المترتِّبةِ على الرَّجلِ (الإنفاقُ على الأسرةِ، مهرُ الزَّوجةِ، الزَّوجةُ ترثُ الزَّوجَ...)

٤- مراتبُ الإرثِ:

أ- الوالدانِ (الأبُ، والأمُّ)، والأولادُ، وأبناءُ الأولاد عندَ عدمِ وجودِ الولدِ.

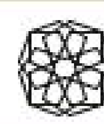
ب- الأجدادُ (الجدُّ والجدَّةُ)، آباؤهم معَ عدمِ وجودهِم، ثمَّ الأخوةُ والأخواتُ أو أولادُهما معَ عدمِ وجودِهم.

ج- الأعمامُ والعمّاتُ، والأخوالُ والخالاتُ، وأولادُهم إذا لم يكونوا موجودينَ.

٥- الإرثُ في القرابةِ الزَّوجيَّةِ:

أ- يرثُ الزَّوجُ من الزَّوجةِ النِّصفَ، إذا لم يكن لها ولدٌ، والرُّبعَ إذا كانَ لها ولدٌ.

ب- ترثُ الزَّوجةُ من الزَّوجِ الرُّبعَ، إذا لم يكنْ له ولدٌ، والثُّمنَ إذا كانَ له ولدٌ.



من ثقافة الروح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ (النساء / ١٢ – ١٤)

صدق الله العلي العظيم



تبقى في ذاكرتي



يقولُ اللهُ تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المائدة)



أبحاث المحور الثّالث ونشاطاته

(١) الاقتصادُ الإسلاميُّ يعالجُ ظاهرةَ الفقرِ - الأسلوبُ الوقائيُّ

يعتمدُ الإسلامُ أساليبَ وقائيَّةً تحولُ دونَ انتشارِ ظاهرةِ الفقرِ، وهي موزّعةٌ بينَ أساليبَ إيجابيَّةٍ وأخرى سلبيَّةٍ.

١- الموضوعُ الأوَّلُ: اشرح أهمَّ عناوينِ الطَّريقِ الوقائيِّ الإيجابيِّ، أيِّدْ ذلكَ بأمثلةٍ.

٢- الموضوعُ الثّاني: حدَّدَ الإسلامُ الطَّريقَ الوقائيَّ السَّلبيَّ بتحريمِ بعضِ السُّبلِ لجمعِ الثَّروةِ.

بيِّن أهمَّ هذهِ السُّبلِ، معَ شاهدٍ دينيٍّ لكلِّ سبيلٍ.

(٢) الاقتصادُ الإسلاميُّ يعالجُ ظاهرةَ الفقرِ - الأسلوبُ العلاجيُّ

وَرَدَ في الحديث: «أنَّ اللهَ تعالى فرضَ للفقراءِ في أموالِ الأغنياءِ ما يكتفونَ بهِ، ولو علِمَ أنَّ الَّذي فرضَ لهم لا يكفيهمْ لزادَهم، وإنما يُؤتى الفقراءُ فيما أُوتوا مِن منعِ مَنْ يمنعُهم حقوقَهم، لا من الفريضةِ لهم».

- حدِّدِ المواردَ الَّتي فرضها اللهُ تعالى على الأغنياءِ معَ الشَّواهدِ الدِّينيَّةِ على كلِّ موردٍ.

(٣) الإسلامُ والفنُّ

١- عرِّف معنى الفنِّ، بيِّن علاقتَهُ بالجمالِ.

- اشرح موقفَ الإسلامِ منهُ.
- عدِّد أهمَّ الضَّوابطِ الَّتي يعتمدُها الإسلامُ في العملِ الفنِّيِّ.

٢- أوضح نظرةَ الشَّرعِ الإسلاميِّ إلى كلٍّ من الموسيقى والغناءِ.

(٤) أحكامُ الإرث

١- يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ...﴿١١﴾ ﴾ (النساء)

حصَّةُ الأُنثى في الإرثِ أثارتْ جدلاً، بحيث اعتبرَ البعضُ ذلك انتقاصًا من إنسانيَّتِها.

- استنتج الحكمةَ من هذا التَّشريعِ.
- وبيِّن وجوهَ الإنصافِ فيهِ.

٢- توفِّيَ إنسانٌ وتركَ إرثًا بمقدارِ (٩,٦٠٠,٠٠٠ ل.ل)

وكانَ لهُ أبٌ وأمٌّ وزوجةٌ وأربعةُ أولادٍ وبنتانِ احتسب كيفَ يوزَّعُ هذا المبلغُ؟



المحورُ الرَّابعُ: أخلاقٌ وسلوكٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

صدق الله العلي العظيم

موضوعاتُ المحورِ







يا صغيري

يا صغيري سوف يمتدُّ بكَ العمرُ إلى ما ليسَ أدري
وستجري في خِضَمّ العمرِ... في مدٍّ... وجزرِ
وستدعى لدروبٍ... ليس تدري... أين تجري
كلّها تهتفُ باسمِ الحقّ... والفكرِ الأغرّ...
بشعارٍ يُظهرُ الدّينَ، ويغفو خلفَ كُفرِ...
فاحذرِ الزّيفَ، فقد يُرديكَ في أعمقِ بئرِ...
وابتغِ الحقَّ... ولا تخشَ بهِ لومةَ غِرّ

• • •

يا صغيري أنا عشتُ الحقَّ في ليلِ الصّراعِ
فكرةً بيضاءَ، لا تهدفُ إلا... للشُّعاعِ
إنّها تعملُ للإنسانِ... للحقّ المُضاعِ
لكيانٍ شامخٍ.. حرٍّ.. قويٍّ كالقلاعِ
يتحدّى الظُّلمَ والطُّغيانَ في زهوِ القِراعِ
نظرَ الإنسانَ روحًا هائمًا عبرَ الضّياعِ
وكيانًا لاصقًا بالأرضِ... في صمتِ الجياعِ
فمضى يختطُّ دربَ الخيرِ في خصبِ المراعي
في حياةٍ تنهلُ القوّةَ من ربٍّ مُطاعِ

• • •

يا صغيري لا تَدَعْ روحَكَ... في الدّربِ الطّويلِ
كثرةُ الأعداءِ في دُنياكَ.. من كلِّ قبيلِ
إنّ دربَ النّصرِ أن تهدمَ سورَ المستحيلِ
أن تُغذّيَ الرّوحَ بالإيمانِ والعزمِ الأصيلِ
فلقدْ ينهضُ بالقوّةِ والعبءِ الثّقيلِ
ناهضٌ يقطعُ دربَ النّصرِ... في جيشٍ قليلِ
قد يطولُ الدّربُ أو يقصرُ في قالٍ وقيلِ
رُبّما يُشجيكَ هزءٌ أو حديثٌ من جهولِ
ربّما ترهقُكَ الألوانُ في زهوِ الحقولِ
لا تَدَعْ خطوَكَ ينهارُ على كلِّ سبيلِ
إنّما النّصرُ لنا وعدٌ من الرّبِّ الجليلِ

(من ديوان قصائد للإسلام والحياة)





الدَّرسُ الأوَّلُ

الإسلامُ والعنفُ



﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة الشورى

صدق الله العلي العظيم





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أميِّزُ بينَ العنفِ والإرهابِ.
- أتعرَّفُ إلى موقفِ الإسلامِ منهما.
- ألتزمُ أساليبَ الإسلامِ تجاهَ العنفِ.



أقرأ وأحلل

مستند

١- يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران)

٢- وردَ عن رسولِ اللهِ ﷺ:

«ما وُضِعَ الرِّفقُ على شيءٍ إلّا زانَهُ.

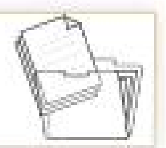
ولا وُضِعَ الخرقُ على شيءٍ إلّا شانَهُ.

فمنْ أُعطيَ الرِّفقَ، أُعطيَ خيرَ الدُّنيا والآخرة.



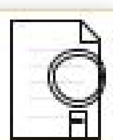
ومن حُرِمَهُ، حُرِمَ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ».

مستدرك وسائل الشيعة مجلد ١١ ص ٢٩٣



أطرحُ الموضوعَ

- عمَّنْ تتحدَّثُ الآيةُ الكريمةُ؟
- وعمَّ تتحدَّثُ؟ وما أهميَّةُ هذهِ الصِّفةِ في العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ؟
- وما الصِّفةُ المقابلةُ لها؟ وكيفَ يتحدَّثُ عن نتائِجها الحديثُ الشَّريفُ؟



أقرأ وأتعرَّف

١ - تحديدُ العنفِ

في اللُّغة: العنفُ هوَ الشِّدَّةُ، والغِلْظةُ، والحدَّةُ، وهو ضِدُّ الرِّفقِ.

والإنسانُ العنيفُ هو الَّذي لا يلتزمُ الرِّفقَ في سلوكِهِ معَ نفسِهِ أو الآخرِ.

وردَ في الحديثِ عن الإمامِ الباقر ﵇: **«إنَّ اللهَ تعالى يُعطي على الرِّفقِ ما لا يُعطي على العنفِ»**.

و«عنَّفَهُ» أخذَهُ بشدَّةٍ وقسوةٍ، ولامَهُ وعيَّرهُ.

في المصطلح: العنفُ هو كلُّ سلوكٍ قوليٍّ أو فعليٍّ يتضمَّنُ استخدامًا للقوَّةِ، أو التَّهديدَ باستخدامِها لإلحاقِ الأذى والضَّررِ بالذَّاتِ وبالآخرِ، أو لإتلافِ الممتلكاتِ لتحقيقِ أهدافٍ معيَّنةٍ.

والعنفُ هو استخدامُ القوَّةِ الماديَّةِ أو النَّفسيَّةِ على شخصٍ لإجبارِهِ على سلوكٍ أو التزامٍ معيَّنٍ.

العنفُ هو حالةٌ انفعاليَّةٌ تعني التَّعاملَ معَ الأفرادِ والأشياءِ بالشدَّةِ والقسوةِ، وهو ينطلقُ من انفعالِ الغضبِ الَّذي يتمثَّلُ بالثَّورةِ الجسديَّةِ الَّتي تنتابُ الإنسانَ إذا حِيلَ بينَهُ وبينَ ما يرغبُ.

ويقابلُ العنفَ في الاتجاهِ الآخرِ: الرِّفقُ والرَّحمةُ.

والعنفُ في أساسِهِ لا يمثِّلُ ظاهرةً غريزيَّةً فطريَّةً، فالإنسانُ يكتسبُها من خلالِ أنماطِ التَّربيةِ الَّتي يخضعُ لها، بحيثُ يمارسُ الإنسانُ العنفَ لردَّةِ فعلٍ في مواجهةِ أحداثٍ قاسيةٍ، وقضايا شائكةٍ يتعرَّضُ لها.

والعنفُ الانفعاليُّ ليسَ حالةً مرضيَّةً دائمةً، بل قد يكونُ ضروريًا في بعضِ الحالاتِ، لذلك يمكن تصنيفُهُ إلى نوعينِ هما:

أ- إيجابيٌّ ممدوحٌ، ويتمثَّلُ بـ:

- أداءِ مسؤوليَّةٍ في بعضِ حالاتِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ.
- التَّأديبِ وردعِ الانحرافِ.
- المواقفِ الجهاديَّةِ ضدَّ الغازي والمحتلِّ.



- الدِّفاع عن النَّفس.

ب- سلبيٌّ مذمومٌ، ويتمثَّلُ بـ: مواقفِ القهرِ والتَّسلُّطِ، والقتلِ والتَّخريبِ... والَّتي تُلحقُ الأذى بالآخر دونِ مبرِّرٍ.

٢- تحديدُ الإرهابِ

سادَ مصطلحُ الإرهابِ حديثًا، وهو شكلٌ من أشكالِ العنفِ المذموم، والمقصودُ به ما يتجاوزُ أعمالَ العنفِ المرضيَّةِ والإجراميَّةِ (السَّرقة، الثَّأر، العدوان، القتل...) إلى نطاقٍ أوسعَ، يتَّصلُ بتهديدِ أمنِ المجتمعِ وسلامتِهِ سياسيًّا وأمنيًّا وعسكريًّا... من خلالِ استخدامِ آلاتِ القتلِ والتَّدميرِ، وإثارةِ أجواءِ الرُّعبِ والذُّعرِ... بعيدًا عن التزامِ القيمِ، واحترامِ حقوقِ الإنسانِ.

الإرهابُ هو عملٌ منهجيٌّ يقومُ على العنفِ المُفرطِ، فقد ينطلقُ من دافعٍ عقائديٍّ، أو من مصلحةٍ سياسيَّةٍ، أو من عُقَدٍ نفسيَّةٍ...

وقد يمارسُهُ الأفرادُ أو المنظَّماتُ أو الدُّولُ... عن طريقِ استخدامِ القوَّةِ الَّتي تتجاوزُ الحدودَ المعقولةَ، مثلَ: الاعتداءِ على المظلومينَ وسفكِ دماءِ المدنيِّينَ، وإلحاقِ الضَّررِ بأملاكِ الآخرينَ ومقتنياتِهم وبلدانِهم.

والهدفُ منهُ هوَ إثارةُ الرَّهبةِ بإيجادِ مناخٍ من الخوفِ والرُّعبِ والهلعِ بينَ النَّاسِ.

من ميزاتِ الإرهابِ:

- لا يلتزمُ القيمَ، ولا يعتمدُ القانونَ أو الأعرافَ المجتمعيَّةَ أو الدَّوليَّةَ.
- تُبرِّرُ الغايةُ الوسيلةَ.
- يخالفُ الشَّرعَ والأخلاقَ والأعرافَ، وينتهكُ الحرماتِ والكراماتِ...
- ينشرُ الرُّعبَ باستخدامِ الأسلحةِ الفتَّاكةِ، والتَّفجيراتِ والقتلِ على الهويَّةِ، وممارسةِ أساليبِ التَّعذيبِ والتَّنكيلِ.
- يحرصُ الإرهابيُّ على ما يتركُهُ فعلُهُ من أثرٍ نفسيٍّ ضاغطٍ بينَ النَّاسِ «**اقتلْ شخصًا وأرهبْ عشرةَ آلافٍ**».

٣- الإرهابُ المذمومُ

يحرمُ فعلُهُ وممارستُهُ، ويُعتَبرُ من كبائرِ الذُّنوبِ، ويستحقُّ مرتكبُهُ الذَّمَّ والعقوبَةَ، وهذا قد يكونُ على مستوى الأفرادِ والجماعاتِ والدُّولِ... وحقيقتُهُ الاعتداءُ الظَّالمُ على الآمنينَ، على أرواحِهم وأمنِهم وأملاكِهم وأموالِهم وأعراضِهم... ومنَ الأمثلةِ الَّتي أصبحَتِ الخبزَ اليوميَّ لنشراتِ الأخبارِ، وصفحاتِ الجرائدِ:

- التَّفجيراتُ في السّاحاتِ العامَّةِ والمراكزِ الحكوميَّةِ والأمنيَّةِ...الَّتي تلجأُ إليها منظَّماتٌ متعدِّدةٌ.
- العمليَّاتُ الانتحاريَّةُ لقتلِ أكبرِ عددٍ ممَّنْ يختلفونَ معَهم في الرَّأيِ أو العقيدةِ.
- قطعُ الطُّرقِ، وخطفُ الأبرياءِ، والاعتداءُ على الأعراضِ وتلويثُ البيئةِ.
- استخدامُ الدُّولِ المعتديةِ (كإسرائيلَ) لإرهابِ الشُّعوبِ (الفلسطينيّون) المظلومةِ.



- إرسالُ خطاباتٍ بريديَّةٍ تحملُ ميكروباتٍ وبائيَّةً.
- كبتُ الحرّيّاتِ المشروعةِ وتكميمُ الأفواهِ من قِبَلِ الحُكّامِ الظّالمينَ.
- تعطيلُ الاتّصالاتِ الخدماتيَّةِ، باستخدامِ الوسائلِ الألكترونيَّةِ.

٤- آية : وأعدّوا



يقولُ اللّهُ تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴿٦٠﴾﴾ (الأنفال)

فما شرعَهُ اللّهُ تعالى، وأمرَنا بهِ، هوَ إعدادُ العدَّةِ والتأهُّبُ لمقاومةِ أعداءِ اللّهِ ورسولِهِ والإنسانيَّةِ في إطارِ القيمِ الإنسانيَّةِ المحدَّدةِ، فعلى الشعوبِ المستضعفةِ ومن يحملُ قضاياها بذلُ قصارى الجهدِ في التَّسلُّحِ والتَّدرُّبِ وإعدادِ القوَّةِ... لإرهابِ الأعداءِ، كي يخافوا منهم ويحسبوا لهم ألفَ حسابٍ، قبلَ أن يفكّروا بالعدوانِ عليهم.

هذهِ الإخافةُ للعدوِّ هي الإرهابُ المشروعُ، الّذي يختلفُ تمامًا عن مصطلحِ الإرهابِ المذمومِ ومعناهُ المعاصرِ. بناءً عليهِ فإنَّ مقاومةَ الاحتلالِ عملٌ مشروعٌ، وردُّ فعلٍ على اعتداءاتِ المعتدينَ، فالمقاومةُ ليستْ إرهابًا، إنّها دفاعٌ مشروعٌ وواجبٌ عن النَّفسِ.

٥- مبادئُ إسلاميَّةٌ حولَ العنفِ

أ- العنفُ غيرُ المشروعِ: ومنه:

- العدوانُ على الآخرِ من دونِ حقٍّ... محرَّمٌ ومرفوضٌ ومُدانٌ: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ (البقرة)
- التَّخويفُ والتَّرهيبُ لأغراضٍ سياسيَّةٍ وعصبيَّةٍ ومذهبيَّةٍ: في الحديثِ «**مَنْ أخافَ مؤمنًا كانَ حقًا على اللهِ ألا يؤمِّنَهُ من فزعِ يومِ القيامةِ**».

عن الإمامِ عليٍّ عليه السلام: «**لا يَحلُّ لمسلمٍ أنْ يُروِّعَ مسلمًا**»

ب- العنفُ المشروعُ: ومنهُ:

- الدِّفاعُ عن النَّفسِ: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ...﴿١٥١﴾﴾ (الأنعام)
- العقوباتُ الّتي يستحقُّها الإنسانُ على أفعالِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ...﴿١٧٩﴾﴾ (البقرة)
- مقاومةُ المعتدي أو المحتلِّ: وردَ في الحديثِ. عن الرّسولِ صلى الله عليه وآله: «**من قُتلَ دونَ مالهِ فهوَ شهيدٌ**».



٦- معالجةُ ظاهرةِ العنفِ

حتّى لا يتحوَّلَ العنفُ المرضيُّ إلى ظاهرةٍ إرهابيَّةٍ، لا بدَّ من معالجةِ ظواهرِهِ ونتائجِهِ، والإسلامُ يعتمدُ في ذلكَ أسلوبينِ هُما:

أ- الأسلوبُ الوقائيُّ:

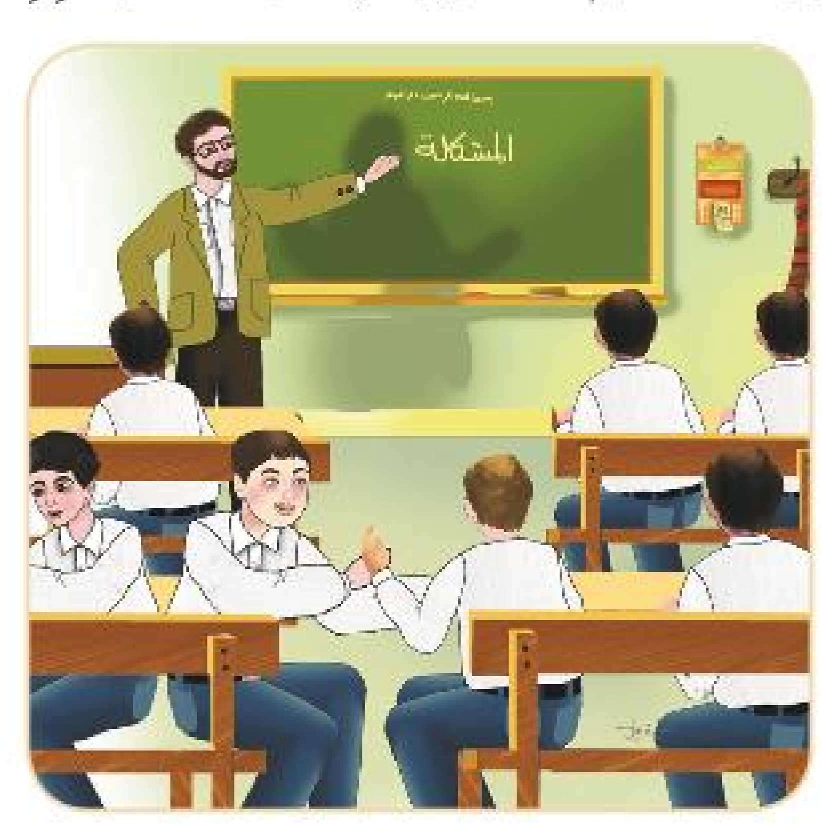
انسجامًا معَ إيحاءاتِ الآيةِ القرآنيَّةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ... ﴿٦﴾ ﴾ (التحريم)

يعتمدُ الإسلامُ الأساليبَ والتَّوجيهاتِ الَّتي تحولُ دونَ ظهورِ العنفِ أو استخدامِهِ من خلالِ تربيةِ الأولادِ بهدفِ تحصينِهم من آثارِهِ السَّلبيَّةِ، وكي لا يتحوَّلَ سلوكُهم إلى مزاجٍ حادٍّ متجذِّرٍ في عمقِ الشَّخصيَّةِ، وذلك باتِّخاذِ بعضِ الإجراءاتِ الإرشاديَّةِ الَّتي يُنصحُ بها المُربّونَ: ومنها:

- التَّعاملُ معَ الأبناءِ، بمحبَّةٍ وثقةٍ واحترامٍ... ليعيشوا الهدوءَ والأمنَ النَّفسيَّ.
- الاستجابةُ العفويَّةُ لحاجاتِهم المتعارفةِ، كي لا يشعروا بالظُّلمِ والحرمانِ.
- اعتمادُ العدالةِ في التَّعاملِ معَ الأفرادِ.
- تجنُّبُ التَّعييرِ باختلافِ قدراتِ الأفرادِ، وعدمُ المقارنةِ فيما بينَهم.
- الحرصُ على أنَ يكونَ المربّونَ قدوةً في ضبطِ انفعالاتِهم، وإلَّا انتقلتِ العدوى إلى أبنائِهم، فالطِّفلُ مقلِّدٌ ماهرٌ، يبحثُ عن قدوةٍ، ولديهِ الاستعدادُ النَّفسيُّ للتَّماهي.
- عدمُ تشجيعِ الأولادِ على العنفِ والثَّأرِ، فلا نقولُ: «**من ضربَكَ اضربْهُ**»
- الحرصُ على تنظيمِ حضورِهِ لبرامجِ التِّلفزيونِ والحاسوبِ وتوابعِهما، وبالأخصِّ تلكَ الَّتي تختصُّ بأفلامِ الرُّعبِ وقصصِ الجنِّ والعفاريتِ، والألعابِ الإلكترونيَّةِ والكرتونيَّةِ الَّتي تُظهرُ المجرمينَ واللُّصوصَ بمظهرِ القوَّةِ والفخرِ.
- إظهارُ الانزعاجِ الشَّديدِ أمامَ حالاتِ العنفِ الَّتي يُشاهدها الأهلُ بحضورِ الأولادِ، والتَّعليقُ على أحداثِها بسلبيَّةٍ.

ب- الأسلوبُ العلاجيُّ:

في حالِ ظهرَتْ بوادرُ العنفِ السَّلبيِّ لدى الولدِ في البيتِ أو المدرسةِ: العدوانُ، التَّحطيمُ، التَّخريبُ، إلحاقُ الأذى بنفسِهِ وأخوتِهِ، والاعتداءُ على الرِّفاقِ، العبثُ بالتَّجهيزاتِ، تحدّي المعلِّمينَ، الشَّغبُ داخلَ الصَّفِّ... على المُربّينَ ملاحظتُها ومتابعتُها في بداياتِها بمعرفةِ أسبابِها، وتحليلِ ظواهرِها، ومعالجةِ نتائجِها بتعاونٍ جدّيٍّ بينَ الأسرةِ والمدرسةِ، لأنَّ هذهِ الظَّواهرَ العنفيَّةَ إذا ما تفاعلَتْ في نفوسِهم، وتغذَّتْ بإغراءاتٍ وإيحاءاتٍ وأمنياتٍ من تيّاراتٍ فكريَّةٍ متطرِّفةٍ ومتخلِّفةٍ ومُغلقةٍ، أو من خلالِ بيئاتٍ فاسدةٍ... في أعمالِ عنفٍ قد تتجاوزُ الحدودَ الفرديَّةَ إلى ما هو أوسعُ وأخطرُ...



المهمُّ هوَ أنْ يكونَ التَّوجيهُ العقائديُّ والتَّربويُّ سليمينِ لأنهما مفتاحُ ضبطِ العنفِ وتحسينِ السُّلوكِ. وهنا لا بدَّ من اعتمادِ الوسائلِ العلاجيَّةِ الآتيةِ:

- النَّصيحةُ بالحوارِ الهادئِ المخلصِ، من خلالِ تقييمِ نتائجِ العنفِ السَّلبيَّةِ.
- اعتمادُ أساليبِ العقابِ المتدرِّجةِ في حالِ الإصرارِ .
- التَّحذيرُ من غضبِ اللهِ سبحانَهُ وتعالى.

خلاصةُ القولِ: لتكنْ توجيهاتُ الإسلامِ حاضرةً دائمًا في حياتِنا وذلكَ بتجنُّبِ العنفِ وإثارةِ أجواءِ المحبَّةِ والثِّقةِ والاحترامِ في العلاقاتِ الإنسانيَّةِ والأجواءِ الحواريَّةِ، والأبحاثِ الفكريَّةِ والسِّجالاتِ الدِّينيَّةِ، ومعالجةِ الأحداثِ التَّاريخيَّةِ...

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... ﴾ (النحل)

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... ﴾ (المؤمنون)

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ (الأنفال)

في أجواءِ الحربِ والقتالِ يحرصُ الإسلامُ على السُّلوكِ الإنسانيِّ المتوازنِ... من وصاياه:

عن الرسول ﷺ: **«لا تغدروا، ولا تغلوا ولا تُمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا، ولا متبتّلاً في شاهقٍ، ولا تحرقوا النَّخلَ...»**

الإمامُ عليٌّ عليه السلام: **وقد استبطأ أصحابَهُ إذنَهُ لهم في القتالِ بصفّينَ، فقالَ: «أما قولُكم: أكلُّ ذلكَ كراهيةَ الموتِ، فواللهِ ما أبالي، دخلتُ إلى الموتِ أو خرجَ الموتُ إليَّ. وأما قولُكم: شكّاً في أهلِ الشّامِ، فواللهِ ما دفعتُ الحربَ يومًا، إلا وأنا أطمعُ أن تلحقَ بي طائفةٌ فتهتديَ بي، وتعشوَ إلى ضوئي، وذلكَ أحبُّ إليَّ من أن أقتلَها على ضلالِها، وإن كانَتْ تبوءُ بآثامِها».**

أختبر معارفي وقدراتي

١- حدِّدْ معنى العنفِ لغويًّا واصطلاحيًّا.
٢- عدِّدْ أنواعَ العنفِ.
٣- في المقابلِ حدِّدْ معنى الإرهابِ، وميزَتَهُ عن العنفِ، وكذلكَ أنواعَهُ.
٤- بيِّنْ موقفَ الإسلامِ من ظاهرتَي العنفِ والإرهابِ.
٥- اشرحْ أسلوبَ الإسلامِ في معالجتِهِ لظاهرةِ العنفِ.

من حصادِ الدَّرسِ

١- العنفُ هو كلُّ سلوكٍ يتضمَّنُ استخدامًا للقوَّةِ لإلحاقِ الضَّررِ بالذّاتِ والآخرِ، أو لإتلافِ الممتلكاتِ لتحقيقِ أهدافٍ معيَّنةٍ.
العنفُ على نوعينِ هُما: أ- عنفٌ إيجابيٌّ ممدوحٌ (أمرٌ بمعروفٍ، تأديبٌ، جهادُ عدوٍّ...).
ب- عنفٌ سلبيٌّ مذمومٌ (تخريبٌ، قتلٌ بدونِ حقٍّ...)

٢- الإرهابُ هو عملٌ منهجيٌّ وأحياناً عشوائي يستهدفُ الاعتداءَ على المظلومينَ، وإلحاقَ الضَّررِ بأملاكِهم في مناخٍ يسودُهُ الخوفُ والرُّعبُ.

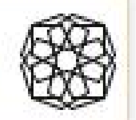
من ميزاتِ الإرهابِ: - لا يلتزمُ القيمَ.
- يخالفُ الشَّرعَ والفضائل.
- يستخدمُ كلَّ أساليبِ العدوانِ والتَّنكيلِ والعنفِ.

- الإرهابُ المذمومُ يتمثَّلُ بالتَّفجيراتِ في السّاحاتِ والأسواقِ، قطعِ الطُّرقاتِ، خطفِ الأبرياءِ، الاعتداءِ على المرَافقِ العامَّةِ...

- آية ﴿وأعدّوا...﴾: استخدمَتْ لفظةَ إرهابٍ لإخافةِ العدوِّ، من خلالِ إعدادِ العدَّةِ للمواجهةِ والدِّفاعِ.

٣- مبادئُ إسلاميَّةٌ: أ- العدوانُ على الآخرِ من دونِ حقٍّ محرَّمٌ ومرفوضٌ.
ب- العنفُ مشروعٌ في حالِ الدِّفاعِ عن النَّفسِ وردِّ العدوانِ.
ج- ضرورةُ تجنُّبِ العنفِ بإثارةِ أجواءِ المحبَّةِ والرَّحمةِ ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ...﴾ (المؤمنون)
د- في أجواءِ الحربِ، يجبُ الحرصُ على السُّلوكِ العقلانيِّ المتوازنِ «**لا تقتلوا وليدًا ولا مُتبتِّلاً...**»

٤- معالجةُ ظاهرةِ العنفِ: هناكَ أسلوبانِ:
أ- وقائيٌّ: - التَّعاملُ بمحبَّةٍ.
- الاستجابةُ لحاجاتِ النّاسِ المقبولةِ.
- القدوةُ في ضبطِ الانفعالِ.
- عدمُ تشجيعِ الأولادِ على أساليبِ العنفِ.
ب- علاجيٌّ: - دراسةُ أسبابِ وجودِ الظّاهرةِ عندَ الآخرِ.
- التَّعاونُ بينَ الأسرةِ والمدرسةِ لمعالجةِ أسبابِها.
- النَّصيحةُ بالحوارِ.
- اعتمادُ أساليبِ العقابِ المُتدرِّجةِ.




ما بينَ الرِّفقِ والإرهابِ

(منْ أجواءِ كربلاءَ)

مَلَكْنا فكانَ العفوُ مِنّا سجيَّةً ... فلمَّا ملكتمْ سالَ بالدَّمِ أبطحُ
وحلَّلتمُ قتلَ الأسارى وطالما ... عدَوْنا على الأسرى نعفُّ ونصفحُ
فحسبُكمْ هذا التَّفاوتُ بينَنا ... وكلُّ إناءٍ بالَّذي فيهِ ينضَحُ

ابن الصَّيفي






تبقى في ذاكرتي

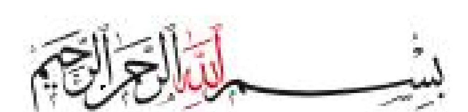
من دعاءِ النَّبيِّ موسى عليه السلام في القرآنِ الكريمِ:

﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ (طه)



الدَّرسُ الثّاني

من أساليبِ التَّواصلِ في الإسلام



﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ... ﴿٨٣﴾ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ

صدق الله العلي العظيم





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أعدِّدُ عناصرَ التَّواصلِ.
- أستدلُّ على أهميَّةِ التَّواصلِ الإيجابيِّ في الإسلامِ.
- أتعرَّفُ إلى صفاتِ الشَّخصِ المتواصلِ.
- أوضحُ قواعدَ فنِّ التَّواصلِ في الإسلامِ.
- ألتزمُ أصولَ التَّواصلِ وآدابَهُ الشَّرعيَّةَ في الحياةِ.





أقرأ وأحلّل

مستند

حوارُ النَّبيِّ موسى عليه السلام معَ فرعونَ

في سورةِ طهَ آياتٌ تصفُ حوارًا جرى بينَ النَّبيِّ موسى عليه السلام وفرعونِ مصرَ، بتكليفٍ منَ اللهِ تباركَ وتعالى:

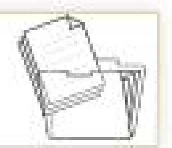
﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ ﴾ (طه)

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ



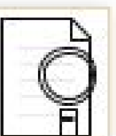
قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ (طه)

صدق اللهُ العليُّ العظيم



أطرحُ الموضوعَ

- في المقطعِ الأوَّلِ: - ماذا طلبَ اللهُ تعالى من موسى عليه السلام؟ وما الَّذي طلبَهُ موسى عليه السلام من ربِّهِ؟ لماذا؟
- في المقطعِ الثَّاني: - ماذا طلبَ اللهُ تعالى من موسى عليه السلام وهارونَ عليه السلام ؟ وما الأسلوبُ الَّذي أرشدهما إليه؟ لماذا؟ وكيف جرى الحوارُ؟
- ما الَّذي نَستفيدُهُ في إطارِ الحوارِ والتَّواصلِ؟



أقرأ وأتعرَّف

١- تحديدٌ وعناصرُ

التَّواصلُ نشاطٌ شفويٌّ أو كتابيٌّ أو رمزيٌّ يتمُّ بينَ طرفينِ (مرسلٍ ومستقبلٍ) بهدفِ تبادلِ آراءٍ وأفكارٍ وخبراتٍ، من خلالِ أساليبَ ووسائلَ وقواعدَ متعارفٍ عليها.

التَّواصلُ هو عمليَّةٌ تفاعليَّةٌ (أخذٌ وعطاءٌ) تتحدَّدُ بعناصرَ منها:

- العنصرُ الأوَّلُ: المرسِلُ.
- العنصرُ الثَّاني: المستقبِلُ.
- العنصر الثَّالثُ: موضوعُ التَّواصلِ وهوَ الرِّسالةُ.

٢- أهميَّةُ التَّواصلِ

شجَّعَ الدِّينُ الإسلاميُّ على التَّواصلِ والتَّعارفِ باعتبارِ الإنسانِ كائنًا اجتماعيًّا لا يقوى على الحياةِ وحيدًا منعزلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات)

وأهميَّةُ التَّواصلِ النَّاجحِ تكمنُ في أنَّهُ:

- يمثِّلُ أسسَ العلاقاتِ الإنسانيَّةِ والتَّفاهمِ البَشريِّ، من خلالِ تبادلِ المعارفِ والخبراتِ.
- يُؤكِّدُ التَّفاعلَ الإيجابيَّ بينَ الأفرادِ والجماعاتِ.
- يُعزِّزُ روحَ الجماعةِ، ويُخفِّفُ طُغيانَ الأنا.
- يُوثِّقُ أواصرَ المحبَّةِ والإلفةِ.
- يُنمِّي ثقافةَ الفردِ، ويوسِّعُ من آفاقِهِ المعرفيَّةِ والاجتماعيَّةِ.





- يُساهمُ في احترامِ الإنسانِ لذاتِهِ وللآخرِ.
يعملُ على حلِّ النِّزاعاتِ بطريقةٍ إيجابيَّةٍ وفعّالةٍ.

٣- من صفاتِ الشَّخصِ المتواصلِ

حتَّى يُحقِّقَ الشَّخصُ اللّائقُ أهدافَهُ في عمليَّةِ التَّواصلِ، فيثيرُ الثِّقةَ والاحترامَ، عليهِ أنْ يتمتَّعَ بصفاتٍ اجتماعيَّةٍ منها:

١- يتجمَّلُ بأخلاقٍ عاليةٍ: بصدقٍ في القولِ، وأمانةٍ في الأداءِ، وتواضعٍ في السُّلوكِ، ووضوحٍ في الموقفِ، واحترامٍ للآخرِ: في وصيَّةٍ للإمامِ عليٍّ (ع): «**وأشعرْ قلبكَ الرَّحمةَ للرَّعيَّةِ والمحبَّةَ لهم واللُّطفَ بهم...**»

٢- يتَّصفُ بالمرونةِ والحكمةِ والموضوعيَّةِ، والأفقِ الواسعِ، والفكرِ المنفتحِ، والنَّفسيَّةِ المرحةِ والمتفائلةِ: يقولُ اللهُ تعالى:
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ... ﴾ (النحل)

٣- يتسلَّحُ بالصَّبرِ الجميلِ، والصَّدرِ الواسعِ، والأعصابِ الباردةِ، والقدرةِ الكافيةِ على استيعابِ انفعالِ الآخرِ، يقولُ اللهُ تعالى لنبيِّهِ محمَّدٍ (ص): ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ (المزمل)

٤- يعرف الآخرَ بخصائصِهِ المتنوِّعةِ: مزاجِهِ، أخلاقِهِ، خلفيَّاتِهِ الفكريَّةِ، علاقاتِهِ الاجتماعيَّةِ، حاجاتِهِ الشَّخصيَّةِ، وما يتَّفقُ معَهُ، وما يختلفُ.

٥- يملكُ ثقافةً واسعةً في موضوعِ الحوارِ، بالشَّكلِ الَّذي ينسجمُ معَ ثقافةِ العصرِ، ومستوى الآخرِ.

٤- من آدابِ التَّواصلِ الإسلاميِّ الفعّالِ

من يمارسْ عمليَّةَ التَّواصلِ في الإسلامِ، فعليهِ الالتزامُ بالآدابِ الآتيةِ:

١- أن يكونَ حاضرَ الذِّهنِ، شديدَ الانتباهِ... ليفهَمَ وجهةَ نظرِ الآخرِ بدقَّةٍ ووضوحٍ.

٢- أن يخاطبَ الآخرَ بلغةٍ سليمةٍ وواضحةٍ يفهمُها، يقولُ الرَّسولُ (ص): «**إنّا معاشرَ الأنبياءِ أُمِرنا أنْ نكلِّمَ النّاسَ على قدرِ عقولِهم**».

٣- أن يلتزمَ الهدوءَ في الحوارِ، فلا يُقاطعُ، ولا يرفعُ صوتَهُ، ولا يقابلُ الانفعالَ بانفعالٍ مشابهٍ، ويصبرُ على تحدّي الآخرِ حتى ولو كانَ مستفزّاً.

يقولُ الرَّسولُ (ص): «**من عرضَ لأخيهِ المسلمِ المتكلِّمِ في حديثِهِ فكأنَّما خدشَ في وجهِهِ**».

٤- يحترمُ مشاعرَ الآخرِ، ويُظهرُ الاهتمامَ بما يطرحُهُ، ولا يلجأُ إلى مظاهرِ الدَّهشةِ والتَّعجُّبِ والسُّخريّةِ... يقولُ اللهُ تعالى:
﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ... ﴾ (الحجرات)

٥- يعتمدُ الصِّدقَ والموضوعيَّةَ في تحرّي الحقيقة، يقولُ اللهُ تعالى:
﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة)

٦ - يتجنَّبُ كُلَّ أشكالِ الجدلِ الَّذي يتَّسمُ بالعصبيَّةِ والتَّوتُّرِ، يقولُ تعالى: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ.. ﴾ (النحل)

٥- فنُّ التَّواصُلِ الإسلاميِّ معَ الآخر

يحدِّدُ التَّوجيهُ الإسلاميُّ الإطارَ العامَّ لطبيعةِ التَّواصلِ الإيجابيِّ الفعَّالِ، والَّذي يمكنُ أن تُحدِّدَ معالمَهُ الآيةُ الكريمةُ: ﴿ ٱدْفَعْ



بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾ (فصّلت)

بالكلمةِ الطَّيِّبَةِ، والأسلوبِ الأحسنِ... تستطيعُ أن تقتربَ من الآخرِ المختلفِ وتُحسنَ التَّواصلَ معَهُ، ليندفعَ هوَ أيضًا نحوَكَ بالاقترابِ، والانفتاحِ على ما تقولُهُ وترغبُ فيه، فتربحَ بذلكَ عقلَهُ وعاطفتَهُ وكلَّ حياتِهِ.

عن «سليمانَ بنِ مهرانَ» قالَ: دخلتُ على الصّادقِ جعفرِ بنِ محمَّدٍ ﷺ وعنده نفرٌ من الشّيعةِ، فسمعتهُ يقولُ:

«يا معشرَ الشّيعةِ كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا، قولوا للنّاس حُسنًا، واحفظوا ألسنتَكمْ وكُفّوها عن الفضولِ وقبحِ القولِ».

على المسلمِ الحرصُ في توفيرِ بيئةٍ تواصليَّةٍ آمنةٍ، يعيشُ فيها الآخرُ أجواءَ المحبَّةِ والكرامةِ والثّقةِ والاحترامِ، من خلالِ الظّواهرِ التّاليةِ:

أ- المظهرُ اللائقُ: النَّظافةُ، الأناقةُ، الحيويَّةُ، الأدبُ، التَّواضعُ... وهذهِ من شأنِها أن تعطيَ صورةً إيجابيَّةً أوليَّةً عندَ الطَّرفِ الآخرِ.

ب- الابتسامةُ المنطلقةُ من وجهٍ بشوشٍ، ونفسيَّةٍ متفائلةٍ، ودعابةٍ حاضرةٍ ما يُشعِرُ الآخرَ بالمودَّةِ والطُّمأنينةِ: يقولُ الرَّسولُ ﷺ.

«تَبَسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صَدَقةٌ».



ج- احترامُ الآخرِ من خلالِ: - التَّقيُّدُ بموعدِ اللّقاءِ.

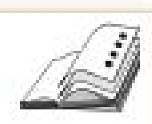
- إظهارِ الاهتمامِ الصّادقِ بالتَّحيَّةِ، الاستقبالِ، تحضيرِ المكانِ المناسبِ.
- التَّواضعِ وخفضِ الجناحِ، والتَّكلُّمِ معَهُ بعباراتِ الحبِّ واللُّطفِ.
- مناداتِهِ بالكُنيةِ الَّتي يحبُّها.

د- استخدامُ اللُّغةِ والمصطلحاتِ الَّتي تنسجمُ معَ مستواهُ الثَّقافيِّ، وخلفيّاتِهِ الفكريَّةِ.

هـ- في إطارِ الحوارِ الفكريِّ، الحرصُ على البَدءِ بما هو مشتركٌ ومُتَّفقٌ عليه، لكسبِ الثِّقةِ، وردمِ الهوَّةِ، وتجميدِ الحساسيّاتِ والعُقَدِ... يقولُ تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ... ﴿٦٤﴾ ﴾ (آل عمران)

و- قبولُ النَّقدِ من دونِ انفعالٍ، ومعالجتُه بالَّتي هيَ أحسنُ، والبُعدُ عن روحيَّةِ التَّعصُّبِ الأعمى، ثُمَّ لنلتزمِ الجرأةَ في الاعترافِ بالخطأِ إذا أثبتَ الآخرُ ذلكَ، يقولُ تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ ... ﴿٥٣﴾ ﴾ (الإسراء)

وقدْ وردَ في الحديثِ عن الإمامِ الصّادقِ ﷺ: **«أحبُّ أخواني إلَيَّ من أهدى إليَّ عيوبي».**

 أختبر معارفي وقدراتي

١- عرِّفِ التَّواصلَ الإيجابيَّ، واشرحْ أهميَّتَهُ.

٢- عدِّدْ صفاتِ الشَّخصِ المتواصل في الإسلامِ.

٣- بيِّن بعضًا من آدابِ التَّواصلِ الفعّالِ.

٤- حدِّدْ بعضَ قواعدِ الفنِّ التَّواصليِّ الفعّالِ، معَ شواهدَ اجتماعيَّةٍ.

من حصاد الدَّرس

١- التَّواصلُ نشاطٌ شفويٌّ أو كتابيٌّ يتمُّ بينَ طرفينِ (مرسلٍ ومستقبلٍ) بهدفِ تبادلِ آراءٍ وخبراتٍ.

٢- يشجِّعُ الإسلامُ على التَّواصلِ والتَّعارفِ، فهو:

- يُنمّي العلاقاتِ الإنسانيَّةَ (تفاهم، تعاون، تبادل خبرات...)
- يُعزِّز روحَ الجماعةِ، ويوثِّقُ أواصرَ المحبَّةِ.
- يعملُ على حلِّ النِّزاعاتِ.

٣- من صفاتِ الشَّخصِ اللّائقِ في التَّواصلِ:

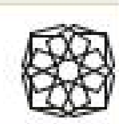
- يتجمَّلُ بأخلاقٍ عاليةٍ.
- يتَّصفُ بالحكمةِ والمرونةِ والانفتاحِ.
- يتسلَّحُ بالصَّبرِ والقدرةِ على استيعابِ انفعالِ الآخرِ.
- يملكُ الكفاءةَ العلميَّةَ والمعرفةَ بخصائصِ الآخرِ.

٤- من قواعدِ التَّواصلِ الإيجابيِّ:

- يلتزمُ حُسنَ الإصغاءِ.
- يخاطبُ الآخرَ بوضوحٍ ويحترمُ رأيَهُ.
- يلتزمُ الهدوءَ في الحوارِ (لا يرفعُ صوتَهُ، ولا يقاطعُ...).
- يعتمدُ الصِّدقَ والموضوعيَّةَ في البحثِ عن الحقيقةِ.

٥- من قواعدِ فنِّ التَّواصلِ في الإسلامِ.

- المظهرُ الخارجيُّ اللّائقُ (النَّظافةُ، الأناقةُ، الابتسامةُ...)
- احترامُ الآخرِ (التَّحيَّةُ، التَّواضعُ، عباراتُ الحبِّ، التَّقيُّدُ بالموعدِ...)
- استخدامُ لغةٍ ومصطلحاتٍ مناسبةٍ.
- البدءُ بما هو مشتركٌ ومتَّفَقٌ عليهِ.
- قبولُ النَّقدِ، واحترامُ الآخرِ في النَّقدِ.
- الاعترافُ بالخطأ، والاعتذارُ منهُ.

من ثقافة الروح

من كلامِ الأئمَّةِ عليهم السلام

١- في وصيَّةٍ للإمامِ عليٍّ عليه السلام:

«واعلمْ أنَّ الكلامَ في وثاقكَ ما لم تتكلَّمْ بهِ، فإذا تكلَّمْتَ بهِ صرتَ في وثاقهِ، فاخزنْ لسانَكَ كما تخزنُ ذهبَكَ وورقَكَ».

٢- في حديثٍ عن الإمامِ جعفرٍ الصّادقِ عليه السلام:

«لا تغترّوا بصلاتِهم ولا بصيامِهم، فإنَّ الرَّجلَ ربّما لهِجَ بالصَّلاةِ والصَّومِ حتّى لو تركَهُ استوحشَ، ولكن اختبروهم بصدقِ الحديثِ وأداءِ الأمانةِ».



تبقى في ذاكرتي

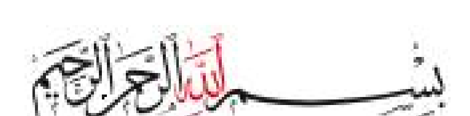
يقولُ اللهُ تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝٤٦﴾ (العنكبوت)



الدَّرسُ الثّالث

العصبيَّةُ والاعترافُ بالآخرِ



«ليسَ مِنّا من ماتَ على عصبيّةٍ»

الرَّسولُ الأعظمُ ﷺ





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أتعرَّفُ إلى موقفِ الإسلامِ من العصبيَّةِ.
- أشرحُ نظرةَ الإسلامِ للآخرِ.
- أستنتجُ طرقَ معالجةِ الإسلامِ لظاهرةِ العصبيَّةِ.
- ألتزمُ قيمَ الإسلامِ في العلاقةِ معَ الآخرِ.



أقرأ وأحلّل

مستند

سُئلَ الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ عليهما السلام عن العصبيَّةِ فقالَ:

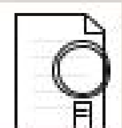
«العصبيَّةُ الَّتي يأثمُ عليها صاحبُها أن يرى الرَّجلَ شِرارَ قومِهِ خيرًا من خيارِ قومٍ آخرينَ، وليسَ من العصبيَّةِ أن يُحِبَّ الرَّجلُ قومَهُ، ولكن من العصبيَّةِ أن يُعينَ قومَهُ على الظُّلمِ».

(الكافي ج ٢ ص ٣٠٨)



أطرحُ الموضوعَ

- بيِّنْ معنى العصبيَّةِ؟
- كيفَ يُوضِّحُ الإمامُ زينُ العابدينَ حدودَ العصبيَّةِ؟
- وهل تعرفُ كيف بحثَها الإسلامُ؟ وكيف عالجَها؟



أقرأ وأتعرَّف

١ - العصبيَّةُ القبليَّةُ في الجاهليَّةِ

يقولُ اللّهُ تعالى في وصفِ الكافرينَ: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ (الفتح)

من القضايا الاجتماعيَّةِ الَّتي ميَّزَتِ المجتمعَ الجاهليَّ قبلَ الإسلامِ: العصبيَّةُ القبليَّةُ، الَّتي يختصرُ واقعَها البيتُ الشِّعريُّ:

وما أنا إلا من غُزيةَ إن غَوَتْ غويتُ وإنْ ترشدْ غزيةُ أرشدِ

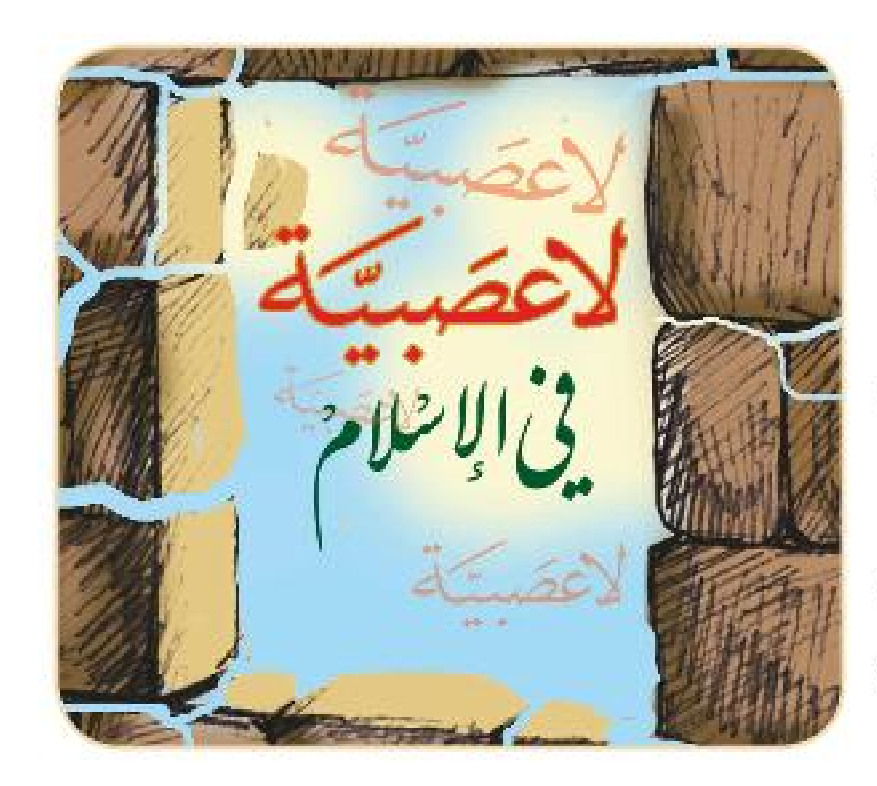
وهي الَّتي تمثَّلَتْ بالقولِ: «**انصرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا**»

الإنسانُ في الجاهليَّةِ ينتمي بكلِّ كيانِه إلى قبيلتِه، يتبنَّى أفعالَها، ويلتزمُ عاداتِها ويقدِّسُ تحالفاتِها، ويحترمُ مواقفَها... يحاربُ من تحاربُ، ويسالمُ من تسالمُ، لا يفكِّرُ في مشروعيَّةِ هذهِ الحربِ وذلكَ السِّلمِ، سواءٌ انطلقَ من حقٍّ أو باطلٍ، أو دفاعٍ عن النَّفسِ أم عدوانٍ.

هذهِ الذِّهنيَّةُ المُغلقةُ، القائمةُ على التَّعصُّبِ الأعمى، عاشَ ويلاتِها الجاهليُّونَ بحروبٍ طويلةٍ طاحنةٍ، امتدَّتْ لسنوات وعقود من خلالِ أسبابٍ تافهةٍ، أمثال حروبِ داحسٍ والغبراءِ والبَسوسِ...

٢ - موقفُ الإسلامِ من العصبيَّةِ

في الإسلامِ، العصبيَّةُ الجاهليَّةُ مرفوضةٌ جُملةً وتفصيلاً، فمن البدايةِ ارتفعَ شعارُ «**لا عصبيَّةَ في الإسلامِ**»، شعارٌ أكَّدَتْه النُّصوصُ الدِّينيَّةُ: عن رسولِ اللهِ ﷺ:



«**ومن تَعصَّبَ أو تُعُصِّبَ لهُ فقد خلعَ ربْقَةَ الإيمانِ من عنقِه**».

«**من كانَ في قلبِهِ حبَّةٌ من خردلٍ من عصبيَّةٍ، بعثَهُ اللهُ يومَ القيامةِ معَ أعرابِ الجاهليَّةِ**».

والإمامُ عليٌّ عليه السلام يعتبرُ أنَّ إبليسَ كانَ إمامَ المُتعصِّبينَ فقالَ: «**أمّا إبليسُ فتعصَّبَ على آدمَ لأصلِه، وطعنَ عليهِ في خلقَتِه، فقالَ: أنا ناريٌّ، وأنتَ طينيٌّ**».

والعصبيَّةُ لا تعني أنْ ينأى الإنسانُ عن قومِه، فلا يفتحُ جسورَ التَّواصلِ معَهم، فالإسلامُ أكَّدَ على صلةِ الرَّحمِ، وحُبِّ الفردِ لأهلِه، فهؤلاءِ أولى بالمودَّةِ والصِّلة



والتّعاونِ... ولكنّهُ رفضَ «**العصبيَّةَ الّتي يأثمُ عليها صاحبُها: أن يرى شِرارَ قومِهِ، خيرًا من خيارِ قومٍ آخرينَ**»، كما عبَّرَ عن ذلكَ الإمامُ زينُ العابدينَ (ع). المهمُّ هوَ أن لا نؤيِّدَ من أهلِنا من عُرفوا بالظُّلمِ والعدوانِ، فقد وردَ عن الإمامِ عليٍّ (ع):

«**فإن كانَ لا بدَّ من العصبيَّةِ، فليكنْ تعصُّبكم لمكارمِ الخصالِ، ومحامدِ الأفعالِ، ومحاسنِ الأمورِ الّتي تفاضلَتْ فيها المُجداءُ والنُّجداءُ من بيوتاتِ العربِ...**»

إنَّ أخطرَ ما في العصبيَّةِ هو أن تعتبرَ أخطاءَ أبناءِ قومِكَ ووطنِكَ مزايا ومناقبَ يُحتذى بها، فتسعى لتبريرِها وتكريسِها واقعًا تحتَ شعارِ «أبناءُ وطني دائمًا على حقٍّ»، بل عليكَ أن تكونَ معَ الحقِّ والعدلِ مهما كانَتْ طبيعةُ من يُنادي به، يقولُ اللّهُ تعالى:

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ... ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة)

يختصرُ الرَّسولُ (ص) هذا الموقفَ الرّافضَ بالحديثِ:

«**ليسَ منّا من دعا إلى عصبيَّةٍ، وليسَ منّا من قاتلَ على عصبيَّةٍ، وليسَ مِنّا من ماتَ على عصبيَّةٍ**».

٣- مقياسُ التَّفاضلِ في الإسلامِ

معَ فجرِ الإسلامِ تغيَّرتِ المفاهيمُ، فأصبحَ النّاسُ سواسيةً كأسنانِ المشطِ، لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لأبيضَ على أسودَ... إلا بالتَّقوى، وأصبحَ مقياسُ التَّفاضلِ تُحدِّدُهُ عناوينُ منها:

أ- الإيمانُ والعملُ الصّالحُ: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (السجدة)

ب- التَّقوى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴿١٣﴾ ﴾ (الحجرات)

ج- العلمُ: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ (المجادلة)

د- الجهادُ: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (النساء)

ثمَّ إنَّ الإسلامَ طلبَ من المؤمنينَ تجاوزَ الحالةِ النَّفسيَّةِ الّتي تضيقُ بمن نكرهُهم ونعاديهم، فنكونُ معَ الحقِّ والعدلِ، حتّى ولو التزمَهما أعداؤنا، يقولُ اللّهُ عزَّ وجلَّ:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ... ﴿٨﴾ ﴾ (المائدة)

وهذا بالفعلِ يمثلُ قمَّةَ السُّموِّ الإنسانيِّ في العلاقاتِ الحقوقيَّةِ بينَ المواطنينَ.

وفي هذا الإطارِ حاولَ الرَّسولُ (ص) أن يفسِّرَ بعضَ الأمثالِ بطريقةٍ إيجابيَّةٍ فلقد تبنّى القولَ: «**انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا**».

فقالَ لهُ أحدُهم: فكيفَ أنصرُه ظالمًا؟

قالَ (ص): «**تردُّهُ عن ظلمِهِ، فذلكَ نصرُكَ إيّاهُ**».



٤- العصبيَّةُ والاعترافُ بالآخرِ

المقصودُ بالآخرِ هوَ الَّذي يختلفُ معَنا في الرَّأيِ والمعتقدِ وبعضِ القيمِ...

والاعترافُ بالآخرِ هو الإقرارُ بوجودِهِ، وكينونتِه الإنسانيَّةِ، وحقوقِهِ المشروعةِ بصرفِ النَّظرِ عن طبيعةِ أفكارِهِ وآرائِه.

المسلمُ إنسانٌ إيجابيٌّ في علاقتِهِ بالآخرِ، يعترفُ بحقوقِهِ، ويطالبُهُ بواجباتِهِ، يحفظُ له مكانتَهُ الإنسانيَّةَ، وحريَّتَهُ الدِّينيَّةَ... ما دامَ ملتزمًا بالضَّوابطِ الشَّرعيَّةِ، والقيودِ الأخلاقيَّةِ، كأيِّ إنسانٍ آخرَ، وبالأخصِّ ونحنُ نعيشُ في مجتمعٍ متعدِّدِ الثَّقافاتِ والاتِّجاهاتِ.

من وجهةِ نظرٍ دينيَّةٍ، يعترفُ المسلمُ بإنسانيَّةِ الآخرِ، فيحترمُهُ، ويحاورُهُ، ولا يفرضُ عليهِ رأيَهُ بأساليبِ القهرِ والعنفِ، فأساليبُ التَّحدّي هذه لا تربحُ عقلَ الآخرِ وقناعتَهُ، بل تثيرُ عداءَهُ، وتؤكِّدُ عصبيَّتَهُ...

ثمَّ إنّ الإسلامَ يحذِّرُ من أسلوبِ السُّبابِ والتَّكفيرِ، الَّذي يمثِّلُ أسلوبَ الضُّعفاءِ الَّذينَ لا يملكونَ الحُجَّةَ الَّتي تُقنع، المهمُّ هو الابتعادُ عن نفسيَّةِ التَّعصُّبِ الَّذي يقودُ كلَّ فريقٍ إلى تدميرِ الآخرِ أو هزيمتِهِ.

لكلِّ إنسانٍ الحقُّ في الاختلافِ معَ الآخرِ في تفكيرِهِ وانتمائِهِ وذوقِهِ، وطريقةِ عيشِهِ... وله الحقُّ في التَّعبيرِ عنها ضمنَ الضَّوابطِ الَّتي تحترمُ حُرِّيَّةَ الآخرِ وسلامَهُ وأمنَهُ.



٥- العصبيَّةُ في الحوارِ

في إطارِ الاعترافِ بالآخرِ، ومسؤوليَّةِ التَّواصلِ الإيجابيِّ معَهُ يدخلُ الحوارُ كأسلوبٍ حضاريٍّ تُطرَحُ فيهِ الآراءُ، وتُعالَجُ فيه الاختلافاتُ، من أجلِ التَّوصُّلِ إلى قواسمَ مشتركةٍ تؤكِّدُ الثِّقةَ والاحترامَ، وتُخفِّفُ من غلواءِ العَصبيَّةِ.

والحوارُ الَّذي ينشدُهُ الإسلامُ هوَ الَّذي يحترمُ القواعدَ الأخلاقيَّةَ والإنسانيَّةَ الآتيةَ:

- يحترمُ رأيَ الآخرِ، ويُصغي إليهِ.
- يلتزمُ فيه الهدوءَ، ويحذرُ الانفعالَ، مهما كانَتْ طبيعَةُ تَحدّي الآخرِ.
- يتقبَّلُ النَّقدَ بإيجابيَّةٍ، حتَّى ولو كانَ ظالمًا.
- يحتاطُ في تعبيرِهِ، فيبتعدُ عن لغةِ الاتِّهامِ الَّتي تُغلقُ عقلَ الآخرِ.
- لا يُشعِرُ الآخرَ أنَّهُ ينطلقُ من أفكارٍ مسبقةٍ لا يمكنُ التَّنازلُ عنها، وبتعبيرٍ آخرَ لا يُظهرُ عصبيَّتَهُ المطلقةَ لما يطرحُهُ من أفكارٍ.

رسولُ اللهِ ﷺ وهوَ الحقُّ، كانَ – في حوارِهِ – لا يتعالى على الآخرين، ولا يدمغُ خصمَهُ بصفةِ الضَّلالِ، بل كان يتركُ المجالَ لمعالجةِ الموضوعِ كأمرٍ قابلٍ للأخذِ والرَّدِّ: ﴿ وإنّا أو وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾

إنَّ هذا الموقفَ الإنسانيَّ المتجرِّدَ يجعلُ المحاورَ موضعَ احترامِ الآخرِ، فيقتربُ منه، ليبادلَهُ الموقفَ ذاتَهُ، كطريقٍ للاعترافِ بخطئِهِ، أو عدمِ التَّعصُّبِ لهُ.

ما يريدُهُ الإسلامُ منّا هو أن ننطلقَ في حوارِنا من أجلِ الحقيقةِ، لا من أجلِ الجدلِ وتسجيلِ النِّقاطِ، وتحقيقِ الغلبةِ...



في الحوارِ الإسلاميِّ على الجميعِ أن يشعروا أنَّ مختلفَ الأطرافِ هم رفقاءُ في رحلةِ البحثِ عن الحقيقةِ، فلا مهزومَ هناك ولا منتصرَ: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (فصّلت)

٦- كيفَ نخفِّفُ من حالةِ العصبيَّةِ؟

في كتابِهِ إلى مالكِ الأشترِ، يقسِّمُ الإمامُ عليٌّ (ع) الناسَ صنفينِ: «**إمّا أخٌ لك في الدِّينِ، وإمّا نظيرٌ لكَ في الخَلقِ، يفرطُ منهم الزَّللُ، وتعرضُ لهم العللُ...**»

وحتّى يتربَّى الإنسانُ على قبولِ من يختلفُ معَهُ، يُنصَحُ بالأخلاقِ والآدابِ الآتيةِ:

- يحترمُ إنسانيَّةَ الآخرِ، ويرجو لهُ الهدايةَ ويتوقَّعُ منهُ الخطأَ ويجتهدُ في نَصحِهِ وإصلاحِهِ.
- يلتزمُ التَّواضعَ، فيفهمُ حقيقةَ نفسِهِ، ويقدِّرُ كفاءةَ الآخرِ، ويقبلُ النَّقدَ، ويعالجُهُ بحكمةٍ.
- يعتمدُ العقلَ والحُجَّةَ مقياسًا للقبولِ والرَّفضِ: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (البقرة)
- يعبِّرُ بالَّتي هيَ أحسنُ، ويَصبرُ على التَّحدي، ويتراجعُ عن الخطأِ: «**أحبُّ أخواني إليَّ من أهدى إلي عيوبي**».



أختبر معارفي وقدراتي

١- اذكرْ خصائصَ العصبيَّةِ الجاهليَّةِ.

٢- حدِّدْ موقفَ الإسلامِ من العصبيَّةِ... استشهدْ بنصوصٍ.

٣- عدِّدْ مقاييس التَّفاضلِ في الإسلامِ.

٤- بيِّنْ مَنْ هوَ الآخرُ، وحدودَ الاعترافِ به.

٥- وضِّحْ قواعدَ الحوارِ في الإسلامِ.

٦- اشرح كيفَ نخفِّفُ من حالةِ العصبيَّةِ في الإسلامِ؟

من حصاد الدَّرس

١- يتميَّزُ الإنسانُ في الجاهليَّةِ بعصبيَّتِهِ، فينتمي إلى قبيلتِه، ويلتزمُ مواقفَها وتحالفاتِها سواءٌ كانتْ على حقٍّ أو على باطلٍ: «انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

٢- رفضَ الإسلامُ العصبيَّةَ الجاهليَّةَ. فقد ورد عن رسولُ اللهِ (ص): «**مَنْ تعصَّبَ، أو تُعصِّبَ لهُ، فقدْ خلعَ رِبْقَةَ الإيمانِ من عُنُقِهِ**».





ما يرفضُهُ الإسلامُ هو «**العصبيَّةُ الَّتي يأثمُ عليها صاحبُها أن يرى شرارَ قومِهِ خيرًا من خيارِ قومٍ آخرينَ**».

٣- مقياسُ التَّفاضلِ في الإسلامِ، عناوينه:

- الإيمانُ والعملُ الصّالح: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ۝﴾ (السجدة)
- التَّقوى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ...۝﴾ (الحجرات)
- العلمُ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ...۝﴾ (المجادلة)
- الجهادُ: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ... ۝﴾ (النساء)

٤- العصبيَّةُ والاعترافُ بالآخرِ: المسلمُ إنسانٌ إيجابيٌّ في علاقتهِ مَعَ الآخرِ الَّذي يختلفُ معَهُ فكرًا ورأيًا، يعترفُ بحقوقِهِ، يحفظُ له مكانَتَهُ الإنسانيَّةَ، وحريَّتَهُ الدِّينيَّةَ في إطارٍ من الضَّوابطِ والقيمِ.

٥- من أجلِ تخفيفِ حدَّةِ العصبيَّةِ، يعتمدُ الإسلامُ الحوارَ الَّذي:

- يحترمُ رأيَ الآخرِ بإصغائِهِ وهدوئِهِ وتعبيرِهِ.
- يتقبَّلُ النَّقدَ بإيجابيَّةٍ.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝﴾ (فصلت)

- يعتمدُ العقلَ مقياسًا للقبولِ والرَّفضِ.



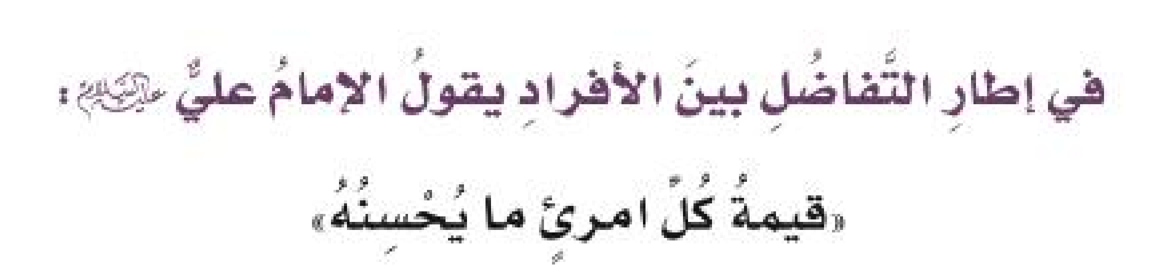

من ثقافة الروح

بينَ الإيمانِ والعصبيَّةِ

يقولُ اللهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ (المجادلة)




تبقى في ذاكرتي

في إطارِ التَّفاضُلِ بينَ الأفرادِ يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام:

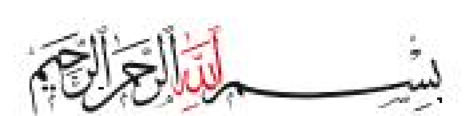
«قيمةُ كُلِّ امرئٍ ما يُحْسِنُهُ»



الدَّرسُ الرّابعُ

من دعاءِ مكارمِ الأخلاقِ

الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام



«اللهمَّ... وهبْ لي معاليَ الأخلاقِ»

الإمام زين العابدين عليه السلام





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أستنتجُ أهميَّةَ دُعاءِ مكارمِ الأخلاقِ في بناءِ الشَّخصيَّةِ الإسلاميَّةِ.
- أميِّزُ بينَ السُّلوكِ الإيجابيِّ في الأخلاقِ والسُّلوكِ السَّلبيِّ.
- أعدِّدُ بعضَ مكارمِ الأخلاقِ الَّتي تمثِّلُ حليةَ المتَّقينَ.
- ألتزمُ قراءةَ الدُّعاءِ.



أقرأ وأحلّل

مستند

أَللَّهُمَّ صَلِّ على مُحمَّدٍ وَآلِهِ وَسَدِّدْني لأَنْ أُعارِضَ مَنْ غَشَّني بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَني بِالْبِرِّ، وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَني بِالْبَذْلِ، وَأُكافِئَ مَنْ قَطَعَني بِالصِّلَةِ، وَأُخالِفَ مَنِ اغْتابَني إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وَأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّني بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْني

معاني المفردات

سدِّدني	:وفِّقني
أعارض	:أكافئ وأقابل
النّائرة	:العداوة
العارفة	:المعروف
العائبة	:العيب



زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَإِطْفاءِ النَّائِرَةِ، وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وَإِصْلاحِ ذاتِ الْبَيْنِ، وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيْبِ الْمُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ، وَالإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، وَالقَوْلِ بِالْحَقِّ وَإِنْ عَزَّ، وَاسْتِقْلَالِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثارِ الشَّرِّ وإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَمُسْتَعْمِلي الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ.

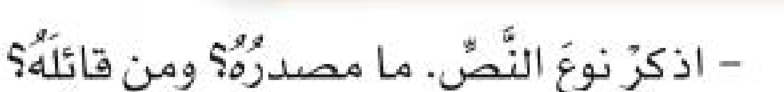
(الصّحيفة السّجاديَّة)

البين	:البعد
العريكة	:الطَّبيعة
خفض الجناح	:كناية عن الرِّفق والتَّواضع
السِّيرة	:السُّلوك
سكون الريح	:الوقار
طيب المخالقة	:حسن المعاشرة
التَّفضّل	:العطاء ابتداءً
التَّعيير	:تقبيح الفعل
أهل البدع	:يبتدعون الأحكام بحسب أهوائهم

أطرحُ الموضوعَ

- اذكرْ نوعَ النَّصِّ. ما مصدرُهُ؟ ومن قائلُهُ؟
- بيِّنِ الموضوعَ الرَّئيسَ الَّذي يعالجُهُ.
- عدِّدْ أبرزَ عناوينِه الفرعيَّةِ.
- وضِّحْ نتائجَ العملِ بكلِّ عنوانٍ على صعيدِ نماءِ الشَّخصيَّةِ الإسلاميَّةِ.

أقرأ وأتعرّف



بينَ الدُّعاءِ ومكارمِ الأخلاقِ

يقولُ الرَّسولُ الأكرمُ ﷺ: **«إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ»**

وهذا يوحي بأنَّ مكارمَ الأخلاقِ تمثِّلُ العنوانَ الكبيرَ للرِّسالةِ الإسلاميَّةِ، تمامًا كما لو كانتِ المهمَّةُ النَّبويَّةُ في واقعِ الإنسانِ مهمَّةً أخلاقيَّةً، ليكونَ التَّشريعُ بكلِّ تفاصيلِه تعبيرًا عن المفرداتِ الأخلاقيَّةِ في جزئيّاتها العمليَّةِ.

ومن الأساليبِ الرُّوحيَّةِ الَّتي يعتمدُها الإسلامُ في تأكيدِ المضمونِ الأخلاقيِّ في عمقِ الشَّخصيَّةِ: الدُّعاءُ للهِ تعالى، إذ من خلالِ إيحاءاتِه الوجدانيَّةِ والفكريَّةِ يُربِّي في المؤمنِ إرادةَ الفعلِ، فينقلُها من حركةٍ في الإحساسِ، إلى انفعالٍ في الوجدانِ، إلى قناعةٍ في العقلِ، إلى أداءٍ في السُّلوكِ.

ما أجملَ أن يقفَ المؤمنُ الخاضعُ الخاشعُ بينَ يدي ربِّه، في آفاقِ عظمتِه، حيثُ القدرةُ المطلقةُ، والرَّحمةُ الواسعةُ، والرِّعايةُ



الحانيةُ فيبتهلُ إليهِ في رحابِ محبَّتِهِ ورحمتهِ وقوَّتِهِ، ليستعينَ به على كلِّ مواطنِ الضَّعفِ الكامنةِ في داخلِهِ، في تعبيرٍ صارخٍ عن الإحساسِ بالرَّغبةِ في تقويمِ ما اعوجَّ، وإصلاحِ ما فسدَ، واستقامةِ ما انحرفَ، وكلُّ ذلكَ يتَّصلُ بمفرداتِ الأخلاقِ الَّتي يعالجُها الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام في دعائِهِ «في مكارمِ الأخلاقِ ومرضيِّ الأفعالِ»، وهذهِ بعضٌ من نفحاتِهِ:

١- من مظاهر السُّلوكِ الإيجابيِّ في الأخلاقِ

في آفاقِ السُّموِّ الإنسانيِّ يرتفعُ الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام بدعائهِ في مواجهةِ المواقفِ الحياتيَّةِ السَّلبيَّةِ بمواقفَ إيجابيَّةٍ، فيطلبُ من اللهِ تعالى أمرينِ:

- أن يمنحَهُ روحيَّةَ العطاءِ الَّذي ينسابُ في الإحساسِ الطَّاهرِ، كانسيابِ الماءِ من الينبوعِ الَّذي يُعطي الخصبَ للحياةِ من دونِ أن يطلبَ عوضًا.
- أن يبعدَهُ عن الأخلاقِ الانفعاليَّةِ الَّتي تتحرَّكُ على أساسِ ردَّةِ الفعلِ في الموقفِ، فيكونَ االناصح حتى للغاشين، والباذل حتى للمانعين.



اللَّهُمَّ وسدِّدني لأن:

أ- «أعارضَ من غشَّني بالنُّصحِ...»

اللَّهُمَّ اجعلْني الإنسانَ الَّذي يفكِّرُ بالنُّصحِ لجميعِ خلقِكَ، من دونِ فرقٍ بينَ النَّاسِ، وخاصَّةً معَ الَّذينَ يمارسونَ معي الغُشَّ عندما أطلبُ نصيحتَهم.

ب- «وأُجازيَ من هجرَني بالبرِّ...»

اللَّهُمَّ ووفِّقني لأنْ أبرَّ النَّاسَ، وخاصَّةً أولئكَ القاطعينَ لي، والمعقّدين منّي، ليكونَ البرُّ حالةً إنسانيَّةً لا شأنَ لها بالمصالحِ الشَّخصيَّةِ.

ج- «وأثيبَ من حرمَني بالبذلِ...»

اللهمَّ واجعلْني من الَّذينَ يُبادلونَ الحرمانَ من الآخرينَ بالبذلِ لهم، انطلاقًا من روحيَّةِ العطاءِ من دونِ مقابلٍ.

د- «وأكافئَ من قطعَني بالصِّلةِ...»

اللَّهُمَّ وهبْ لي الرُّوحَ الَّتي تدفعُني إلى صلةِ النَّاسِ الَّذينَ يُقاطعونني بالمكافأةِ والإحسانِ، فأتحرَّكُ معهم من موقعِ الإيمانِ بضرورةِ التَّواصلِ الإنسانيِّ والمسؤوليَّةِ الاجتماعيَّةِ.

هـ- «وأخالفَ من أغتابني إلى حُسْنِ الذِّكرِ...»

اللهمَّ وارزقْني السُّموَّ الأخلاقيَّ الَّذي يدفعُني إلى مقابلةِ من اغتابَني، وتهجَّمَ عليَّ بالذِّكرِ الحَسَنِ، مُتجنِّبًا الخوضَ في عيوبِ النَّاسِ وأعراضِهم، فذكرُ عيوبِهم هو إسقاطٌ لكراماتِهم وهذا ما لا يقبلُهُ اللهُ لعبادِهِ.

و- «وأن أشكرَ الحسنةَ وأُغضيَ عن السَّيِّئةِ»

اللَّهُمَّ واجعلْني ممن يجزي الإحسانَ بالإحسانِ، فيشكرُ الحسنةَ من الآخرِ، ولا يتنكَّرُ لها، ويعفو عن السَّيِّئةِ، فيتجاوزُها وينساها، انطلاقًا من السمو بالنَّفسِ عن السُّقوطِ إلى مستوى من يمارسونها.



هذهِ فضائلُ أخلاقيَّةٌ بشَّرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ بقوله:

«ألا أخبرُكم بخيرِ خلائقِ الدُّنيا والآخرةِ: العفوُ عمَّنْ ظلمَكَ، وتصلُ من قطعَكَ، والإحسانُ إلى من أساءَ إليكَ، وإعطاءُ من حرمَكَ».

وهنا لا بدَّ من الإشارةِ إلى أنَّ هذا المستوى من السُّموِّ الرُّوحيِّ والأخلاقيِّ يحتاجُ إلى مزيدٍ من مجاهدةِ النَّفسِ لتردعَهُ عن ردّاتِ الفعلِ الآثمةِ، ما يؤدّي إلى عفوِ اللهِ تعالى عنّا، وقدوتُنا الكُبرى همُ الأنبياءُ والأئمَّةُ عليهم السلام في مواقفِهم الرُّوحيَّةِ، فعن الإمامِ زينِ العابدينَ عليه السلام: **«اللهمَّ إنَّكَ أنزلتَ في كتابِكَ العفوَ، وأمرتَنا أن نعفوَ عمَّن ظلَمنا، وقد ظَلمنا أنفسَنا، فاعفُ عنّا، فإنّكَ أولى بذلكَ منّا».**

٢- معَ حليةِ الصّالحينَ وزينةِ المُتَّقينَ

«اللّهُمَّ وَحلّني بحليةِ الصّالحينَ، وألبسني زينةَ المُتَّقين...»: بهذهِ الرّوحِ الإيمانيَّةِ المتواضعةِ تتحوَّلُ المسألةُ الأخلاقيَّةُ إلى حليةٍ يتحلّى بها الصالحونَ، كما هيَ الحلى على صدورِ النَّاسِ وثيابِهم، وفي معاصِمِهم وأصابعِهم، وإلى زينةٍ يتزيَّنُ بها الْمُتَّقونَ كما هي المساحيقُ على وجوهِ النّاسِ، والرُّسومُ على جدرانِ منازِلِهم... للإيحاءِ بأنَّ هناك زينةً وحليةً في الأخلاقِ والأفكارِ والمشاعرِ والمواقفِ... أكثرَ أهميَّةً وأقوى تأثيرًا... منها:

أ- «... في بسطِ العدلِ...»

اللهمَّ اجعلْني ممَّنْ يحملونَ العدلَ رسالةً، فأعملُ على نشرِهِ وتشجيعِهِ والالتزامِ بمضمونِهِ، فأتحرَّكُ على أساسِ أن أؤدِّيَ لكلِّ ذي حقٍّ حقَّهُ فأؤدّي:

- حقَّ اللهِ تعالى بالتَّوحيدِ والطَّاعةِ والعبوديَّةِ.
- حقَّ الأنبياءِ والأوصياءِ بالتَّصديقِ والالتزامِ.
- وحقَّ النَّفسِ بالامتثالِ لأوامرِ اللهِ ونواهيهِ.
- وحقَّ النّاسِ بحفظِ حقوقِهم، وإنصافِهم.

اللهمَّ اجعلْني منَ العادلينَ في حياتي، ومنَ الّذينَ يُحرِّكونَ طاقاتِهم في مواجهةِ الظُّلمِ والظَّالمينَ ليقومَ النّاسُ بالقسطِ.

ب- «... وكظمِ الغيظِ وإطفاءِ النّائرةِ...»

اللهمَّ اجعلْني الإنسانَ الَّذي يعيشُ في وجدانِهِ الهدوءَ الرُّوحيَّ والاتِّزانَ النَّفسيَّ، فيحبسُ انفعالاتِهِ في ثورةِ الغيظِ الدَّاخليِّ في مواجهةِ إساءاتِ الآخرينَ وعدوانِهم.

اللهُمَّ اجعلْني أتخفَّفُ من الغيظِ الدَّاخليِّ الَّذي يتفجَّرُ في النَّفسِ، وفي حياةِ النّاسِ، ولا تجعلْ شِفاءَ الغيظِ هدفًا في حياتي، بل اجعلْني في انفتاحي على الخيرِ الَّذي تحبُّهُ بالعفوِ عمَّنْ أساءَ، والصَّفْحِ عمَّنِ اعتدى.

إنّني يا ربِّ سأكظمُ غيظي لأنَّكَ تحبُّ الكاظمينَ الغيظَ والعافينَ عن النّاسِ، وتحبُّ المحسنينَ... عن رسولِ اللهِ ﷺ:

«مِنْ أحبِّ السُّبلِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ جرعتانِ: جرعةُ غيظٍ تردُّها بحلمٍ، وجرعةُ مصيبةٍ تردُّها بصبرٍ».



ثمَّ وفِّقني – يا ربِّ – لأنْ أكونَ من الَّذينَ يطفئونَ نارَ الفتنةِ عندما يشعُلها النّاسُ، من خلالِ التّأكيدِ على المحبَّةِ والرَّحمةِ، والقضاءِ على مشاعرِ الحقدِ والكراهيةِ.

يا ربِّ... امنحني الأسلوبَ الّذي يتحرَّكُ برفقٍ في تخفيفِ التّوتُّرِ المجنونِ في المشاعرِ، وهبْ لي القدرةَ على إثارةِ الأفكارِ الّتي تطفئُ نارَ البغضاءِ بروحِ المحبَّةِ.

ج- «... وضمِّ أهلِ الفرقةِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ...»

اللهمَّ وفِّقني لأنْ أدخلَ بينَ الناسِ الَّذينَ فرّقتْهُمُ النّزاعاتُ، وباعدَتْ بينهم الفِتَنُ، لأؤلِّفَ بينَ قلوبِهم من خلالِ الكلمةِ الطّيّبةِ، والموعظةِ الحسنةِ، الّتي تجتمعُ على المحبَّةِ في حبِّكَ، وتتواصلُ على الحقِّ من خلالِ رسالتِكَ، فيتحوَّلُ البغضُ إلى حُبٍّ، والعداوةُ إلى صداقةٍ.

واجعلْني ممَّنْ ينشدُ الإصلاحَ، امتثالاً لأمرِكَ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ...﴾ (الأنفال)

فعن الإمامِ الصّادقِ عليه السلام: «صدقةٌ يحبُّها اللهُ: إصلاحٌ بينِ النّاسِ إذا تفاسَدوا، وتقاربٌ بينهم إذا تباعدوا».

اللهُمَّ اجعلِ الإصلاحَ بينَ النّاسِ وجمعَ شملِهم رسالتي في الحياة، وصدَقتي الّتي أتقرَّبُ بها إليكَ، وعملي الصّالحَ الّذي أتقرَّبُ به منكَ يومَ الحسابِ.

د- «... وإفشاءِ العارفةِ، وسترِ العائبةِ...»

اللهُمَّ اجعلْني ممَّنْ يعيشونَ روحيَّةَ الخيرِ والمعروفِ، ويلتزمونَ به، فهؤلاءِ هم الطّيّبونَ الّذينَ يرتفعونَ بالحياةِ إلى مستوى ما يريدُهُ اللهُ تعالى من أخلاقٍ وفضائلَ.

وفي الوقتِ ذاتِه، اجعلْني ممَّنْ يسترُ عيوبَ النّاسِ، ونقاطَ ضعفِهم، انطلاقًا من احترامِ إنسانيَّةِ المسلمِ، حتّى لا أسقطَ هيبَتَه، وَأُسيءَ إلى موقعِه، وهنا عليه أن يبادرَ من موقعِ النَّصيحةِ إلى التَّحدُّثِ معهُ بطريقةٍ سرّيَّةٍ من أجلِ أنْ يصحِّحَ ما أعوجَّ منه.

هـ- «... ولينِ العريكةِ، وخفضِ الجناحِ، وحُسْنِ السِّيرةِ وسكونِ الرِّيحِ»: يا ربِّ... إنَّني أحبُّ أن أكونَ الإنسانَ:

- الطَّيِّبَ، اللَّيِّنَ في طبيعتِه، اللَّطيفَ المنفتحَ على النَّاسِ في علاقاتِه.
- المتواضعَ الَّذي يقدِّمُ التَّنازلَ من ذاتِه للآخرينَ من دونِ ضعفٍ.
  الَّذي ينظرُ إليهم بمحبَّةٍ لا بكبرياءٍ من موقعِ الرِّفق بإنسانيَّتِهم.
- المُتَّزِنَ في عناصرِ شخصيَّتِه، الوقورَ في حركتِه وعلاقاتِه، الَّذي يواجهُ تحدّياتِ الحياةِ بحكمةٍ وسكونٍ ورويَّةٍ.

و- «وطيبِ المخالقةِ، والسَّبقِ إلى الفضيلةِ وإيثارِ التَّفضُّلِ...»

يا ربِّ، امنحني القدرةَ الرُّوحيَّةَ على أن أملكَ حلاوةَ اللِّسانِ، وحيويَّةَ المزاجِ، ومرونَةَ الأسلوبِ، وفضيلةَ المحبَّةِ، لتتكاملَ كلُّ هذهِ العناصرِ في شخصيَّتي، وتتحوَّلَ إلى سلوكٍ عمليٍّ في حسنِ المعاشرةِ، وطيبِ المخالقةِ، فأكونَ بذلكَ رمزًا للتَّواصلِ، ومفتاحًا للخيرِ، ومنطلقًا للسُّرورِ.

يا ربِّ، اجعلْني من المتنافسينَ على الخيرِ، السّابقينَ إلى الفضيلةِ في التَّقوى والعلمِ والعملِ الصَّالحِ، لأحصلَ على التَّفوُّقِ

الإيمانيِّ الَّذي يجعلُني من القدوةِ القريبينَ من رسالتِكَ، والفائزينَ بثوابِكَ.

يا ربِّ، اجعلْني من المبادرينَ إلى الإحسانِ، المسارعينَ إلى خدمةِ النّاسِ وقضاءِ حوائجِهم، والتَّخفيفِ من آلامِهم، لا أريدُ منهم جزاءً ولا شكورًا.

ز- «وتركِ التَّعييرِ، والإفضالِ على غيرِ المستحقِّ...»

يا ربِّ، أبعدْني عن الذِّهنيَّةِ الضَّيِّقةِ الَّتي ترصدُ عيوبَ النّاسِ، كوسيلةٍ لإسقاطِ معنويّاتِهم، والضَّغطِ على عنفوانِهم، من خلالِ أسلوبِ التَّعييرِ الَّذي يقبِّحُ الفعلَ، ويوبِّخُ الفاعلَ، من أجلِ التَّشفِّي والتَّنفيسِ عن العُقَدِ، فعن الإمامِ الصّادق عليه السلام:

«من عيَّرَ مؤمنًا بذنبٍ، لم يَمُتْ حتّى يركبَهُ».

يا ربِّ، إنَّك حبَّبْتَ إليَّ فعلَ الخيرِ، والسَّبقَ إلى الفضيلةِ، من خلالِ نعمِكَ الَّتي منحتني إيّاها في نفسي ومالي وجاهي، فعرِّفْني- يا ربِّ - مواقعَ الخيرِ في الحياةِ، وأهلَ المعروفِ في النّاسِ، لأبذلَ الخيرَ لمن يستحقُّهُ منَ الَّذينَ تنفتحُ قلوبُهم على الحقِّ، لا الَّذينَ يزيدُهم العطاءُ عتوًّا وغرورًا وطغيانا.

ح- «والقولِ بالحقِّ وإن عزَّ، واستقلالِ الخيرِ وإن كثرَ من قولي وفعلي، واستكثارِ الشَّرِّ، وإن قلَّ من قولي وفعلي»: اللهُمَّ اجعلني من المتمسِّكينَ بالحقِّ، الملتزمينَ بعناوينِهِ حتّى في المواقفِ القاسيةِ الَّتي يكونُ فيها قولُ الحقِّ مكلفًا، بسببِ هيمنةِ الباطلِ، وقوَّةِ مواقعِ أهلِهِ.

- يا ربِّ، ارزقني شجاعةَ الموقفِ في الكلمةِ القويَّةِ، والفعلِ القويمِ الَّذي يتحرَّكُ في خطِّ الدَّعوةِ إليكَ، فلا أخافُ فيها لومةَ لائمٍ، ولا أخشى ضغطَ ظالمٍ، ثقةً مني برعايتِكَ، ورغبةً برضوانِك.

- ووفِّقني - يا ربِّ - لفعلِ الخيرِ في القولِ والفعلِ، فأبذلَ كلَّ جهدي في انتاجِهِ وتحريكِهِ في حياةِ النّاسِ، لتكونَ حياتي كُلُّها مَسرحًا للبذلِ وساحةً للعطاءِ، بحيثُ أحِسُّ دائمًا بالتَّقصيرِ، فأشعرُ بقلَّتِهِ، وضآلتِهِ ولو كانَ كثيرًا، لأنَّ رسالةَ الخيرِ تفرضُ عليَّ الحركةَ في كُلِّ مواقعِهِ.

- ووفّقني - أيضًا - لرفضِ الشَّرِّ في القولِ والفعلِ، فأبذلَ كلَّ طاقتي في محاربتِهِ وإبعادِهِ عن حياةِ النّاسِ، فأجاهدَ نفسي حتّى تمتنعَ عن إنتاجِهِ، لتخلوَ حياتي من صغائرِهِ فضلاً عن كبائرِهِ، وأعملَ على الدُّخولِ معَهُ بمعاركَ متلاحقةٍ ودائمةٍ لأملأَ حياتي قسطًا وعدلاً.



ط- «وأكملْ ذلك لي بدوامِ الطَّاعةِ ولزومِ الجماعةِ، ورفضِ أهلِ البِدَعِ ومُستعملي الرَّأيِ المخترعِ»: اللهُمَّ اجعلْني من الَّذينَ يتحسّسونَ عبوديَّتَكَ وربوبيَّتك، بالمزيدِ من الالتزامِ بطاعتِكِ، والانقيادِ لمشيئَتِكَ.

اللهُمَّ وفّقني لأنْ أحفظَ وحدةَ المسلمينَ من خلالِ الاعتصامِ بحبلِ اللهِ، والالتزامِ بتعاليمِه، فنلتقيَ على ما اتَّفقنا عليهِ من عقائدَ وقيمٍ وأحكامٍ، ونردَّ ما اختلَفْنا عليهِ إلى اللهِ تعالى ورسولِهِ ومن أمرتَ بطاعتِهِ، بعيدًا عن البدعِ والآراءِ الَّتي لا تحترمُ المعاييرَ الدِّينيَّةَ والعقليَّةَ.

أختبر معارفي وقدراتي

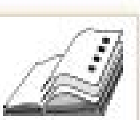
١- اذكر كيفَ يهذِّبُ الدُّعاءُ أخلاقَ المسلمِ؟

٢- في إطارِ السُّلوكِ الإيجابيِّ، اشرحْ كيفَ يواجهُ المسلمُ مواقفَهُ الحياتيَّةَ من خلالِ الدُّعاءِ.

٣- عدِّدِ العناوينَ الَّتي تمثِّلُ بالنِّسبةِ إلى الإمامِ عليه السلام حليةَ الصَّالحينَ.

٤- حدّد ماذا يطلبُ المسلمُ من ربِّهِ في شأنِ:

- العدلِ، كظمِ الغيظِ.
- ضمِّ أهلِ الفرقةِ.
- إفشاءِ العارفةِ، وسترِ العائبةِ.
- خفضِ الجناحِ، وطيبِ المخالقةِ...



من حصاد الدَّرس

١- يقولُ الرَّسولُ صلى الله عليه وآله: «إنّما بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ».

مكارمُ الأخلاقِ تمثِّلُ العنوانَ الكبيرَ للرِّسالةِ الإسلاميَّةِ.

٢- في دعاءِ مكارمِ الأخلاقِ يرتفعُ الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السلام بالمسلمِ في آفاقِ السُّموِّ الإنسانيِّ فيواجهُ المواقفَ الحياتيَّةَ السَّلبيَّةَ بمواقفَ إيجابيَّةٍ، فيطلبُ من ربِّهِ أن:

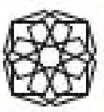
- أُعارضَ من غشّني بالنُّصحِ.
- أُجازيَ من هجرَني بالبرِّ.
- أثيبَ من حرمَني بالبذلِ.
- أكافئَ من قطعَني بالصِّلةِ.
- أخالفَ من اغتابني إلى حسنِ الذِّكرِ.
- أشكرَ الحسنةَ، وأتجاوزَ عن السَّيِّئةِ.

٣- في دعاءِ مكارمِ الأخلاقِ، يطلبُ الإمامُ عليه السلام منَ اللهِ تعالى أن يلبسَهُ حليةَ الصّالحينَ، وزينةَ المُتَّقينَ الَّتي تتمثَّلُ في:

- بسطِ العدلِ ، وكظمِ الغيظِ.
- ضمِّ أهلِ الفرقةِ وإصلاحِ ذاتِ البَينِ.
- إفشاءِ العارفةِ (نشر الخير) وسترِ العائبةِ (ستر العيب) .
- خفضِ الجناحِ (التّواضع) ، وحُسْنِ السِّيرةِ.
- طيبِ المُخالقةِ، والسَّبقِ إلى الفضيلةِ.



- قولِ الحقِّ، ودوامِ الطّاعةِ.
- لزومِ الجماعةِ، ورفضِ أهلِ البدعِ.

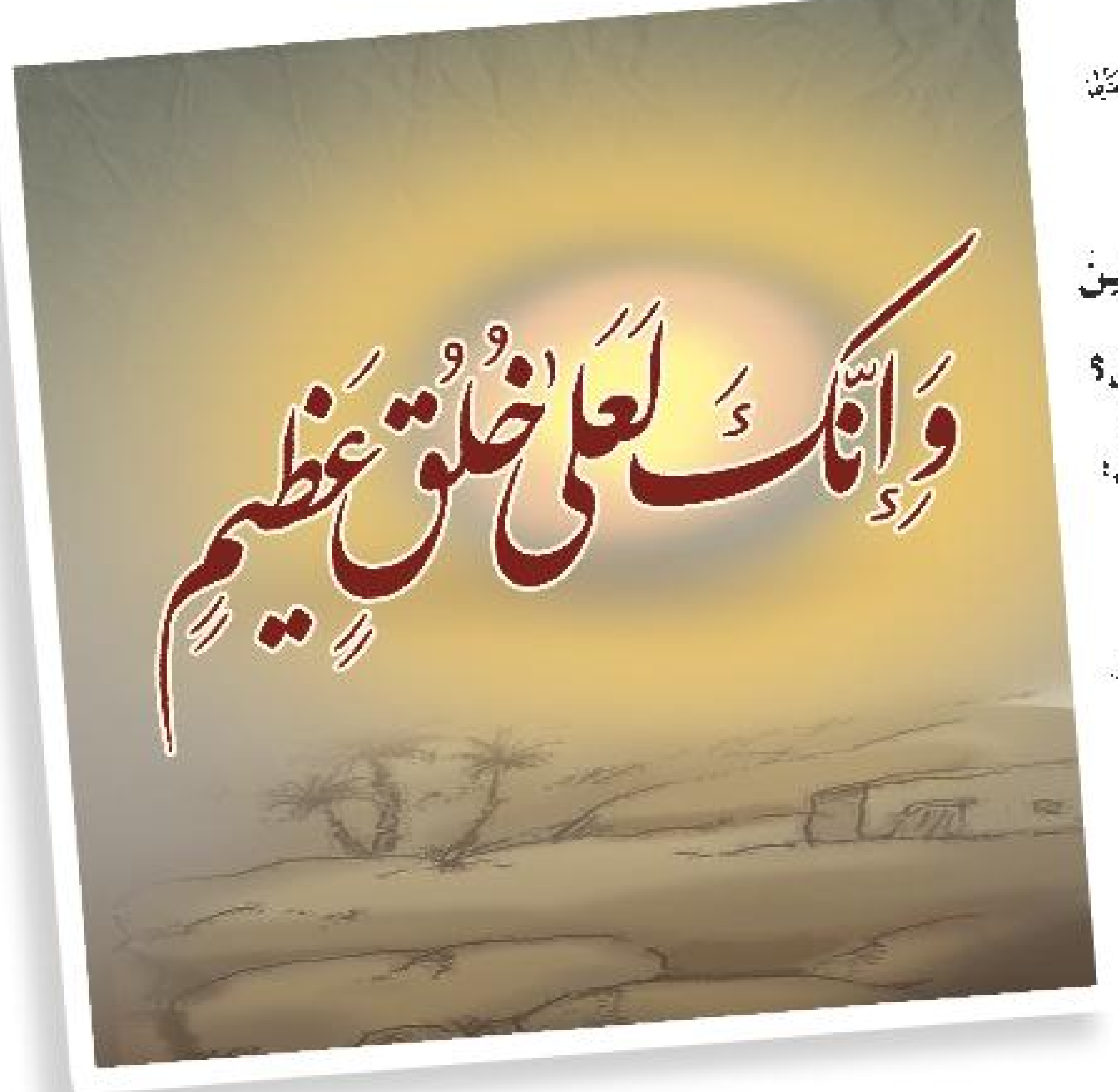


من ثقافة الروح

من الأخلاقِ الإيجابيّةِ

١- عنِ أبي عبدِ اللّهِ الإمامِ جعفرٍ الصّادقِ عليه السلام قالَ:

قالَ رسولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: **«ألا أخبرُكم بخيرِ خلائقِ الدُّنيا والآخرةِ: العفوُ عمَّنْ ظلمَكَ، وتصلُ منَ قطعَكَ والإحسانُ إلى من أساءَ إليكَ، وإعطاءُ مَن حرمَكَ».**



٢- عن أبي حمزةَ الثّماليِّ، عن الإمامِ عليٍّ بنِ الحسينِ عليهما السلام قالَ: سمعتُهُ يقولُ:

«إذا كانَ يومُ القيامةِ، جمعَ اللّهُ تباركَ وتعالى الأوّلينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ، ثمَّ يُنادي منادٍ: أينَ أهلُ الفضلِ؟ قال: فيقومُ عنقٌ من النّاسِ، فتتلقّاهمُ الملائكةُ، فيقولونَ: وما كانَ فضلُكم؟

فيقولون: كُنّا نصِلُ مَنْ قَطعنا، ونُعطي مَنْ حَرمنا، ونعفو عمَّنْ ظلمَنا.

قالَ: فيُقالُ لهم صدقتُمْ، ادخلوا الجنَّةَ».

تبقى في ذاكرتي

في دعاءِ مكارمِ الأخلاقِ يدعو الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ عليهما السلام:

«ولا ترفعْني في النّاسِ درجةً إلا حططتني عندَ نفسي مثلَها، ولا تُحدِثْ لي عِزًّا ظاهرًا إلاّ أحدثْتَ لي ذِلّةً باطنةً عندَ نفسي بقدرِها»



أبحاث المحور الرَّابع ونشاطاته

(١) الإسلام والعنف

١- عرِّف العنفَ؟... وعدِّدْ أنواعَهُ.

ميِّزْ بينَ العنفِ والإرهابِ.

٢- اشرحْ طرق معالجةِ الإسلامِ ظاهرةَ العنفِ المرضيِّ (المذموم).

(٢) التَّواصلُ الإيجابيُّ الفعالُ

١- حتَّى يحقِّقَ الإنسانُ أهدافَه في عمليَّةِ التَّواصلِ، عليه أن:

- يتَّصفَ بخصائصَ اجتماعيَّةٍ.
- يلتزمَ آدابًا اجتماعية.
- اذكرْها.

٢- من أجلِ تحقيقِ أهدافِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ، على المسلمِ الحرصُ في توفيرِ بيئةٍ تواصليَّةٍ آمنةٍ، يعيشُ فيها الآخرُ أجواءَ المحبَّةِ والثِّقةِ والاحترامِ.

- اشرحْ أهمَّ خصائصِ هذه البيئةِ.

(٣) العصبيَّةُ وقبولُ الآخرِ

١- اذكرْ كيفَ كانَتِ العصبيَّةُ في الجاهليَّةِ.

وكيف تعاملَ معها الإسلامُ؟

٢- اشرحْ أبرزَ مشكلاتِ العصبيَّةِ في الحوارِ والاعترافِ بالآخرِ.

وبيِّنْ كيفَ يمكنُ أن نُخفِّفَ من حَدَّتِها.

(٤) من دعاءِ مكارمِ الأخلاقِ

١- عرِّفِ الصَّحيفةَ السجاديَّةَ.

اذكر بعضَ أسماءِ الأدعيةِ الَّتي تداومُ عليها.

٢- عدِّدْ بعضَ أنماطِ السُّلوكِ الإيجابيِّ المذكورةِ في الدُّعاءِ.







المحور الخامس: ثقافة وحضارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الذاريات

صدق الله العلي العظيم

موضوعاتُ المحورِ







موطني

الجلالُ والجمالُ والسّناءُ والبَهاءُ في رُباك
والحياةُ والنّجاةُ والهناءُ والرَّجاءُ في هواكَ
هل أراك
سالمًا مُنعَّما وغانمًا مُكرَّما
هل أراك
في عُلاك تبلغُ السّماك
موطني

❖ ❖ ❖

الشَّبابُ لن يكِلَّ همُّهُ أن يستقلَّ أو يبيد
نستقي من الرَّدى ولن نكونَ للعِدى كالعبيد
لا نُريد
ذُلَّـنـا المـؤبَّـدا وعيشَنا المُنكَّدا
لا نريد
بــل نــعـيـد مجدَنا التليدا
موطني

❖ ❖ ❖

الحُسامُ واليراعُ لا الكلامُ والنِّزاعُ رمــزُنـــــا
مجدُنا وعهدُنا وواجبٌ إلى الوفا يهــزُّنــــا
عِزُّنا
غايةٌ تُشرِّفُ ورايةٌ تُرفرِفُ
يا هَناكَ
في عُلاك قاهرًا عداكَ
موطني

(إبراهيم طوقان)





الدَّرسُ الأوَّلُ

المواطنةُ في الإسلامِ

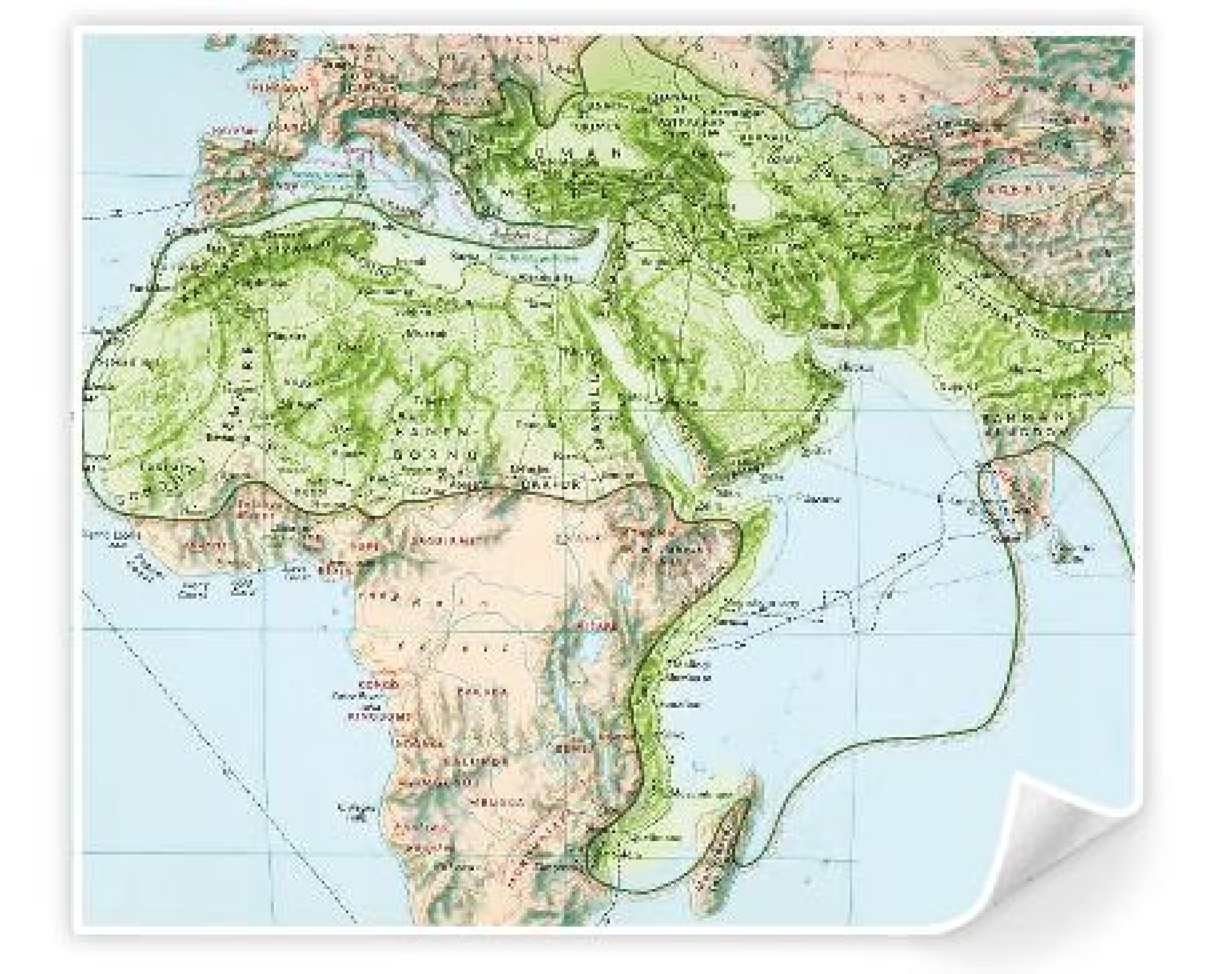


«حبُّ الوطنِ من الإيمانِ»

الرَّسولُ الأعظمُ ﷺ



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ



- أُحدِّدُ معنى الوطنِ والمواطنةِ.
- أتعرَّفُ رأيَ الإسلامِ في تعزيزِ الشُّعورِ بالمواطنةِ.
- أُميِّزُ بينَ حقوقِ المواطنةِ في الإسلامِ وواجباتِها.
- ألتزمُ صفاتِ المواطنِ الرِّساليِّ الصّالحِ.
- أتعرَّفُ إلى واجباتِ المسلمِ في الوطنِ المُتنوِّعِ



أقرأ وأحلِّل

مستند

المواطنةُ في المُصطلحِ

المواطنةُ، بالمعنى اللُّغويِّ، كلمةٌ مشتقَّةٌ من لفظةِ (وطنٍ)، والوطنُ، بحسبِ كتابِ (لسانِ العربِ) لابنِ منظورٍ، هو المنزلُ الَّذي تقيمُ بهِ، وهوَ موطنُ الإنسانِ ومحلُّهُ... ووَطنَ بالمكَانِ: أقامَ بهِ... وأوطنَهُ: اتَّخذهُ وطنًا

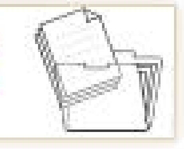
والمواطنةُ، في الاصطلاحِ، هيَ صفةُ المواطنِ الَّذي لهُ حقوقٌ وعليهِ واجباتٌ، تفرضُها طبيعةُ انتمائِهِ إلى وطنٍ.

من هذهِ الحقوقِ: حقُّ الإقامةِ، حقُّ التَّعلُّمِ، حقُّ العملِ، والتَّعبيرِ السِّياسيِّ...

من الواجباتِ: الولاءُ للوطنِ، الدِّفاعُ عنه، احترامُ حقوقِ الآخرينَ بالقوانينِ المرعيَّةِ الإجراءِ.

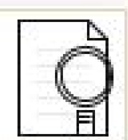


بناءً عليه: المواطنةُ علاقةُ الفردِ بدولتِهِ في ظلِّ احترامِ إرادةِ العيشِ المشتركِ بينَ أبنائِهِ.



أطرحُ الموضوعَ

- عرِّفِ الوطنَ لغويًّا، والمواطنةَ اصطلاحًا.
- حدِّدْ بعضَ حقوقِ المواطنةِ وواجباتِها.
- كيفَ هيَ نظرةُ الإسلامِ إليهما؟



أقرأ وأتعرّف

١- الوطنُ والمواطنةُ

الوطنُ هوَ أرضٌ بحدودٍ جغرافيَّةٍ، وإنسانٌ يسكنُها، ونظامٌ، ولغةٌ، وتاريخٌ، وعاداتٌ وتقاليدُ وعلاقاتٌ...

المواطنةُ هيَ حبُّ الوطنِ، والحنينُ لهُ، والتَّعلُّقُ بهِ، والاستعدادُ الوجدانيُّ والعقليُّ للعيشِ في ربوعِهِ، وخدمتُهُ، وتطويرُهُ، وحمايتُهُ... ويكونُ ذلكَ بالأمورِ التَّاليةِ:

أ- الانتماءِ إلى الأرضِ كبقعةٍ جغرافيَّةٍ محدَّدةٍ ومميَّزةٍ، أبصرَ المواطنُ النّورَ في ربوعِها، وسكنَ في بيوتِها، ولَعِبَ في أزقَّتِها، وتعلَّمَ في رياضِها ومدارسِها، وطافَ في أسواقِها ومتاجرِها...

ب- بناءِ علاقاتٍ محبَّةٍ وثقةٍ واحترامٍ... معَ الأهلِ والأقاربِ ورفاقِ الطُّفولةِ والجيرانِ ومختلفِ العائلاتِ... انطلاقًا من تراثٍ وقيمٍ وأعرافٍ وتقاليدَ مشتركةٍ، ومن خلالِ تاريخٍ يروي سيرةَ الأجدادِ والعُلماءِ والشُّهداءِ...

ج- التَّواصلِ المستمرِّ بلغةٍ قوميَّةٍ واحدةٍ، واهتماماتٍ اجتماعيَّةٍ مشتركةٍ، في ظلِّ نظامٍ يرعى الحقوقَ والواجباتِ... ينفتحُ فيه المواطنونَ على تجاربِ بعضِهم بعضًا، فيعبِّرونَ عن عواطفِهم وحاجاتِهم وطموحاتِهم.

٢- الإسلامُ والمواطنةُ



الإسلامُ دينُ الفطرةِ، وحبُّ الوطنِ نزعةٌ إنسانيَّةٌ، متجذِّرةٌ في عمقِ النَّفسِ البشريَّةِ، أكدَّ عليها الإسلامُ، وجعَلها جزءًا من الإيمانِ... فقد وردَ عن رسولِ اللهِ ﷺ: **«حبُّ الوطنِ منَ الإيمانِ»**

«من كَرَمِ المرءِ بُكاؤهُ على ما مضى من زمانِهِ، وحنينُهُ إلى أوطانِهِ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ»

وقد جسَّدَ الرَّسولُ الأكرمِ ﷺ هذا الحُبَّ وذلكَ الحنينَ حينما اضطرَّ إلى تركِ موطنِهِ مكَّةَ المكرَّمةِ إلى يثربَ (المدينةِ المنوَّرَةِ)، فما أنِ ابتعدَ قليلاً عن



منزلِهِ، حتَّى التفتَ إلى الوراءِ، متأمِّلاً أرضَ آبائِهِ، ومرتعَ طفولتِهِ، ومنطلقَ نبوَّتِهِ، وساحةَ جهادِهِ... فقالَ:

«واللهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنّي أُخرجْتُ منكِ ما خرجْتُ»

عندئذٍ أوحى اللهُ تعالى إليهِ بالآيةِ الكريمةِ واعدًا إيّاه بالعودةِ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (القصص)

ومحبَّةُ الأوطانِ، والحنينُ إلى ربوعِها، من شأنِهما إثارةُ الشُّعورِ بالمسؤوليَّةِ لدى المواطنِ ليُسارعَ إلى خدمتِها وتطويرِها، والذَّودِ عن حياضِها. عن النَّبيِّ ﷺ:

«عمرَتِ البلدانُ بحبِّ الأوطانِ».

ويقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام: **«ليسَ بلدٌ بأحقَّ بكَ من بلدٍ، خيرُ البلادِ ما حملَكَ، وإنَّما تعمرُ البلادُ بالحُبِّ»**

ومن مفرداتِ هذه المسؤوليَّةِ الدِّفاعُ عن الوطنِ، والتَّضحيةُ من أجلِ عزَّتِهِ وكرامتِهِ، يقولُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في خطبةِ الجهادِ:

«ما غزيَ قومٌ في عقرِ دارِهم إلا ذُلّوا...»

ويقولُ الرَّسولُ ﷺ: **«إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يبغضُ رجلاً يُدخَلُ عليهِ في بيتِهِ ولا يقاتِلُ».**

٣- حقوقُ المواطنةِ

المواطنةُ هيَ علاقةٌ إنسانيَّةٌ بينَ فردٍ ودولةٍ، علاقةٌ يُحدِّدُها نظامُ هذهِ الدَّولةِ بما يتضمَّنُهُ من حقوقٍ وواجباتٍ، والمواطنةُ في الإسلامِ تتناغمُ معَ مجتمعِ التَّعدُّدِ في الأديانِ والأجناسِ والثَّقافاتِ والأعراقِ، بعيدًا عن العصبيَّةِ والانغلاقِ.

والمواطنةُ في المجتمعِ المُتعدِّدِ تعني سياسةَ المساواةِ في المعاملةِ بينَ أبناءِ الوطنِ الواحدِ، دونَ تمييزٍ، انطلاقًا من حقيقةِ وحدةِ الأصلِ الإنسانيِّ: يقولُ اللهُ تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ... ﴾ (النساء)

ويحدِّدُ الرَّسولُ ﷺ مقياسَ التَّفاضلِ:

«لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأسودَ على أحمرَ إلاَّ بالتَّقوى».ويفصِّلُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام طبيعةَ علاقةِ المواطنيَّةِ في عهدِهِ لواليهِ على مصرَ «مالك الأشترِ».

«وأشعِرْ قلبَكَ الرَّحمةَ للرَّعيَّةِ، والمحبَّةَ لهم، واللُّطفَ بهم، ولا تكونَنَّ عليهم سَبعًا ضاريًا تغتنمُ أكْلَهم، فإنَّهم صنفانِ: إمَّا أخٌ لك في الدِّينِ وإمَّا نظيرٌ لكَ في الخلقِ، يفرطُ منهم الزَّلُلُ، وتعرضُ لهم العِللُ...».

ومنَ الحقوقِ الإنسانيَّةِ الَّتي يستلزمُ التَّفاهمُ عليها في نظامٍ تعَدُّديٍّ:

١- المساواةُ: أمامَ القانونِ والقضاءِ، تكافؤ الفرصِ، حقُّ التَّعلُّمِ، حقُّ العملِ، الصِّحَّةُ البدنيَّةُ، حقُّ الهويَّةِ الجنسيَّةِ...

٢- الحرِّيَّةُ: ممارسةُ الشَّعائرِ الدِّينيَةِ، المشاركةُ في اللِّقاءاتِ والمؤتمراتِ، الانتقالُ داخلَ الوطنِ من دونِ قيودٍ، حرِّيَّةُ التَّعبيرِ والتَّظاهرِ والمعارضةِ...



٣- حقُّ المشاركةِ: في الانتخاباتِ واختيارُ مُمثّلي الشَّعبِ...

٤- توفيرُ أسسِ الحياةِ الكريمةِ العزيزةِ من خلالِ تأمينِ الحاجاتِ الحياتيَّةِ، وتوفيرِ أجواءِ العدلِ والأمنِ وفرصِ العملِ الشَّريفِ.

من الأحاديثِ الواردةِ الَّتي تؤيِّدُ هذا الاتِّجاهَ:

«لا خيرَ في الوطنِ إلاّ مَعَ الأمنِ والسُّرورِ»

«ما عَمُرت البلدانُ بمثلِ بالعدلِ»

«شرُّ الأوطانِ ما لم يأمَنْ فيه القُطّانُ (المُقيمونَ)».

وقد أكَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ هذهِ القيمَ والحقوقَ في الوثيقةِ السِّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ الَّتي أبرمَها مَعَ عناصرِ المجتمعِ المدنيِّ بقبائلِه وطوائفِه.

وقد حذَّرَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام من تجاهلِ هذهِ القيمِ، كي لا نخفِّفَ من حِسِّ الانتماءِ للوطنِ فيعيشَ الإنسانُ حالةَ الإحباطِ، فتتساوى لديهِ البلدانُ، لينطلقَ مُهاجرًا إلى بلادٍ ترعى حقوقَهُ وإنسانيَّتَهُ:

«الغنى في الغربةِ وطنٌ، والفقرُ في الوطنِ غربةٌ».



٤- واجباتُ المواطنةِ

المواطنةُ لا تقتصرُ على حبِّ الإنسانِ لوطنِه، والدِّفاعِ عن سيادتِه وكرامتِه، بل تشملُ صياغَةَ شخصيَّةِ مواطنٍ فاعلٍ يُحرِّكُ القيمَ السَّاميةَ، والحياةَ السَّعيدةَ فيه.

المواطنُ الصّالحُ هو روحٌ وفكرٌ وانتماءٌ وسلوكٌ، هدفُهُ خدمةُ الصَّالحِ العامِّ بعيدًا عن مصالحِ الذّاتِ والفئةِ والجنسِ والقبيلةِ... يقولُ الشّاعرُ:



وما حبُّ الدِّيارِ شَغَفنَ قلبي ولكن حبُّ من سكنَ الدِّيارا

والمواطنُ المسلم الصالحُ هو الَّذي:

- ينفتحُ بإخلاصٍ على تعاليمِ اللهِ تعالى، ليلتزمَ بها، وينشرَها في محيطِه.
- يتبنَّى قيمَ الحقِّ والعدلِ والخيرِ والإحسانِ.
- يتعاونُ على البرِّ والتَّقوى.
- يُصلحُ بينَ النّاسِ، ويبادرُ إلى قضاءِ حاجاتِهم، وتوفيرِ الأمنِ لحياتِهم.
- يُعزِّزُ علاقَتَهُ بمن يتَّفقُ معَه، ويحاورُ بمحبَّةٍ من يختلفُ معَهُ.
- يدافعُ عن سيادةِ وطنِه، ويعيشُ حالةَ استعدادٍ لكلِّ خطرٍ يتهدَّدُهُ.
- يعيشُ همَّ مشكلاتِ وطنِه (بيئة، أمن، اقتصاد، سياسة...) ويسعى لحلِّها بحدودِ إمكاناتِه.
- يلتزمُ الانضباطَ الذَّاتيَّ تجاهَ النِّظامِ العامِّ، وفقَ الضَّوابطِ الشَّرعيَّةِ.

خلاصةُ القولِ: إنَّ الإسلامَ يرعى المواطنينَ جميعًا في حقوقِهم وواجباتِهم وتوفيرِ الفرصِ المنتجةِ لهم... والإسلامُ يتعايشُ مَعَ

الأديانِ والمذاهبِ والأحزابِ العقائديَّةِ.... تحتَ مظلَّةِ قواعدِ النِّظامِ العامِّ والآدابِ المعتمدةِ.

٥- المواطنُ المسلمُ في العالمِ الإسلاميِّ الواسعِ

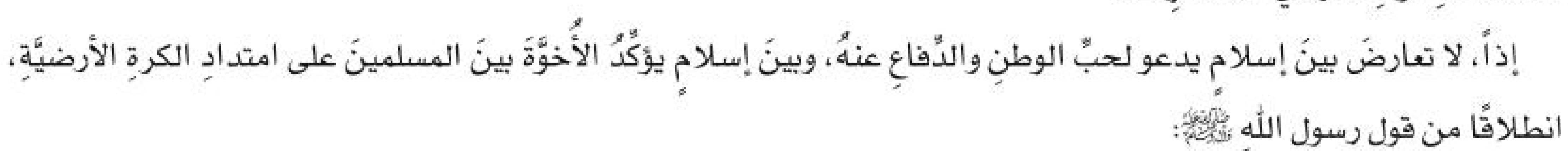
من خطبةٍ لرسولِ اللهِ ﷺ:

«أيُّها النّاسُ... إنَّ ربَّكم واحدٌ، وإنَّ أباكم واحدٌ، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، إنَّ أكرمَكم عندَ اللهِ أتقاكم، وليسَ لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ إلاّ بالتّقوى».

إنَّ الميلَ القلبيَّ للوطنِ بالمعنى الجغرافيِّ الضَّيِّقِ (أرض الآباء والأجداد) لا يمنعُ من الميلِ الوجدانيِّ الإيمانيِّ للأمّةِ الإسلاميَّةِ في امتدادِها الجغرافيِّ الواسعِ، وفي عقيدتِها وشريعتِها وقيمِها وتاريخِها...

فالمواطنونَ الإسلاميُّونَ في الوطنِ الكبيرِ هم شركاءُ في الحقوقِ والواجباتِ والهمومِ... لهم آمالُهم وأحلامُهم وطموحاتُهم... وهم في الوقتِ ذاته رساليّونَ عقائديّون يُشاركونَ إخوانَهم المسلمينَ في العالمِ مشاكلَهم وقضاياهم... ويسعَونَ إلى صيغةٍ وحدويَّة تُعزِّزُ القوَّةَ، وتحفظُ الكرامةَ، وتمنعُ الظُّلمَ...

وهم أيضًا إسلاميّونَ إنسانيّونَ، يعيشونَ مشكلةَ الإنسانِ المستضعفِ في العالمِ، ليسارعوا إلى مساندةِ قضاياهُ العادلةِ، وتبقى العيونُ شاخصةً إلى الطُّموحِ المقدَّسِ الَّذي يتحقَّقُ معَهُ العدلُ الإلهيُّ الشّاملُ في كلِّ أصقاعِ الأرضِ تحتَ مظلَّةِ دولةِ المهديِّ المنتظرِ عليه السلام.



إذاً، لا تعارضَ بينَ إسلام يدعو لحبِّ الوطنِ والدِّفاعِ عنهُ، وبينَ إسلامٍ يؤكِّدُ الأُخوَّةَ بينَ المسلمينَ على امتدادِ الكرةِ الأرضيَّةِ، انطلاقًا من قولِ رسولِ اللهِ ﷺ:

«مثلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتعاطفِهم وتَراحُمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منهُ عضوٌ، تداعى له سائرُ الأعضاءِ بالسَّهرِ والحُمى».



أختبر معارفي وقدراتي

١- عرِّفْ معنى الوطنِ والمواطنةِ.

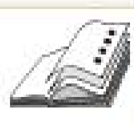
٢- حدِّدْ نظرةَ الإسلامِ إلى الوطنِ من خلالِ النُّصوصِ والسِّيرةِ.

٣- اشرح كيفَ يُعزِّزُ الإسلامُ الشعورَ بالمواطنةِ؟

٤- حتَّى تصبحَ مواطنًا صالحًا... اذكر حقوقك وواجباتك.

٥- بيِّنْ بعضَ صفاتِ المواطنِ الرِّساليِّ الصّالحِ.

٦- اشرح كيفَ يجبُ أن يتصرَّفَ المواطنُ المسلمُ في العالمِ الإسلاميِّ الواسعِ؟



من حصاد الدّرس

١- الوطنُ هوَ أرضٌ وإنسانٌ ولغةٌ وتاريخٌ وتقاليدُ وعلاقاتٌ...

المواطنةُ هيَ حبُّ الوطنِ، والحنينُ لهُ، والاستعدادُ للعيشِ في ربوعِهِ، وخدمتُهُ وتطويرُهُ، وحمايتُهُ.

٢- أكّدَ الإسلامُ على حبِّ الوطنِ، وجعلَهُ جُزءًا من الإيمانِ.

يقولُ الإمامُ علي عليه السلام: «**حبُّ الوطنِ منَ الإيمانِ**».

«**عمرَتِ البلدانُ بحبِّ الأوطانِ**».

٣- حتَّى نعزِّزَ الشُّعورَ بالمواطنةِ:

- يشعرُ الإنسانُ بالمحبَّةِ والأمنِ في وطنِهِ.
- يستجيبُ الوطنُ لحاجاتِهِ الأساسيَّةِ.
- يعيشُ قيمَ الحقِّ والخيرِ والعدلِ في إطارِ حياةٍ كريمةٍ.
- يتعرَّفُ إلى ربوعِ وطنِهِ وتراثِهِ المجيدِ.

في الحديثِ: «**ما عمرتِ البلدانُ بمثلِ العدلِ**».

«**لا خيرَ في الوطنِ إلاَّ معَ الأمنِ والسُّرورِ**»

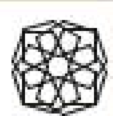
٤- من حقوقِ المواطنِ في الإسلامِ:

- المساواةُ أمامَ القضاءِ، تكافؤُ الفرصِ، حقُّ التَّعليمِ والعملِ والصِّحةِ...
- حرِّيَّةُ ممارسةِ الشَّعائرِ الدِّينيَّةِ.
- حرِّيَّةُ المشاركةِ في الحوارِ والتَّظاهرِ والانتخابِ...
- تأمينُ الحاجاتِ الأساسيَّةِ، وفرصِ العملِ.

٥- من واجباتِ المواطنِ المسلمِ:

- ينفتحُ على تعاليمِ اللهِ تعالى.
- يحبُّ وطنَهُ، ويخدمُ أهلَهُ.
- يعزِّزُ علاقَتَهُ بمن يتَّفقُ معَهُ، ويحاورُ من يختلفُ معَهُ.
- يعيشُ همَّ مشكلاتِ وطنِهِ.
- يدافعُ عن سيادةِ وطنِهِ وأَمْنِهِ.
- يلتزمُ قواعدَ النِّظامِ العامِّ.

٦- المواطنُ المسلمُ وهوَ في وطنِهِ يشاركُ المسلمينَ في العالمِ همومَهم وقضاياهم.



من ثقافة الروح

تعزيزُ الشُّعورِ بالمواطنةِ

من أبرزِ أهدافِ الدِّين الإسلاميِّ في إطارِ تربيةِ الأجيالِ:

- بناءُ جيلٍ مؤمنٍ باللّهِ تعالى، منفَتحٍ على تعاليمِه، ملتزمٍ بأوامرِه، يخافُهُ، ولا يُخافُ منهُ.
- بناءُ جيلٍ معتزٍّ بدينِه، وغيورٍ على كرامةِ وطنِه، ومستعدٍّ لحمايتِه والدِّفاعِ عنهُ.

فقد ورد عن رسول اللّه ﷺ قوله: «**من ماتَ دونَ ماله ماتَ شهيدًا**».

وحتّى نُحقّقَ هذينِ الهدفينِ، ونرسِّخَ هذا الشُّعورَ بالانتماءِ المخلصِ إلى الدِّينِ والوطنِ، نلجأُ إلى أنماطٍ من التَّوجيهِ والتَّحفيزِ، منها:

- أن نمنحَ الإنسانَ الشُّعورَ بالحبِّ من أهلِه، والأمنَ في محيطِه، من خلالِ علاقاتٍ إنسانيَّةٍ عاطفيَّةٍ معَ الأقرباءِ والأصدقاءِ والجيرانِ...
- أن تستجيبَ سياسةُ الوطنِ لحاجاتِه، وتنسجمَ معَ آمالِه وطموحاتِه.
- أن نوسِّعَ من دائرةِ معرفتِه لربوعِ وطنِه بالشَّكلِ الَّذي يثيرُ إعجابَهُ واعتزازَهُ.
- أن يَستمعَ إلى تراثِ وطنِه الَّذي يروي أمجادَ المدافعينَ عن الوطنِ وحرِّيَّتِه، وبالأخصِّ الشُّهداء منهم، فيُمجِّدَ تضحياتِهم، ويَحفظَ أمانةَ دمائِهم.
- أن يستمعَ إلى الأدبِ الوجدانيِّ الَّذي يُحرِّكُ مشاعرَ الحُبِّ والحنينِ لكلِّ ما يتَّصلُ بالوطنِ وعناوينِه (شعر، نثر، أناشيد...).
- أن يشاركَ في الاحتفالاتِ الوطنيَّةِ الَّتي تتَّصلُ بالتَّحريرِ والمقاومةِ، ويساهمَ في مختلفِ النَّشاطاتِ البيئيَّةِ الَّتي تضفي جمالاً وبهاءً وسلامًا على صورة الوطنِ الطَّبيعيَّةِ.





تبقى في ذاكرتي





﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الحج)





الدَّرسُ الثّاني

مكانةُ العقلِ في الإسلامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠)﴾ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أستدلُّ على دورِ الإسلامِ في تحريرِ العقلِ.
- أقدِّرُ الأهميَّةَ الَّتي أولاها القرآنُ الكريمُ للاستدلالِ العقليِّ.
- أثمِّنُ دورَ العقلِ في فعاليَّةِ الإنسانِ وتطويرِ الحياةِ من حولِهِ.



أقرأ وأحلل



مستند

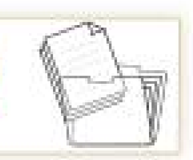
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)﴾ (النحل)

تسيمون: ترعَونَ مواشيكم — ذرأ: خلق

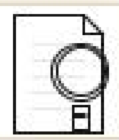
صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ





أطرحُ الموضوعَ

- بماذا ختمَ اللهُ تعالى الآياتِ الثّلاثَ.
- ما دلالةُ كلٍّ واحدةٍ منها؟
- أوضحِ النّتيجةَ الموضوعيَّةَ الّتي تتوصَّلُ إليها.
- وما أهميَّةُ تلكَ النّتيجةَ في الإسلامِ؟



أقرأ وأتعرّف

١- أزمةُ العقلِ في الجاهليَّةِ

لكي نقفَ على دورِ الإسلامِ في تحريرِ العقلِ الإنسانيِّ من أسرِ الشّركِ والتّقليدِ والخرافةِ... نعودُ إلى التّاريخِ الجاهليِّ ما قبلَ الإسلامِ، لنتبيَّنَ الواقعَ الّذي كانَ يحكمُ عقائدَ النّاسِ وحياتَهم:

- في المجالِ الفكريِّ، كانَ العقلُ في إجازةٍ، تُكبِّلُهُ قيودُ الجهلِ والأسطورةِ، وتوجِّهُه أفعالُ السِّحرِ والكهانةِ...
- في المجالِ الدِّينيِّ، كانَتْ عبادةُ الشِّركِ هي السّائدةُ، العبادةُ الّتي تجسّدَتْ بتقديسِ الحيواناتِ والكواكبِ والظّواهرِ الطّبيعيَّةِ والنّيرانِ والأحجارِ...
- في المجالِ الاجتماعيِّ كانَ النِّظامُ الطّبقيُّ القبليُّ هو الحاكمَ، حيثُ تتفاوتُ أقدارُ النّاسِ وقيمُهم بحسبِ مراتبِهم الاجتماعيَّةِ، أمّا وضعُ المرأةِ فكانَ يتفاوتُ بينَ النَّبْذِ والوَأْدِ، وبينَ اعتبارِها أداةً للّهوِ والمتعةِ...
- في المجالينِ السِّياسيِّ والاقتصاديِّ كانَ هناكَ عددٌ منَ الزّعماءِ والتُّجارِ يمارسونَ الحكمَ الظّالمَ، والاستغلالَ السَّيِّئَ على الأكثريَّةِ السّاحقةِ من جمهورِ النّاسِ.

٢- موقفُ الإسلامِ من الواقعِ الجاهليِّ

مَن يقرأْ نصوصَ القرآنِ الكريمِ يكتشفْ حرصَ الإسلامِ على معالجةِ الواقعِ المأساويِّ في الجاهليَّةِ، الإسلامِ الّذي جعلَ في رأسِ اهتماماتِه تحريرَ العقلِ من أدرانِ الشِّركِ والضّلالِ والتّخلّفِ... إذ حيثما وُجِد العقلُ السّليمُ، وُجِدَ الأداءُ السّليمُ، ومتى تحرَّرَ العقلُ، تحرَّرَ الفكرُ من قيودِ الجهلِ والوهمِ، وانطلقَ إلى رحابِ العلمِ والحقيقةِ.

من هذا المنطلقِ أطلقَ القرآنُ الكريمُ شعارَهَ بأنَّ الإنسانَ هو أكرمُ مخلوقٍ عندَ اللهِ تعالى، فهو خليفتُهُ على أرضِهِ، وكلُّ ما في الكونِ مسخَّرٌ لخدمتِه ورفاهيَّتِه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ... ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء)

﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً... ﴿٢٠﴾ ﴾ (لقمان)

ومن خلالِ هذه المكانةِ السّاميةِ، استعادَ الإنسانُ ثقتَهُ بنفسِه وعقلِه ومختلفِ قدراتِه، فلاحظَ، وفكَّرَ، واستنتجَ... رافضًا كلَّ

عناصرِ الجهلِ والتَّخلُّف، ومُحطِّمًا كلَّ هياكلِ الآلهةِ والطُّقوسِ الَّتي عَكَفَ الآباءُ على تقديسِها... حتَّى لم يبقَ أمامَه سوى الإيمانِ المطلقِ باللهِ الواحدِ القديرِ الرَّحمانِ الرَّحيم، فعبدَهُ، وخضَعَ له، والتزمَ كلَّ تعاليمِه.

٣- الخطواتُ القرآنيَّةُ لتحريرِ العقلِ

استخدمَ القرآنُ الكريمُ خطواتٍ عمليَّةً لحمايةِ العقلِ وتمجيدِهِ وتحريرِه:

أ- حمايةُ العقلِ:

لما كانَ العقلُ مناطَ التَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ، ومركزَ التَّفكيرِ في الإنسانِ وبه يُميِّزُ بينَ النافعِ والضّارِّ، والخيرِ والشَّرِّ... فقد أمَرَ اللهُ تعالى المسلمَ بالمحافظةِ على عقلِه، وحرَّمَ الاعتداءَ عليه بما يضرُّهُ من تناولِ المسكراتِ والمخدِّراتِ لأنَّ الإنسانَ إذا ما أُصيبَ في عقلِه، أصبح عبئًا على المجتمعِ، وصارَ أشدَّ أذًى على الجماعةِ.

ب- تعظيمُ دورِ العقلِ في الإسلامِ:

منحَ الإسلامُ العقلَ مقامَ القيادةِ والتَّوجيهِ، فجعلَهُ أساسَ توازنِ شخصيَّةِ المسلمِ، وأحدَ مقاييسِ التَّفاضلِ بينَهُ وبينَ الآخرِ، وشرطًا رئيسًا من شرائطِ التَّكليفِ، فأوامرُ اللهِ ونواهيهِ تتوجَّهُ إليهِ، وثوابُه وعقابُه يركِّزانِ على أفعالِه، وردَ في السِّيرةِ، أنَّ اللهَ تعالى حينما خلقَ العقلَ خاطبَهُ قائلاً جلَّ شأنُهُ:

«وعزَّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقًا هو أحبُ إليَّ منكَ... أما إنّي إيّاكَ آمرُ، وإيّاكَ أنهى. وإيّاكَ أعاقبُ، وإيّاكَ أُثيبُ».

ولأجلِ هذا أشارَ القرآنُ الكريم بـ:

- الثَّناءِ على الَّذينَ يستخدمونَ عقولَهم من أجلِ الوصولِ إلى الحقيقةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ (الزمر)

- وذمِّ الَّذين يُغلقونَ عقولَهم، ويتمسَّكونَ بالتَّقاليدِ الباليةِ دونَ وعيٍ:

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ (الأنفال)

وتوكيدًا لدورِ العقلِ الحاسمِ في حياةِ الانسانِ، جعلهُ اللهُ تعالى أساسًا لسعادتِه، وتحديدِ مصيرِه:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾ (الملك)

﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ (الأعراف)

ج- تشجيعُ الاستدلالِ العقليِّ:

إلى جانبِ تكريمِ العقلِ، رسمَ لنا القرآنُ الكريمُ المنهجَ الاستدلاليَّ الَّذي ينبغي استخدامُهُ حينما تواجهُنا مسألةٌ دينيَّةٌ أو معضلةٌ فكريَّةٌ أو مشكلةٌ اجتماعيَّةٌ... فلا نأخذُ بقولٍ، ولا نؤمنُ بفكرٍ، ولا نلتزمُ بموقفٍ إذا لم يُؤيِّدْ ذلكَ دليلٌ عقليٌّ، وبرهانٌ قاطعٌ يُثبتُ

الصِّحَّةَ أو الخطأ: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ (البقرة)

وأرشدَنا القرآنُ الكريمُ إلى أنْ لا نُدليَ برأيٍ عقيديٍّ أو فكريٍّ، إلاَّ إذا كانَ موافقًا لدليلِه العقليِّ، حتَّى يكونَ الرأيُ موثَّقًا، وتكونَ الحجةُ أبلغَ والقناعةُ أشدَّ:



﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (يس)

وعلى هذا الأساسِ كانَ التُّوجيهُ القرآنيُّ بالحذرِ من تبنّي أيِّ قولٍ أو إشاعةٍ في حقِّ أيِّ إنسانٍ إذا لم يَستندْ إلى برهانٍ يدفعُ كلَّ شكٍّ:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ (الإسراء)

وبناءً على قوَّةِ العقلِ في الاستدلالِ، اتَّخذَهُ الفقهاءُ مصدرًا من مصادرِ التَّشريعِ في الفقهِ الإسلاميِّ.

د- الدَّعوةُ إلى النَّظرِ والتَّفكيرِ:

في إطارِ تكريمِ العقلِ، وتوكيدِ فعاليَّتِه، شدَّدَ القرآنُ الكريمُ على اعتمادِ النَّظرِ والتَّفكيرِ في مختلفِ القضايا المعرفيَّةِ والكونيَّةِ، من أجلِ التَّوصُّلِ إلى حقائقَ علميَّةٍ، ودروسٍ أخلاقيَّةٍ، وعِبَرٍ إنسانيَّةٍ... يَظهرُ ذلكَ في وصفِ حالِ المؤمنينَ الصّالحينَ الَّذينَ يُلاحظونَ بدقَّةٍ، ويفكّرونَ بوعيٍ، من أجلِ تعميقِ ارتباطِهم باللهِ تعالى وحمدِه وشكرِه وتنزيهِه:

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران)

من أنواعِ التَّفكيرِ:

١- **التَّفكيرُ في مخلوقاتِ اللهِ تعالى:** الكونيَّةِ والماديَّةِ والحيوانيَّةِ والإنسانيَّةِ ويكونُ ذلكَ بملاحظةِ الظَّواهرِ الكونيَّةِ، ودراسةِ أوضاعِها، واكتشافِ أسرارِها، وتحديدِ القوى المودَعةِ فيها، من أجلِ أمرينِ هُما:

- الاستدلالُ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وعظمتِه وقدرتِه ورحمتِه...
- المعرفةُ العلميَّةُ الَّتي توظَّفُ لاكتشافاتٍ واختراعاتٍ تُسخَّرُ لخيرِ الإنسانِ في تسهيلِ أمورِ حياتِه.

إنَّ من يريدُ أنْ يعرفَ اللهَ تعالى حقَّ معرفتِه عليهِ أنْ يُفكِّرَ في عجائبِ خلقِه، فمن يستفدْ من قدرتِه العقليَّةِ، يستطِعْ أنْ يستدلَّ على عظمةِ اللهِ، ويُؤكِّدَ عبوديتَهُ له، والتزامَهُ بتعاليمِه:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (النحل)

وفي إطارِ الحثِّ على دراسةِ علمِ الأجنَّةِ وما يتفرَّعُ عنهُ من علومٍ يقولُ اللهُ تعالى:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ (الطارق)

وفي التَّفكيرِ في حالاتِ النَّفسِ الإنسانيَّةِ، وما يطرأُ عليها من تأثيراتٍ وانفعالاتٍ تختصُّ بعلمِ النَّفسِ يقولُ اللهُ تعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات)

٢- **التَّفكيرُ في المبدأ والمعاد:** توكيدًا لاحترامِ العقلِ أرادَ اللهُ تعالى من المسلمِ أنْ يتوصَّلَ إلى الإيمانِ به وبأصولِ دينِهِ من خلالِ النَّظرِ والتَّأمُّلِ والتَّفكيرِ، وخاصَّةً بالنِّسبةِ إلى الأمورِ الغيبيَّةِ كالمعادِ مثلاً:

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ...﴿٥١﴾﴾ (الإسراء)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (العنكبوت)

٣- **الاعتبارُ من أحداثِ الماضي:** ثمَّ إنَّ القرآنَ الكريمَ يُركِّزُ على أحداثِ الماضينَ، وما حملتْهُ من وقائعَ، وما أنتجَتْهُ من دروسٍ وعبرٍ، لتكونَ دليلاً لإنسانِ الحاضرِ والمستقبلِ، فيتلافى أخطاءَهم، ويُحَلِّلُ ظروفَهم، ويَستفيدُ من خبراتِهم وتجاربِهم، وقد كثَّفَ القرآنُ الكريمُ الحديثَ عن قصصِ الأنبياءِ والصّالحينَ، في صراعِهم المريرِ معَ قوى الكفرِ والفسادِ، من أجلِ أنْ لا نكرِّرَ سلبيّاتِ الماضي، فنقَعَ في مآسيهِ ومشاكلِهِ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (النمل).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر)

أكَّدَ الاسلامُ على مكانةِ العقلِ، وقدَّمَ تعاليمَ كافيةً لتحريرِهِ، لينعتقَ من قيودِ الإلحادِ والشِّركِ والفسادِ والخرافةِ، وليتجرَّدَ من كلِّ أشكالِ الصَّنميَّةِ القديمةِ والحديثةِ، الصَّنميَّةِ المتمثِّلةِ بعبادةِ الأصنامِ والأشخاصِ والأهواءِ والعصبيّاتِ الباليةِ... كلُّ ذلكَ من أجلِ أنْ ينفتحَ الإنسانُ بعقلانيَّةٍ وموضوعيَّةٍ على اللهِ تعالى، ليطهِّرَ نفسَهُ ويزكِّيَها، ويغيِّرَها وفقَ منهاجِ اللهِ تعالى، ليستطيعَ أنْ يَنفذَ منها إلى تغييرِ العالمِ نحوَ الحقِّ والعدلِ والخيرِ والمنطقِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴿١١﴾﴾ (الرعد)

أختبر معارفي وقدراتي

١- اشرحْ أزمةَ العقلِ في الجاهليَّةِ.

٢- حدِّدْ موقفَ الإسلامَ من الواقعِ الجاهليِّ.

٣- عدِّدِ الخطواتِ القرآنيَّةَ لتحريرِ العقلِ.

٤- وضِّحْ بشواهدَ دورَ الإسلامِ في تعظيمِ العقلِ.

٥- أعطِ مثلاً قرآنيًّا حولَ الاستدلالِ العقليِّ.

٦- في إطارِ تشجيعِ العقلِ على الملاحظةِ والتَّفكيرِ، استدلَّ بشواهدَ حولَ:

- الدَّعوةِ إلى النَّظرِ والتَّفكُّرِ.
- التَّفكيرِ في مخلوقاتِ اللهِ تعالى.
- التَّفكيرِ في المبدأ والمعادِ.
- الاعتبارِ من أحداثِ الماضي.

من حصاد الدَّرس

١- في الجاهليةِ كانَ العقلُ في إجازةٍ، تكبِّلُهُ قيودُ الجهلِ والأسطورةِ والشِّركِ، وتوجِّهُهُ أفعالُ السِّحرِ والكهانةِ.

٢- حرصَ الإسلامُ على تحريرِ العقلِ من أدرانِ الشِّركِ والضَّلالِ والتَّخلُّفِ... فمتى ما تحرَّرَ العقلُ، وُجِدَ الأداءُ السَّليمُ، وانطلقَ الفكرُ إلى رحابِ العلمِ والحقيقةِ.

٣- من خطواتِ الإسلامِ في تحريرِ العقلِ:

أ- تعظيمُ دورِ العقلِ: منحَ الإسلامُ العقلَ دورَ القيادةِ والتَّوجيهِ. في حديثٍ قدسيٍّ: أنَّ اللهَ تعالى لمّا خلقَ العقلَ خاطبَهُ بقولِهِ: « **وعزَّتي وجلالي، ما خلقتُ خلقًا هو أحبُّ إليَّ منك... أما إني إيّاكَ آمرُ، وإيّاكَ أنهى، وإيّاكَ أعاقبُ، وإيّاكَ أُثيبُ**».

ب- تشجيعُ الاستدلالِ العقليِّ: أمامَ أيَّةِ مشكلةٍ فكريَّةٍ أو اجتماعيَّةٍ... يُوجِّهُنا القرآنُ الكريمُ بأنْ لا نَلتزمَ موقفًا إلاّ إذا أيَّدَهُ برهانٌ ودليلٌ:

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ (البقرة)

ج- الدَّعوةُ إلى النَّظرِ والتَّفكُّرِ: يقولُ اللهُ تعالى:

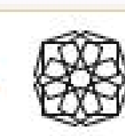
﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ﴿٦﴾ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾ (الطارق)

د- التَّفكيرُ في المبدأ والمعادِ: يقولُ اللهُ تعالى:

﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ ... ﴿٥١﴾﴾ (الإسراء)

هـ- الاعتبارُ من أحداثِ الماضي. يقولُ اللهُ تعالى:

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ (النمل)





العبرةُ في التاريخ

من وصيَّةِ للإمامِ عليٍّ عليه السلام إلى ولدِهِ الإمامِ الحسنِ عليه السلام، يقولُ فيها:

أحْيِ قَلْبَكَ بِالمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ باليَقِينِ، ونَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ، وذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالفَنَاءِ، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنيا، وحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ، وفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيالِي وَالأَيَّامِ، واعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الماضِينَ، وذَكِّرْهُ بِمَا أَصابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ، وَسِرْ في دِيارِهِمْ وآثارِهِمْ، فانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا، وعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قدِ انْتَقَلُوا عَنِ الأَحِبَّةِ وحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ، وَدَعِ القَوْلَ فِيمَا لا تَعْرِفُ، وَالخِطابَ فِيمَا لم تُكَلَّفْ، وأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ، فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهْوالِ.

تبقى في ذاكرتي

يقولُ اللهُ تعالى:

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ **(الغاشية)**





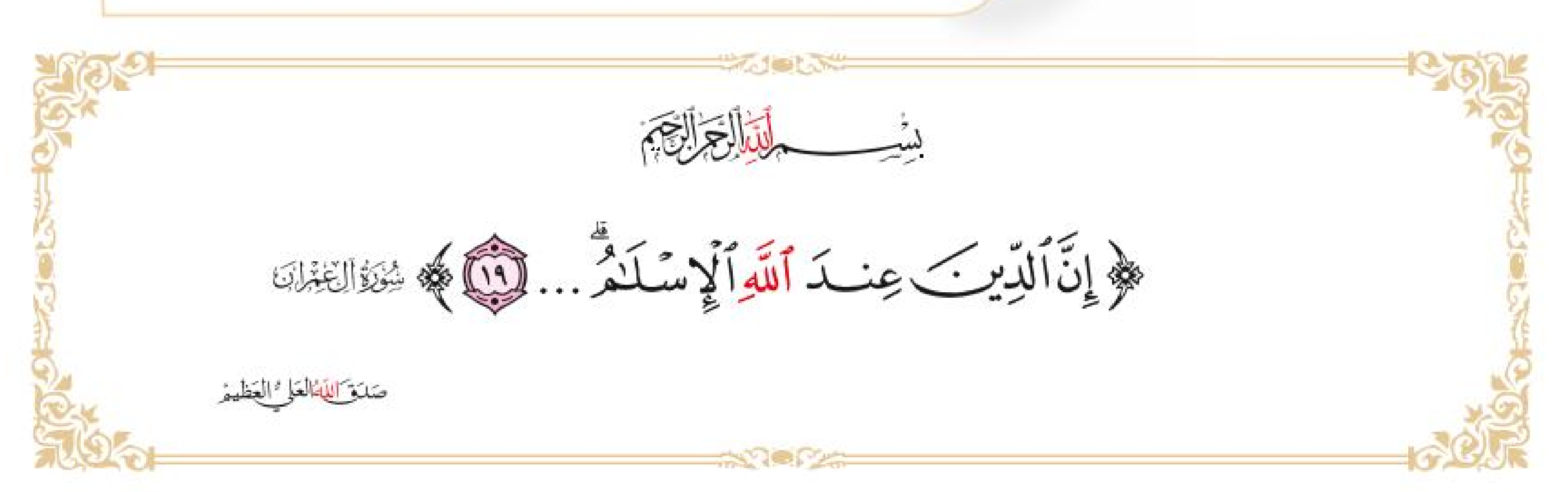
الإسلام

دين السلام



الدَّرسُ الثَّالث

الإسلامُ والعولمةُ





مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أُحدِّدُ معانيَ: العولمةِ، الهويَّةِ الثَّقافيَّةِ، الحربِ النَّاعمةِ.
- أتعرَّفُ إلى عناصرِ العولمةِ وأنواعِها.
- أستنتجُ إيجابيَّاتِ العولمةِ وسلبيَّاتِها.
- أُبيِّنُ طرقَ مواجهةِ سلبيّاتِ العولمةِ والحربِ النّاعمةِ.
- ألتزمُ موقفَ الإسلامِ من العولمةِ.



أقرأ وأحلل

مستند

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ... ١٣ ﴾

(الحجرات)

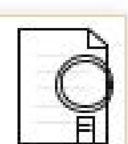
صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ





أطرحُ الموضوعَ

- لمنْ يوجَّهُ الخطابُ في هذهِ الآيةِ؟
- هل ترى فرقًا بينَ الذَّكرِ والأُنثى؟
- ما الهدفُ والغايةُ؟
- ما الآفاقُ الَّتي تفتحُها هذهِ الآيةُ أمامَ المسلمينَ؟



أقرأ وأتعرّف

١- تحديداتٌ

منَ المصطلحاتِ الحديثةِ المتداولةِ في الجوِّ الثَّقافيِّ المعاصرِ:

أ- العولمةُ:

في السَّنواتِ القليلةِ الماضيةِ أنتجَ الغربُ مصطلحَ النِّظامِ العالميِّ الجديدِ، ثمَّ مصطلحَ العولمةِ كظاهرةٍ تتَّصِلُ بهِ:

في اللُّغةِ: العولمةُ اسمٌ مشتقٌّ من التَّعولُمِ والعالميَّةِ والعالمِ... وهي مصدرٌ لفعلِ: عولَمَ يعولِمُ، يعني: تعميمَ الشَّيءِ وتوسيعَ دائرتِهِ ودائرةَ تأثيرِهِ ليشملَ العالمَ.

في الاصطلاحِ: العولمةُ هي عمليَّةُ صبغِ العالمِ بصبغةٍ واحدةٍ، شاملةٍ بجميعِ أقوامِه، وتوحيدِ أنشطتِها الاقتصاديَّةِ والفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ والثقافيةِ... من دونِ اعتبارٍ لاختلافِ الأديانِ والثَّقافاتِ والأعراقِ والجنسيّاتِ...



في هذا الجوِّ يمكنُ تعريفُ العولمةِ، أيضًا، بأنَّها حركةٌ تستهدفُ تحطيمَ الحدودِ الجغرافيَّةِ والثَّقافيَّةِ، وتسهِّلُ نقلَ الرَّأسماليَّةِ عبرَ العالمِ كُلِّهِ كسوقٍ كونيَّةٍ واحدةٍ.

وبهذا يصبحُ جوهرُ عمليَّةِ العولمةِ:

- سهولةَ حركةِ النَّاسِ والمعلوماتِ والسِّلَعِ بينَ الدُّولِ على نطاقٍ كونيٍّ.
- زيادةَ الارتباطِ المتبادلِ بينَ المجتمعاتِ البشريَّةِ في المجالاتِ الاقتصاديَّةِ والثَّقافيَّةِ والسِّياسيَّةِ والإعلاميَّةِ.

من الحقائقِ الَّتي يُجمِعُ عليها الباحثونَ في هذا المجالِ:

- أنّ العولمةَ هيَ المرحلةُ الَّتي تلتِ الحربَ الباردةَ (بينَ الولاياتِ المتَّحدةِ والاتحادِ السُّوفياتيِّ سابقًا، وحلَّت محلَّها بعدَ انهيارِ الاتِّحادِ ١٩٩١م).
- أنَّ العولمةَ تعكسُ إرادةَ الهيمنةِ على العالمِ من قِبَلِ الولاياتِ المتحدَّةِ الأمريكيَّةِ.



ب- الهويَّةُ الثَّقافيَّةُ:

ويتَّصلُ بحثُ العولمةِ بمفهومِ الهويَّةِ الثَّقافيَّةِ الَّتي تعني: السِّماتِ المُميِّزةَ للأفرادِ والجماعاتِ كاللُّغةِ والدِّينِ والتَّاريخِ والعاداتِ والتَّقاليدِ والقيمِ وأنماطِ العلاقاتِ الاجتماعيَّةِ وسُبلِ السُّلوكِ والتَّصرُّفِ... ما يحفظُ للجماعةِ شخصيَّتها المتجدِّدَةَ عبرَ العصورِ، وتَميُّزَها عن غيرِها من الأممِ.

العلاقةُ بينَ العولمةِ والهويَّةِ الثَّقافيَّةَ تظهرُ في المقولةِ التَّاليةِ:

- العولمةُ تطاردُ الهويَّةَ الثَّقافيَّةِ الخاصَّةَ، وتحاصرُها، وتُجهزُ عليها.
- العولمةُ تعني ذوبانَ الخصوصيَّةِ، والانتقالَ من الخاصِّ إلى العامِّ، ومن المحدودِ إلى الشّامِلِ.
- العولمةُ تعملُ على بناءَ ثقافةٍ واحدةٍ، وتسعى إلى تذويبِ الحدودِ والحواجزِ بينَ الأممِ.
- العولمةُ تمثِّلُ ثقافةَ الشَّركاتِ العابرةِ للجنسيَّاتِ والقوميّاتِ والثّقافاتِ...
- العولمةُ مسارٌ استكباريٌّ أمريكيٌّ لإدارةِ العالمِ من مركزِ القوَّةِ الوحيدِ، لاستثمارِهِ لمصالِحها.

ج- الحربُ النَّاعمةُ (أو القوَّةُ النّاعمةُ): هي الحصولُ على ما تريدُ عن طريقِ الجاذبيَّةِ، بدلاً عن الإرغامِ، وهيَ القدرةُ على التَّأثيرِ في سلوكِ الآخرينَ للحصولِ على النَّتائجِ والأهدافِ المتوخّاةِ من دونِ الاضطرارِ إلى استعمالِ للوسائلِ العسكريَّةِ (القوَّة الصَّلبة).

قيلَ: كلُّ دولارٍ يُصرفُ في مجالاتِ القوَّةِ النّاعمةِ أفضلُ بأضعافٍ من صرفِ مائةِ دولارٍ تُصرفُ في مجالاتِ القوَّةِ الصَّلبةِ.

والحديثُ عن الحربِ النّاعمةِ هو حديثٌ عن مشروعٍ أمريكيٍّ معاصرٍ، اختارَ القوَّةَ الناعمةَ المقابلةَ للقوَّةِ الماديَّةِ العسكريَّةِ لعجزِه عن الوصولِ إلى أهدافِه عن طريقِ القوَّةِ الصَّلبةِ، أو لتخفيفِ التَّكلفةِ الباهظةِ المُترتِّبةِ عليها، وقد لجأَ إليها ليُسقطَنا من داخِلنا بأيدينا وأدواتِنا من دونِ أن نلتفتَ إلى ذلكَ، بل قد نعيشُ حالةَ الغبطةِ بما يحصُلُ، كلُّ ذلك يترافقُ مَع تعديلِ الكثيرِ من القيمِ، الَّتي تحوِّلُنا إلى أتباعٍ لا مستقلِّينَ.

من الأمثلةِ: مراكزُ الفسادِ الكثيرةُ الَّتي أَوجدَها الغربُ لنشرِ الانحلالِ والفسادِ الَّتي تركِّزُ على المالِ والغريزةِ والسُّلطةِ... الَّتي من شأنِها أن تُسقطَ روحَ الجِدِّ والبحثِ والمقاومةِ والمنافسةِ والحذرِ عندَ الكثيرِ من شبابِنا، مستخدمًا أحدثَ تقنيّاتِ الاتِّصالِ والإعلامِ المعاصرةِ.



٢- عناصرُ العولمةِ

تشملُ:

أ- تعميمَ الرَّأسماليَّةِ: بفعلِ العولمةِ أصبحَتِ القيمُ الرّائجةُ: التِّجارةَ الحُرَّةَ، الانفتاحَ الاقتصاديَّ، التَّبادلَ التِّجاريَّ الواسِعَ، رؤوسَ الأموالِ، تقنيّاتِ الإنتاجِ والأشخاصَ والمعلوماتِ.. ثمَّ إنَّ أمريكا هيَ الَّتي تقودُ كُلَّ ذلكَ وتفرضُهُ عن طريقِ مؤسَّساتِ البنكِ الدَّوليِّ وغيرِها من المؤسَّساتِ الماليَّةِ التَّابعةِ للأممِ المُتَّحدةِ.



ب- ثقافةَ القطبِ الواحدِ: منذُ سقوطِ الاتّحادِ السّوفياتيِّ (١٩٩١) أرادَتْ أمريكا قيادةَ العالمِ، وتفكيكَ منظومتِهِ الدّوليَّةِ من خلالِ فرضِ هيمنتِها الثّقافيَّةِ والسّياسيَّةِ.

ج- ثورةَ المعلوماتِ: التّطوراتُ التّكنولوجيَّةُ المتسارعةُ في عالمِ المعلوماتِ والاتّصالاتِ... أتاحَتْ للأفرادِ والدّولِ والمجتمعاتِ... الارتباطَ بعددٍ لا يُحصى من الوسائلِ الّتي تتراوحُ ما بينَ الكابلاتِ الضّوئيَّةِ، والمحطّاتِ الفضائيَّةِ والإذاعيَّةِ الّتي تبثُّ برامجَها المتنوِّعةَ في أرجاءِ العالمِ بوضوحٍ وبتكاليفَ محدودةٍ.

٣- أنواعُ العولمةِ

تتَّخذُ ظاهرةُ العولمةِ أشكالاً متنوِّعةً، فبالإضافةِ إلى العولمةِ الاقتصاديَّةِ، نلتقي بـ:

أ- العولمةِ السّياسيَّةِ:

بالرُّغم من أنَّ العولمةَ أظهرُ ما تتجلّى بوضوحٍ في المجالِ الاقتصاديِّ، فإنَّها أخذَتْ تتّسعُ لتشملَ مختلفَ مناحي الحياةِ السّياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ والثّقافيَّةِ والإعلاميَّةِ...

لقد سعتِ الدّولُ الغربيَّةُ وخاصَّةً الولاياتُ المتّحدةُ إلى فرضِ النّموذجِ السّياسيِّ الغربيِّ في الحكمِ، الّذي يتمثّلُ في الدّيمقراطيةِ، حيثُ حاولَتْ أن تعتبرَها شرطًا في التّعاملِ الإيجابيِّ معَ الدّولِ الأُخرى (الانتخاب، التّعدُّديَّة، حريَّة الرّأي...)

كما اعتبرَتْ أنَّ تجاوزَ الدّيمقراطيَّةِ لأيِّ نظامٍ آخرَ ينتجُ عنهُ الاستبدادُ، وانتهاكُ حقوقِ الإنسانِ، وضياعُ حقوقِ الأقليّاتِ... ومعَ ذلكَ فإنَّ سعيَها لفرضِ نمطِها السّياسيِّ يتوقّفُ عندَ الأنظمةِ الاستبداديَّةِ الّتي تؤدّي لها خدماتٍ باستبدادِها، والّتي لا يمكنُ تحقيقُها عن غيرِ هذه الطّريقِ، كما أنَّ الدّيمقراطيَّةَ الّتي تدعو لها مقنَّنةٌ في إطارِ المصالحِ الأمريكيَّةِ، وهي ترفضُها حينما تتعارضُ معَ مصالحِها في ازدواجيَّةٍ واضحةٍ للمعاييرِ.

ب- العولمةِ الاجتماعيَّةِ:

تعملُ العولمةُ على تغييرِ أذواقِ النّاسِ، وأنماطِ عيشهم، وكلِّ ما يتّصلُ بالمأكلِ والملبسِ والمظهرِ والسّكنِ والعاداتِ والتّقاليدِ وأدواتِ اللّهوِ واللّعبِ... وذلك انطلاقًا من قيمٍ وأنماطِ سلوكٍ نابعةٍ من واقعِ المجتمعِ الغربيِّ ليصلَ الأمرُ إلى تعديلِ مفاهيمِ العلاقاتِ بينَ الرّجلِ والمرأةِ، ومَفهومِ الزّواجِ وضوابطِه، وذلكَ بتشريعِ الشّذوذِ والاستغراقِ في الإباحيَّةِ على حسابِ كلِّ ما هو روحيٌّ وأخلاقيٌّ.

ج- العولمةِ الثّقافيَّةِ:

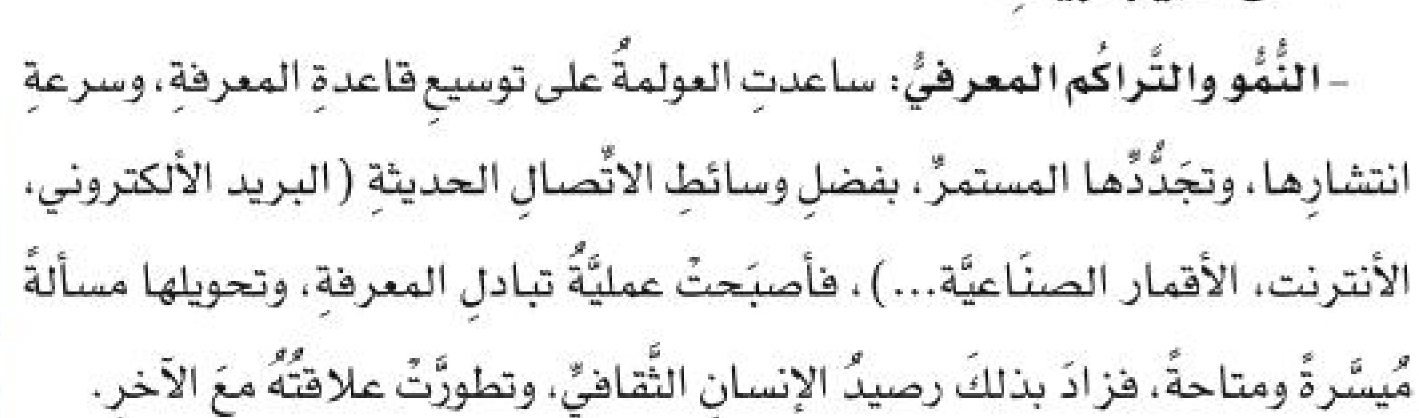
وهيَ محاولةُ تعميمِ نموذجٍ ثقافيٍّ محدَّدٍ لمجتمعاتِ السّطْوةِ العلميَّةِ والتّكنولوجيَّةِ والاقتصاديَّةِ... والهدفُ منها اختراقُ قيمِ المجتمعاتِ الأُخرى، وإسقاطُ عناصرِ الممانعةِ والمقاومةِ والتّحصُّنِ بالمفاهيمِ والقيمِ والمعتقداتِ والأعرافِ، من خلالِ استخدامِ تقنيَّاتٍ متعدِّدةٍ للتّأثيرِ في وعي الآخرينَ، وطرحِ مفاهيمَ لها علاقةٌ بضرورةِ الاستغراقِ في ملَذّاتِ الدّنيا، وإبعادِ الإيمانِ باللهِ تعالى عن مسرحِ الحياةِ العمليَّةِ، لمحاصرتِه في دائرةِ المسجدِ والكنيسةِ، ومواجهةِ الفكرِ الإسلاميِّ النّابعِ من التّوازنِ بينَ الدّنيا والآخرةِ وبينَ الجسدِ والرّوحِ.



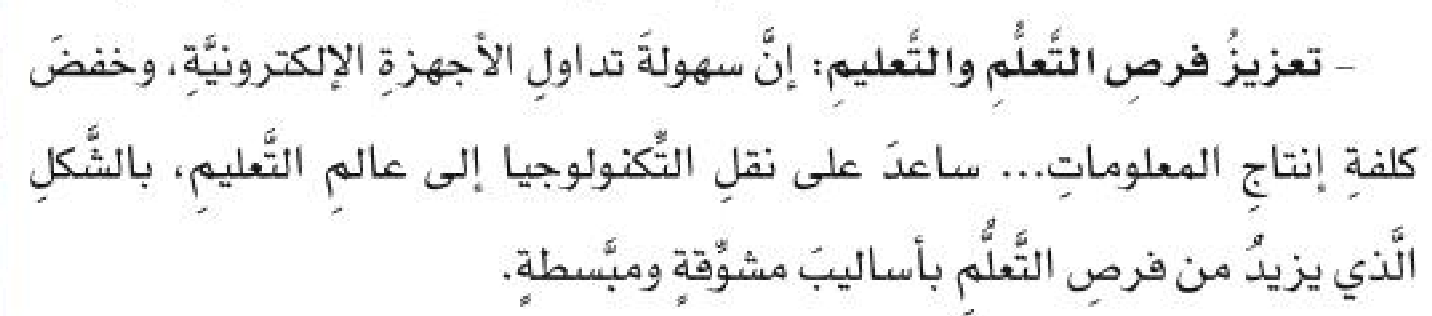
٤- بينَ إيجابيّاتِ العولمةِ وسلبيّاتِها

في إطارِ العولمةِ هناكَ إيجابيّاتٌ وفي مقابلِها سلبيّاتٌ، والموقفُ الطَّبيعيُّ هو الاستفادةُ من كلِّ ما هوَ مفيدٌ، والحذرُ من كلِّ ما هو ضارٌّ.

أ- من الإيجابيّاتِ



- **النُّموُّ والتَّراكمُ المعرفيُّ:** ساعدتِ العولمةُ على توسيعِ قاعدةِ المعرفةِ، وسرعةِ انتشارِها، وتجدُّدِها المستمرِّ، بفضلِ وسائطِ الاتِّصالِ الحديثةِ (البريد الألكتروني، الأنترنت، الأقمار الصناعيَّة...)، فأصبحَتْ عمليَّةُ تبادلِ المعرفةِ، وتحويلها مسألةً مُيسَّرةً ومتاحةً، فزادَ بذلكَ رصيدُ الإنسانِ الثَّقافيِّ، وتطوَّرَتْ علاقتُهُ معَ الآخرِ.



- **تعزيزُ فرصِ التَّعلُّمِ والتَّعليم:** إنَّ سهولةَ تداولِ الأجهزةِ الإلكترونيَّةِ، وخفضَ كلفةِ إنتاجِ المعلوماتِ... ساعدَ على نقلِ التِّكنولوجيا إلى عالمِ التَّعليم، بالشَّكلِ الَّذي يزيدُ من فرصِ التَّعلُّمِ بأساليبَ مشوِّقةٍ ومبسَّطةٍ.
- **تداولُ قيمٍ إنسانيَّةٍ شاملةٍ:** منها: قيمُ البحثِ العلميِّ، والتَّسامحُ، والتَّعاونُ، والتَّميُّزُ، والتَّسامي، والإحساسُ بالجمالِ، وتنميةُ الذَّوقِ، ورعايةُ الموهوبينَ والحالاتِ الخاصَّةِ...
- **تحقيقُ القريةِ الكونيَّةِ والوحدةِ الإنسانيَّةِ:** إنَّ عمليّاتِ الاتِّصالِ بينَ الأفرادِ والمجموعاتِ عبرَ شبكةِ الأنترنت مثلاً تيسِّرُ تبادلَ التَّأثيرِ الثَّقافيِّ، ومناقشةَ القضايا المختلفةِ، والتَّعبيرَ عن المشاعرِ، والخبرةَ الإنسانيَّةَ الواسعةَ.

ب- من السَّلبيّاتِ:



- **خطرُ تذويبِ الهويَّةِ الإسلاميَّةِ** بما تحويهِ من عقيدةٍ وشريعةٍ وقيمٍ وفضائلَ... فسياسةُ الانفتاحِ، والغزوُ الثَّقافيُّ، والحربُ النّاعمةُ... قد تفرضُ قيمًا سطحيَّةً أو استهلاكيَّةً مؤقَّتةً، ما يؤدّي إلى تغريبِ الإنسانِ وعزلِهِ عن قضاياه من جهةٍ، وإلى التَّشكيكِ في قناعاتِهِ الدِّينيَّةِ والأيديولوجيَّةِ... بهدفِ إخضاعِهِ لهيمنةِ القوى الكونيَّةِ المسيطرةِ.
- **احتمالُ تراجعِ اللُّغةِ العربيَّةِ الأمِّ** في مواجهةِ اللُّغاتِ الأكثرِ تداولاً في العالمِ، وبالأخصِّ اللُّغةُ الإنكليزيَّةُ، اللُّغةُ الأوسعُ استخدامًا في شبكةِ المعلوماتِ الدَّوليةِ، ما يُبعدنا عن ركيزةِ الفهمِ الدِّينيِّ الأصيلِ.
- **زيادةُ الشُّعورِ بالغربةِ:** في ضوءِ استيرادِ نماذجَ ثقافيَّةٍ غربيَّةٍ مهيمنةٍ، يعيشُ المسلمُ في حيرةٍ بينَ ثقافتينِ متعارضتينِ، ومعَ التَّدفُّقِ الإعلاميِّ الغزيرِ، وهيمنةِ التِّكنولوجيا، وضعفِ الحصانةِ الفكريَّةِ والرُّوحيَّةِ... نجدُ الشّابَّ مُندفعًا عفويًّا نحوَ ما يسلكُهُ الغربُ ويروِّجُ لهُ، ليعيشَ على ضوءِ ذلكَ حالةَ الاغترابِ الثَّقافيِّ.
- **ضعفُ الشُّعورِ بالانتماءِ:** في ظلِّ انتشارِ هيمنةِ القطبِ الأميركيِّ الواحدِ، ورغبةِ الأبناءِ في التَّقليدِ، ومحدوديَّةِ الخياراتِ، وسطوعِ نجمِ الحضارةِ الغربيَّةِ... يَضعفُ الشُّعورُ بالانتماءِ الوطنيِّ، وتضعفُ أيضًا- الرَّوابطُ الاجتماعيَّةُ بينَ الفردِ والجماعةِ الَّتي

ينتمي لها.

- **انتشارُ ثقافةِ العنفِ، وزيادةُ حدَّةِ الفوارقِ الاجتماعيَّةِ:** أصبحَتْ ثقافةُ العنفِ ظاهرةً عالميَّةً، أسهمَتْ في تعزيزِها التِّكنولوجيا المتطوِّرَةُ الَّتي بالغتْ في عرضِ أفلامِ الجريمةِ ومشاهدِها والقوَّةِ المفرطةِ، ما أدّى إلى انحلالٍ خُلُقيٍّ، وتفكُّكٍ أُسَريٍّ، وعنفٍ وجريمةٍ وإدمانٍ...

- ثمَّ إنَّ العولمةَ ساهمَتْ في ازديادِ التَّباينِ ما بينَ الطَّبقاتِ الاجتماعيَّةِ، فهناكَ الغنى الفاحشُ، مقابلَ الفقرِ المُدَقعِ.

٥- طرقُ مواجهةِ سلبيّاتِ العولمةِ ومظاهرِ الحربِ النّاعمةِ

أمامَ خطرِ هيمنةِ العولمةِ، وتهديدِها الهويَّةَ الثَّقافيَّةَ، وتشويهِ صورةِ الشَّخصيَّةِ الإسلامّيةِ... لا بدَّ من خطَّةٍ واعيةٍ حكيمةٍ، تحفظُ وتحصِّنُ وتواجهُ... كيفَ؟

أ- تعزيزُ بناءِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ:

الإسلامُ دينٌ إنسانيٌّ عالميٌّ أوحى به اللهُ تعالى إلى نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ لهدايةِ البشريَّةِ كافَّةً:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ (سبأ)

إنَّهُ رسالةٌ سماويَّةٌ شاملةٌ، فيها تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، تعالجُ قضايا الإنسانِ في الحاضرِ والمستقبلِ، مراعيةً جميعَ الظُّروفِ الإنسانيَّةِ، ومستجيبةً لمختلفِ حاجاتِ البشرِ، وآخذةً بعينِ الاعتبارِ كُلَّ خصوصيَّاتِ الشُّعوبِ من أفكارٍ وعقائدَ وعاداتٍ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ... ﴾ (الحجرات)

والإسلامُ يدعو العالمَ ليكونَ أسرةً واحدةً، تؤمنُ باللهِ تعالى وتعبدُهُ، وتلتزمُ تعاليمَهُ، وتتبادلُ المنافعَ والمصالحَ على أسسِ الحقِّ والعدلِ والحرِّيَّةِ والدِّفاعِ عن حقوقِ الإنسانِ:

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات)

وما تختلفُ فيه العولمةُ عن الإسلامِ هو أنَّ العولمةَ تريدُ أن تختصرَ النّاسَ في نموذجٍ واحدٍ، وتسيِّرَهُمْ وفقَ منهجٍ ماديٍّ خاطئٍ، بعيدًا عن الأصالةِ والهويَّةِ الحقَّةِ، أمّا الإسلامُ فإنّه يراعي الفروقَ الفرديَّةَ الموجودةَ بينَ البشرِ، ويقدِّمُ لهم النَّموذجَ المتكاملَ، ويواكبُ حاجاتِهم ومتطلَّباتِ الشُّعوبِ المختلفةِ، وقدْ جمعَ بينَ ظهرانيهِ أقوامًا وألوانًا ولغاتٍ وشعوبًا آمنَتْ به، وعاشَتْ في كنفِهِ الهناءَ والتَّطوُّرَ وإنسانيَّةَ الإنسانِ: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء)

ب- تعزيزُ القيمِ الإنسانيَّةِ الإسلاميَّةِ:

إنَّ المواجهةَ الصَّحيحةَ لسلبيّاتِ العولمةِ لن تكونَ إلاّ من خلالِ تعزيزِ القيمِ الإنسانيَّةِ المنطلقةِ من تعاليمِ القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ الشَّريفةِ، والَّتي تعترفُ بها جميعُ رسالاتِ السَّماءِ، وهذه القيمُ من شأنِها أنْ تبنيَ شخصيَّةً متوازنةً في عواطفِها وأفكارِها وأخلاقِها

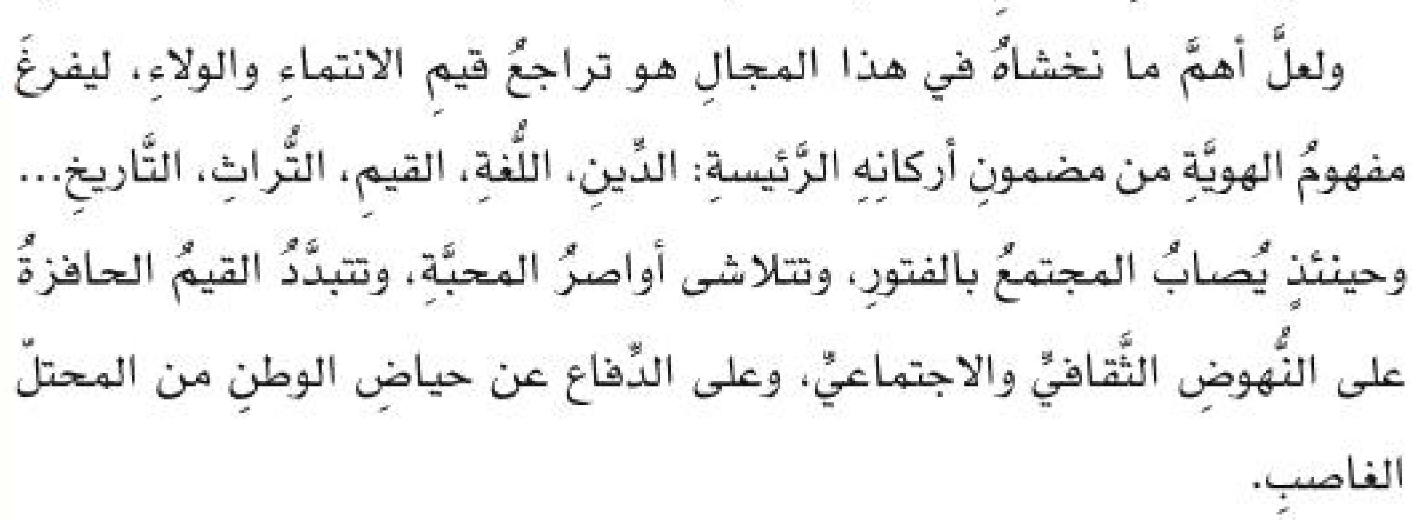


ومواقفها وعلاقاتها... وقادرةً على التَّكيُّفِ الواعي معَ كلِّ المستجدَّاتِ المعقدةِ والمعاصرةِ.

والَّذي يَجعلُ مسؤوليَّتَنا كبيرةً في هذا المجالِ، هو أنَّ الفسادَ بمختلفِ صنوفِه، أصبحَ يلفُّ العالمَ، بفعلِ المذاهبِ الاجتماعيَّةِ الماديَّةِ الَّتي تركزُ على اللَّذةِ المتحرِّرَة، والَّتي تُوظِّفُ كلَّ التِّكنولوجيا الحديثةِ في عالمِ الاتِّصالاتِ والإعلامِ، من أجلِ أنْ تصرفَ الشَّبابَ، في حربٍ ناعمةٍ، عن معتقداتِها الإلهيَّةِ، وخصوصيَّاتِها الجغرافيَّةِ، وهويَّتِها الثَّقافيَّةِ، وجذورِها التَّاريخيَّةِ، وأصالتِها الفكريَّةِ... إلى أنماطٍ من العاداتِ والتَّقاليدِ والأذواقِ النَّاتجةِ عن الفلسفاتِ الماديَّةِ الَّتي لا تؤمنُ باللهِ تعالى، ولا تأخذُ بثوابتِ المعالجةِ الإنسانيَّةِ، ولا تتوقفُ عندَ الأخلاقِ.

ج- تدعيمُ الشُّعورِ بالانتماءِ الوطنيِّ:

إنَّ ثمَّةَ خطرًا يُحدِقُ بأمَّتِنا الإسلاميَّةِ يتمثَّلُ في تهديدِ هويَّتِها، وطمسِ معالمِ شخصيَّتِها الوطنيَّةِ، ومصدرُ هذا الخطرِ يكمنُ في سطوةِ العولمةِ، وما تروِّجُ له من دعاوى التَّمسُّكِ بالقِيمِ الإنسانيَّةِ العالميَّةِ واحترامِ حقوقِ الإنسانِ، ومطالبِ النِّظامِ العالميِّ الجديدِ، والتَّربيةِ من أجلِ السلامِ العالميِّ... وهي شعاراتٌ ماديَّةٌ غربيَّةٌ تخلو من الحقيقةِ الواقعيَّةِ والأصالةِ الإسلاميَّةِ.



ولعلَّ أهمَّ ما نخشاهُ في هذا المجالِ هو تراجعُ قيمِ الانتماءِ والولاءِ، ليفرغَ مفهومُ الهويَّةِ من مضمونِ أركانِه الرَّئيسةِ: الدِّينِ، اللُّغةِ، القيمِ، التُّراثِ، التَّاريخِ... وحينئذٍ يُصابُ المجتمعُ بالفتورِ، وتتلاشى أواصرُ المحبَّةِ، وتتبدَّدُ القيمُ الحافزةُ على النُّهوضِ الثَّقافيِّ والاجتماعيِّ، وعلى الدِّفاعِ عن حياضِ الوطنِ من المحتلِّ الغاصبِ.



وتدعيمُ الشُّعورِ بالانتماءِ والولاءِ يكونُ بـ:

- تربيةِ المسلمِ على التمسُّكِ بالإسلامِ عقيدةً وشريعةً وهويَّةً يشتركُ فيها معَ كُلِّ مسلمٍ.
- بناءِ الحالةِ الرُّوحيَّةِ الَّتي تتبلورُ من خلالِ العباداتِ، لتحصينِ الأفرادِ، وتشكيلِ قوَّةِ الممانعةِ في مواجهةِ الانحرافِ
- التَّربيةِ على فضيلةِ الجهادِ لتكوينِ الشَّخصيَّةِ العزيزةِ الَّتي تحبُّ الوطنَ وترفضُ الاحتلالَ.
- الاهتمامِ بالتُّراثِ الإسلاميِّ العربيِّ، وإكسابِ الطُّلاَّبِ مهارةَ تذوُّقِه وتقديمِ قراءةٍ جديدةٍ لهُ.
- الاهتمامِ بالأعرافِ والتَّقاليدِ الإسلاميَّةِ الأصيلةِ، والحفاظِ على الخصوصيّاتِ المقبولةِ في الأذواقِ الَّتي تتَّصلُ بالمأكلِ والملبسِ والمظهرِ...
- الحذرِ والتَّحذيرِ من هيمنةِ القطبِ الواحدِ على العالمِ من خلالِ أساليبِهِ النّاعمةِ، وشعاراتِه الماكرةِ الَّتي تخلطُ السُّمَّ بالعسلِ، لتفتكَ بمصائرِ الشُّعوبِ لحسابِ مصالحِها الاستكباريَّةِ القاتلةِ.

بما أنَّنا نعيشُ في عالمٍ تحكمُه الشَّبكةُ العنكبوتيَّةُ، أي ما يحدثُ في بلدٍ من قضايا، يتأثَّرُ بها البلدُ الآخرُ مهما كانَ بعيدًا، وارتفاعُ سعرِ برميلِ النِّفطِ يحرِّكُ كلَّ اقتصاديّاتِ العالمِ بدُوَلِه الصَّغيرةِ والكبيرةِ، وانطلاقًا من كونِ العالمِ قد تحوَّلَ إلى قريةٍ صغيرةٍ لا يستطيعُ الإنسانُ أن يعيشَ بمنأى عن تعقيداتِها، نجدُ أنفسَنا مضطَّرِّينَ إلى التَّعاملِ معَ ظاهرةِ العولمةِ بحذرٍ وواقعيَّةٍ وحكمةٍ،

فندرسُها، ونأخذُ ما تتضمَّنهُ من إيجابيّاتٍ كي لا نعيشَ في غربةٍ عمَّا يجري حولَنا، ونقفُ بحزمٍ تجاهَ ما تحملُهُ من سلبيّاتٍ تركِّزُ على تدميرٍ للخصوصيَّاتِ الَّتي تتَّصلُ بالعقيدةِ الدِّينيَّةِ والهويَّةِ الثَّقافيَّةِ والتَّقاليدِ والعاداتِ التَّاريخية، والأصالةِ التُّراثيَّةِ... إنَّ خطورةَ العولمةِ تكمنُ في هيمنةِ القطبِ الواحدِ بكلِّ سياساتِهِ ومخطَّطاتِه واقتصاديّاتِه... الَّتي تهدفُ بشعاراتِ الإنسانيَّةِ والدِّيمقراطيَّةِ وحقوقِ الإنسانِ إلى شنِّ حربٍ ناعمةٍ خادعةٍ تهيمنُ فيها على العقولِ السّاذجةِ، لتحقِّقَ من كلِّ ذلكَ استعمارًا مقنَّعًا بأساليبَ تدَّعي أنَّها حضاريَّةٌ

أختبر معارفي وقدراتي

١- عرِّف: العولمةَ، الهويَّةَ الثَّقافيَّةَ، الحربَ النّاعمة.

٢- اذكرْ أهمَّ عناصرِ العولمةِ وأنواعِها.

٣- بيِّنْ إيجابيّاتِ العولمةِ... ثمَّ سلبيَّاتها.

٤- اشرح كيفَ يواجهُ الإسلامُ أساليبَ العولمةِ؟ ثمَّ مظاهرَ الحربِ الناعمةِ؟



من حصاد الدَّرس

١- العولمةُ هي عمليَّةُ صبغِ العالمِ بصبغةٍ واحدةٍ، وتوحيدُ أنشطتِهِ الاقتصاديَّةِ والفكريَّةِ والاجتماعيَّةِ... من غيرِ اعتبارٍ لاختلافِ الأديانِ والثَّقافاتِ والأعراقِ والجنسيّاتِ...

٢- الهويَّةُ الثَّقافيَّةُ: هيَ السِّماتُ المميِّزةُ للأفرادِ والجماعاتِ (الدِّينُ، اللُّغةُ، التّاريخُ، العاداتُ...)

٣- الحربُ الناعمةُ هي القدرةُ على التَّأثيرِ في سلوكِ الآخرينَ بوسائل مختلفة للحصولِ على النَّتائجِ المتوخّاةِ من دونِ الاضطرارِ إلى استعمالِ القوَّةِ المفرطَةِ.

٤- أنواعُ العولمةِ: أ- العولمةُ السِّياسيَّةُ: فرضُ النَّموذجِ السِّياسيِّ الغربيِّ في أساليبِ الحكمِ والسَّيطرةِ.

ب- العولمةُ الاجتماعيَّةُ: تغييرُ أذواقِ النّاسِ، وأنماطِ عيشِهم بالمأكلِ والملبسِ والمظهرِ.

ج- العولمةُ الثَّقافيَّةُ: تعميمُ نموذجٍ ثقافيٍّ لمجتمعاتِ السَّطوةِ الغربيَّةِ، الهدفُ منهُ اختراقُ قيمِ المجتمعاتِ الأُخرى، وإسقاطُ قيمِ الممانعةِ والمقاومةِ عندَها.

٥- إيجابيَّاتُ العولمةِ: - النُّموُّ والتَّراكمُ المعرفيُّ من خلالِ وسائطِ الاتِّصالِ الحديثةِ.

- تعزيزُ فرصِ التَّعلُّمِ والتَّعليم من خلالِ سهولةِ تداولِ الأجهزةِ الإلكترونيَّةِ.

- تداولُ قيمٍ إنسانيَّةٍ شاملةٍ: البحثُ العلميُّ، التَّسامحُ، التَّعاونُ، والمشاركةُ وحقوقُ الإنسانِ.

- تحقيقُ القريةِ الكونيَّةِ والوحدةِ الإنسانيَّةِ عبرَ شبكةِ الأنترنيت وغيرِها.

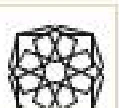
٦- سلبيَّاتُ العولمةِ: - خطرُ تذويبِ الشَّخصيَّةِ الإسلاميَّةِ، فسياسةُ الانفتاحِ والغزوُ الثَّقافيُّ قد يفرضانِ قيمًا سطحيَّةً، ما

يؤدّي إلى التّغريبِ والعُزلةِ.

- احتمالُ تراجعِ فعاليَّةِ اللُّغةِ العربيَّةِ في مقابلِ الإنكليزيَّةِ.
- زيادةُ الشُّعورِ بالغربةِ، في ضوءِ استيرادِ نماذجَ ثقافيَّةٍ غربيَّةٍ وغريبةٍ.
- ضعفُ الشُّعورِ بالانتماءِ إلى الدِّينِ والوطنِ.
- انتشارُ ثقافةِ العنفِ، وزيادةُ حدَّةِ الفوارقِ الاجتماعيَّةِ.

٧- طرقُ مواجهةِ العولمةِ والحربِ النَّاعمةِ:

- تعزيزُ بناءِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ الَّتي تدعو إلى الإيمانِ والمحبَّةِ والعدالةِ والوحدةِ بعيدًا عن الهيمنةِ وإلغاءِ الهويَّةِ والخصوصيَّةِ.
- تعزيزُ القيمِ الأخلاقيَّةِ الإسلاميَّةِ من أجلِ مواجهةِ مظاهرِ الفسادِ الَّتي تعزِّزُها آلياتُ العولمةِ والحربِ النّاعمةِ.
- تدعيمُ الشُّعورِ بالانتماءِ الوطنيِّ بهدفِ تعزيزِ الهويَّةِ الثَّقافيَّةِ، والنُّهوضِ بالوطنِ، وحمايتِه من كلِّ هيمنةِ القطبِ الواحدِ.


من ثقافة الروح

الحربُ النّاعمةُ والتَّبعيَّةُ الفكريَّةُ

تحاولُ المنظومةُ الثَّقافيَّةُ الغربيَّةُ السَّيطرةَ علينا، ليأخذَ منَّا الاستكبارُ من خلالِ هذهِ التَّبعيَّةِ كلَّ شيءٍ. فإذا ما أصبحَتْ أفكارُهم أفكارَنا وقناعاتُهم قناعاتِنا، عندها يصبحونَ الأساتذةَ ونحنُ التَّلامذةُ، ويصبحونَ القادةَ ونحنُ الرَّعيَّةُ، فإذا ما احتجْنا إلى تفسيرٍ فهمُ المفسِّرونَ، وإذا ما احتجْنا إلى توضيحٍ فهم الموضِّحونَ، ولذا فالتَّبعيَّةُ الفكريَّةُ من أخطرِ ما يُصيبُنا في الحياةِ.

نحنُ لنا خصوصيتُنا، ولنا أفكارُنا وقناعاتُنا، هذه يجبُ أن تبرزَ، وأن تكونَ حاضرةً، لأنَّها إذا ما برزَتْ استطَعْنا أن نتمايزَ على المستوى الفكريِّ، وعندها نستطيعُ أن نتمايزَ في المستوياتِ الأُخرى، أمَّا إذا انسحَقْنا على المستوى الفكريِّ، واتَّبعنا الاستكبارَ، فلا يمكنُنا أن نستقلَّ لا سياسيًّا ولا اقتصاديًّا ولا عسكريًّا، ولا بكلِّ المعاييرِ الأخرى، فالمسألةُ تبدأُ من الاستقلالِ الفكريِّ، وهذهِ مسؤوليَّتُنا في أن نحميَ أفكارَنا وقناعاتِنا وأصالَتنا.

في وثيقةٍ قدَّمتها مؤسسةُ راند للأبحاثِ الدفاعيَّةِ التَّابعةِ للبنتاغونِ تحتَ عنوانِ: «بناءُ شبكاتٍ إسلاميَّةٍ مُعتدلةٍ» تعطي فيها النَّصائحَ لِكسبِ ودِّ طبقةِ الشَّبابِ، ورجالِ الأعمالِ المسلمينَ، عن طريقِ توفيرِ فرصِ العملِ لهم، وهذا ما يضمنُ إبعادَهُمْ عن الأنظمةِ والحركاتِ الإسلاميَّةِ وتحويلَهُم عنها. كما تدعو الدِّراسةُ إلى ضرورةِ دعمِ الإسلامِ المعتدلِ- بحسبِ وجهةِ نظرهم- ويقصدونَ بالإسلامِ المعتدلِ الإسلامَ الَّذي يتلقَّى الثَّقافةَ الغربيَّةَ برحابةِ صدرٍ، ويقبلُ المشروعَ السِّياسيَّ الغربيَّ الَّذي يتضمَّنُ التَّعاملَ معَ «إسرائيلَ» في المنطقةِ، فالاعتدالُ بالنسبةِ إليهم أن لا يحرِّكَ التَّابعونَ «المعتدلونَ» ساكنًا لمواجهةِ مشاريعِ الاستكبارِ.



وفي مجالِ التَّأكيدِ على أولويَّةِ التَّأثيرِ الفكريِّ، يقولُ «روبرت رايلي» مديرُ إذاعةِ صوتِ أمريكا: «إنَّ الطَّبيعةَ الحقيقيَّةَ للصِّراعِ اليومَ هي صراعُ المشروعيَّةِ في عقولِ النّاسِ وقلوبِهم والرَّأيِ العامِّ، وليسَ صراعَ القوى العسكريَّةِ، إنَّ الحروبَ تُخاضُ ويتمُّ تحقيقُ النَّصرِ أو الهزيمةُ فيها في ساحاتِ العقولِ والقلوبِ قبلَ أن تصلَ إلى ميادينِ القتالِ».

فالعملُ على العقلِ والقلبِ والفكرةِ، وهذه هيَ البدايةُ، من هنا ندعو في عمليَّةِ المواجهةِ إلى تأصيلِ ثقافتِنا وأفكارِنا، وأن لا نكونَ منسحقينَ أمامَ الثَّقافاتِ والأفكارِ الَّتي يطرحُها الاستكبارُ علينا، ولا نتلقَّى الشِّعاراتِ الَّتي يُطلقُها تحتَ عنوانٍ أُمميٍّ أو عالميٍّ أو معاصرٍ أو أمريكيٍّ أو غربيٍّ، بلْ أنْ تكونَ لنا قناعتُنا وثقافتُنا، وأن نناقشَ ما يُعرَضُ علينا بكلِّ موضوعيَّةٍ، وأن نتحدّى الآخرينَ في النَّدواتِ والمواقفِ، وفي كلِّ موقعٍ فكريٍّ وثقافيٍّ، لتبقى لنا خصوصيَّتُنا، الَّتي نُربِّي أولادَنا وأجيالَنا عليها.





﴿ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ... ﴿٢٢﴾ ﴾

(المجادلة)



الدَّرسُ الرَّابعُ

من وحي معركةِ أُحد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ ﴾ سُورَةُ العَنكَبُوت

صدق الله العلي العظيم



مِنْ أهدافِ الدَّرسِ

- أستنتجُ الدُّروسَ المستفادةَ من معركة أحد.
- أستدلُّ على أهميَّةِ الالتزام بتكليفِ القيادةِ.
- أحرصُ على تعميقِ الرُّوحِ الإيمانيَّةِ والجهاديَّةِ.



أقرأ وأحلّل

عندَ تلاوةِ النَّصِّ القرآنيِّ الَّذي يُعالجُ وقائعَ معركةِ «أُحد» نلاحظُ أنَّهُ لا يخوضُ في تفاصيلِ ما حدثَ في التَّاريخِ، وإنَّما يركِّزُ على مواقفَ تشكِّلُ محطاتٍ هامَّةً في مسارِ تربيةِ الشَّخصيّةِ الإسلاميَّةِ، لينهلَ منها المسلمونَ العِبرَ، ويتَّخذوا منها منطلقاتٍ للثَّباتِ والصَّبرِ والتَّماسكِ في الحالاتِ القاسيةِ.

ومن أجلِ تبسيطِ عمليَّةِ البحثِ، سنقسِّم المضمونَ المعرفيَّ للنَّصِّ إلى موضوعينِ هُما:

- المؤمنُ امامَ البلاءِ والتَّحدّي.
- المؤمنُ والكافرُ في ميزانِ اللّهِ تعالى.



مستند

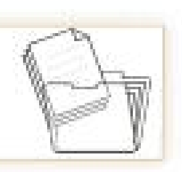
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ سورة آل عمران

صدق الله العلي العظيم

معاني المفردات

لا تهنوا	: لا تضعفوا
قرح	: جُهد من جرح، وهو كناية عن الهزيمة
نداولها	: نصرّفها- نبدّلها
شهداء	: رقباء على الأمة
ليُمحّص	: ليختبر ويطهّر
يمحق	: يُهلك
انقلبتم على أعقابكم	: رجعتم إلى الكفر
تُصعدون	: تهربون
تحسّونهم	: تقتلونهم

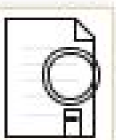


أطرحُ الموضوعَ

- حدّدِ الموضوعَ الَّذي يطرحُهُ النَّصُّ القرآنيُّ.
- بيِّنِ الفكرةَ الأساسيَّةَ الَّتي يركِّزُ عليها... كيف يعالجُها؟ ومن خلالِ أيَّةِ عناوينَ؟
- اذكرِ الدُّروسَ المستفادةَ من النَّصِّ.



أقرأ وأتعرّف



١ - الثَّباتُ أمامَ الإخفاقِ

بعدَ هزيمتِهم في معركةِ أُحدٍ، يخاطبُ اللهُ تعالى المسلمينَ بالآيَةِ:

﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران)

إنَّهُ تعالى يعالجُ الحالةَ النَّفسيَّةَ المؤلمةَ الَّتي عاشها المسلمونَ من نتائجِ معركةِ «أُحدٍ» فقد أُصيبوا بصدمةٍ قاسيةٍ، وحزنٍ عميقٍ، فشعروا بالضَّعفِ حتَّى كادَ الشَّكُّ يتسلَّلُ إلى عقيدتِهم.

هنا يستنكرُ القرآنُ هذا الإحباطَ، فالمؤمنُ المنفتحُ على اللهِ تعالى هو مَنْ يصبرُ، ويتعالى على الجراحِ، ويرفضُ اليأسَ، ليأخذَ العبرةَ، ويدرسَ السَّبَبَ، ويَعقِلَ النَّتيجةَ، ويقفَ عند نقاطِ الضَّعفِ ومواقعِ القوَّةِ، من أجلِ أن يخرجَ من ساحةِ الصِّراعِ إلى موقفٍ حكيمٍ أكثرَ قوَّةً في تجاوزِ المحنةِ.

القرآنُ الكريمُ -بأسلوبِه البَليغِ- لم يستخدمْ لغةَ التَّوبيخِ ليثيرَ اليأسَ، بل ليستعيدَ الثِّقةَ، ويبعثَ الأملَ من جديدٍ، ويُجدِّدَ العزيمةَ بالتَّشجيعِ والمواساةِ: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران)

أنتم- أيُّها المؤمنونَ- أعلى من أعدائِكم عقيدةً وأسمى هدفًا، فإذا كنتم قد تراجعتم بفعلِ تصرُّفاتٍ خاطئةٍ... فالمشركونَ، أيضًا، كانوا قد هُزموا قبلَكم في معركةِ «بدرٍ»، وما حصلَ هو اختبارٌ يُميِّزُ المؤمنينَ عن غيرِهم، ويُعطِيهم المقامَ الرَّفيعَ بصبرِهم وجهادِهم، ثمَّ تتغيَّرُ الظُّروفُ والنَّتائجُ بعدَ ذلكَ: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ... ﴾ (آل عمران)

فقد ينتصرُ المهزومُ في معركةٍ جديدةٍ، إذا ما أعدَّ العدَّةَ، وتَسلَّحَ بأسبابِ النَّصرِ، وقد ينهزمُ المنتصرُ أيضًا إذا ما تخلّى عن هذهِ الأسبابِ.

هذه هي سنَّةُ اللهِ تعالى في الكونِ، وعلى المؤمنِ أن يخضعَ لها، فلا ييأسَ من النَّصرِ، ولا يطغى عليه الانتصارُ، بل عليه التَّواضعُ والحذرُ والتَّرقُّبُ، ليواجهَ الأحداثَ الصَّعبةَ بإيمانٍ وحكمةٍ وثقةٍ ومسؤوليَّةٍ، متوكِّلاً على اللهِ الَّذي يسدِّدُ خطواتِ عبادِهِ المؤمنينَ.

٢ - البلاءُ امتحانٌ للإيمانِ

ثمَّ تنطلقُ الآياتُ لتصِفَ بعضَ معالمِ شخصيَّةِ المؤمنِ، وهوَ يتعرَّضُ لألوانِ البلاءِ:

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ﴾ (آل عمران)

يعتبرُ القرآنُ الكريمُ أنَّ جوهرَ شخصيَّةِ المؤمنِ يتضِّحُ حينما يتعرَّضُ للبلاءِ، فقد يظنُّ الإنسانُ في نفسِهِ الإخلاصَ والقدرةَ،

ولكن قد تُظهِرُ التَّجربةُ العمليَّةُ خلافَ ذلكَ.

هذا الواقعُ هو ما أكَّدَتهُ أحداثُ «أُحدٍ»، فالنَّكسةُ الطّارئةُ زلزلَتْ بعضَ النُّفوسِ الَّتي كانت تَزعُم عُمقَ الإيمانِ، وتتمنّى الموتَ في ساحةِ الجهادِ، وبالتّالي جعَلتها تعيشُ حالةَ الشَّكِّ والتَّراجعِ، بينما زادَتِ المؤمنينَ قوَّةً وإصرارًا على مواجهةِ التَّحدّياتِ، وبذلكَ انكشفَ الإيمانُ المزيَّفُ من الإيمانِ الصّادقِ المخلصِ.

ومن خلالِ نجاحِ الإنسانِ وفشلِهِ في تحدّي البلاءِ، ينالُ جزاءَهُ العادلَ، فالجنَّةُ الَّتي وعَدَ اللهُ بها عِبادَهُ لا تُقدَّمُ مجّانًا للمنافقينَ والكسالى الَّذين يُؤثرونَ الرّاحةَ، ويهربونَ من التَّكليفِ، فالَّذي يَستحقُّ الجنَّةَ هو المؤمنُ الَّذي لا يتردّدُ في بذلِ النَّفسِ والمالِ والجهدِ دفاعًا عن العقيدةِ والإيمانِ.

ثمَّ تؤكِّدُ الآيةُ الآتيةُ هذا الأمرَ بصورةٍ عمليّةٍ:

﴿ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (آل عمران)

فالمسلمونَ- قبلَ أُحُدٍ- كانوا يتمّنونَ الموتَ في الميدانِ، ولكنْ حينَ خضعَ بعضُهم للتَّجربةِ، وفُرِضَتْ عليهم المعركةُ، وأحدقَ الموتُ بهم، سقط الكثير منهم في الامتحانِ، تمامًا كأولئكَ الَّذين يُلهِبونَ مشاعرَ النّاسِ بالخُطبِ الحماسيَّةِ، فإذا ما واجَههم الموقفُ الصَّعبُ، لاذوا بالفرارِ ملتمسينَ الأعذارَ.

خلاصةُ القولِ: إنَّ الهدفَ من الآياتِ هو تربيةُ المسلمِ على الثَّباتِ والصَّبرِ أمامَ البلاءِ، فالمفاهيمُ النَّظريَّةُ تبقى كلماتٍ صامتةً لا معنى لها، إذا لم تتجسّدْ في مواقفَ جريئةٍ في ساحةِ الصِّراعِ، فما نقولُهُ ونؤمنُ به يجبُ أن يتحوَّلَ إلى واقعٍ في الحياةِ.

٣- غيابُ الرَّسولِ ﷺ لا يُلغي الرِّسالةَ

ثمَّ تعالجُ الآياتُ موقفًا خطيرًا واجهَ المسلمينَ في نهايةِ المعركةِ، حينَ ارتفعَتْ بعضُ الأصواتِ لتصرخَ: إنَّ محمّدًا قد ماتَ.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (آل عمران)

تذكرُ السِّيرةُ أنَّ المسلمينَ أثناءَ إشاعةِ النَّبأ، انقسموا إلى فريقينِ:

- فريقٌ ساورَهُ الخوفُ والشَّكُّ، فانطلقَ ينشدُ السَّلامةَ

فقالَ بَعضُهم: ليتنا نجدُ من يأخذُ لنا الأمانَ من أبي سفيانٍ.

وقالَ آخرونَ: لو كانَ محمدٌ نبيًّا لم يُقتلْ، الحقوا بدينِكم الأوَّلِ.

- وفريقٌ ثبتَ على إيمانِهِ، واستمرَّ يُدافعُ عن الدِّينِ ونبيِّهِ.

رُوِيَ أنَّ رجلاً من المهاجرينَ، مرَّ برجلٍ من الأنصارِ يتشحَّطُ في دمِهِ...

مستند

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ (الأنفال)

صدق الله العلي العظيم

فقالَ لهُ: أعلمَت أنَّ محمّدًا قد قُتلَ؟

أجابَهُ الأنصاريُّ: إنْ كانَ محمدٌ قد قتلَ فقدْ بلَّغ، فقاتلوا عن دينِكم.

ب- وفي روايةٍ أخرى: أنَّ "أنَسَ بنَ النَّضرِ" مرَّ برجالٍ من المهاجرينَ والأنصارِ، وقد ألقَوا بأيديهم.

فقالَ أنسٌ: ما يُجلسُكُم؟

قالوا: قُتِلَ محمَّدٌ...

فقالَ: إنْ كانَ محمدٌ قد قُتلَ، فإنَّ ربَّ محمدٍ لم يُقتلْ وما تصنعونَ بالحياةِ بعدَهُ؟ فقاتلوا على ما قاتلَ عليه، وموتوا على ما ماتَ عليه.

ثمَّ قالَ: اللهُمَّ إنِّي أعتذرُ إليكَ ممّا قالَ هؤلاءِ، وأبرأُ إليكَ مما جاءوا به...

ثمّ شدَّ سيفَهُ فقاتلَ، حتّى استُشهِدَ رضوانُ اللهِ عليه.

على ضوءِ هذا الواقعِ، ومن خلالِ إيحاءاتِ الآيةِ الكريمةِ، نرى أنَّ الإسلامَ أرادَ أن يربطَ المسلمينَ بالرِّسالةِ لا بالرَّسولِ المبلِّغِ، فغيابُ القائدِ مهما كانَ عظيمًا، لا يوقفُ المسيرةَ، فالرِّسالَةُ الإلهيَّةُ هيَ الأساسُ، والرَّسولُ إنسانٌ قد سبقَتْهُ الرُّسُلُ، وجميعُهم انتقلوا إلى رحابِ اللهِ، ونبيُّهم أيضًا سيلحقُ بهم إن عاجلاً أم آجلاً، هذه هي سنَّةُ اللهِ في خلقِهِ، فلا يجوزُ أن ينحرفَ المسلمونَ فينقلبوا على أعقابِهم إلى أجواءِ الضَّلالِ والكفرِ.

وخلاصةُ القولِ: إنَّ اللهَ تعالى أرادَ من المسلمينَ أمرين:

- أنْ يكونَ الارتباطُ بالنَّبيِّ منطلِقًا من الارتباطِ الحقيقيِّ باللهِ الذي يرعى مسيرَتَهُ.
- أنْ يُهيِّئوا أنفسَهُم إلى اليومِ الَّذي سيفقدونَ فيه النَّبيَّ القائدَ حقيقةً، ويتحمَّلونَ مسؤوليَّةَ الرِّسالةِ.

٤- الجهادُ لا يُقصِّرُ أجلاً

ثمَّ يُعلِّقُ النَّصُّ القرآنيُّ على حقيقةِ الموتِ للأنبياءِ وغيرهم فيقولُ:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ (آل عمران)

فلكلِّ إنسانٍ أجلٌ مكتوبٌ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأعراف)

فالخوفُ من الموتِ، والحرصُ على الحياةِ، والتَّخلُّفُ عن القتالِ لا يطيلُ أجلاً، كما أنَّ الإقدامَ والتَّضحيةَ في الحربِ لا يُقصِّرُ عمرًا، هذه حقيقةٌ قرآنيةٌ ثابتةٌ برسمِ جميعِ النَّاسِ:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت)

فعلى الإنسانِ أن يركِّزَ في مواقفِه على رضا اللهِ تعالى، فيجعلَ من دنياهُ مزرعةً لآخرتِهِ، فيعيشَ الأمنَ الرُّوحيَّ في الدُّنيا، ليحصُلَ على النَّعيمِ الخالدِ في الآخرةِ.

٥- لماذا الهزيمةُ؟ وما المخرجُ؟

ثمَّ يتابعُ النَّصُّ القرآنيُّ بالحديثِ عن أمرينِ: هما

مواقفُ المجاهدينَ وجزاؤُهم عندَ اللهِ تعالى.

ومواقفُ الكافرينَ وخطرُهم، ثمَّ جزاؤُهم لينتهيَ أخيرًا إلى الحديثِ عن ظروفِ الهزيمةِ:

مستند ٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (آل عمران)

صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

من خلالِ العرضِ السَّابقِ للسِّيرةِ لاحظْنا: أنَّ اللهَ تعالى وعدَ المسلمينَ بالنَّصرِ إذا ما صبروا واحترموا خطَطَ المعركةِ... وبالفعلِ فقد نُفِّذتِ الخططُ، وتمَّ النَّصرُ، ولكنَّ الموازينَ انقلبَتْ لصالحِ المشركينَ حينما خالفَ بعضُهُم أوامرَ القيادةِ، فانسحبوا من سفحِ الجبلِ، واندفعوا نحوَ الغنائمِ، مُقبلين على متاعِ الدُّنيا الزَّائلِ، ومنصرفينَ عن متطَّلباتِ الآخرةِ.

أختبر معارفي وقدراتي

١- اذكر كيفَ عالجَ القرآنُ الكريمُ الحالةَ النَّفسيَّةَ بعدَ الهزيمةِ في معركةِ «أُحدٍ»؟

٢- وكيفَ يجبُ أن يكونَ موقفُ المسلمِ بعدَ الهزيمةِ؟

٣- حدّد دورَ البلاءِ في بلورةِ شخصيَّةِ المسلمِ؟

٤- اذكرْ مواقفَ بعضِ الصَّحابةِ عندَ شيوعِ نبأِ وفاةِ الرَّسولِ ﷺ.

٥- بيِّنِ الدَّرسَ العمليَّ الَّذي يقدِّمُهُ لنا هذا النَّصُّ.



من حصاد الدَّرس

١- على المسلمِ أن يتماسكَ أمامَ الهزيمةِ، فلا ينهارَ، بل يدرسَ الأسبابَ والنَّتائجَ ليعرفَ مواطنَ الضَّعفِ، فيأخذَ العبرةَ، ويتجاوزَ المحنةَ في المستقبلِ.

على المسلمِ أن يدرسَ السُّنَنَ الكونيَّةَ، فيرسمَ الخططَ، ويُعدَّ العدَّةَ ويأخذَ بأسبابِ النَّصرِ، وينطلقَ في عملِه متوكِّلاً



على اللهِ تعالى.

٢- إنَّ جوهرَ شخصيَّةِ المسلمِ يتَّضحُ أمامَ البلاءِ، حيثُ يظهرُ الإخلاصُ والشَّجاعةُ، فقد يتمنّى الإنسانُ الاستشهادَ في حالةِ الرَّخاءِ، ولكنَّهُ قد يضعفُ إذا ما واجَهَ الواقعَ وفُرِضَ عليهِ الجهادُ.

٣- إنَّ غيابَ القيادةِ لا يُلغي الاستمرارَ في أداءِ الرِّسالةِ، فسنَّةُ الحياةِ تقضي بأن يموتَ الأنبياءُ والمرسلونَ، ولكنَّ تعاليمَهم يجبُ أن تظلَّ خالدةً في ضميرِ أتباعِهم وسلوكِهم.

٤- إنَّ أتباعَ الأنبياءِ في التّاريخِ كانوا القدوةَ في ثباتِهم وصبرِهم وتحمُّلِهم لألوانِ العذابِ، فحينَ كانَتْ تواجهُهم المِحَنُ، كانوا يلوذونَ باللهِ في الدُّعاءِ، وتوفيرِ أسبابِ الأمنِ والنَّصرِ لهم.

٥- على المسلمِ الحذرُ من وساوسِ الكافرينَ الَّذينَ ينتظرونَ فرصَ الهزيمةِ، ليتَّخِذوا منها مادَّةً للتَّشَفّي وتثبيطِ العزائمِ وإثارةِ الشُّكوكِ في الرِّسالةِ والمرسلِ.

٦- إنَّ المسلمَ إذا ما تخلّى عن عواملِ النَّصرِ، فسيصابُ بالهزيمةِ، وإذا ما أصيبَ بها، عليهِ أن يُحاسبَ نفسَهُ فيُظهرَ النَّدمَ، ويعترفَ بالتَّقصيرِ، ويستغفرَ اللَّهَ تعالى، ليواجهَ المستقبلَ بروحيَّةٍ رساليَّةٍ عاليةٍ.

من ثقافة الروح



هي أُحدٌ...

هي أحدٌ، واهتزَّتِ الصُّورةُ الخضراءُ جفَّتْ عيونُها فهي سودُ

إنّه الزَّهوُ- حين تمتدُّ- تطغى في يديهِ زوابعٌ ورعودُ

تتحدّى الزَّمانَ ثمَّ يدبُّ الوهنُ منها ويستريحُ الجمودُ

أيُّ زهوٍ هذا الَّذي تصرعُ الفارسَ فيه غنائمٌ ونقودُ

تبقى في ذاكرتي

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٤٥﴾ (الأنفال)

للمطالعة

معركةُ أُحد في التاريخ

١- نتائج معركة بدر الكبرى

في السابع عشر من شهر رمضان، السنة الثانية من الهجرة، كانت معركة بدر الكبرى، أول مواجهة مسلّحة بين المسلمين والمشركين، وفيها أثبتَ المقاتلون المسلمون- بتأييد الله تعالى- قدرتهم على إحراز انتصارات رائعة، قضوا من خلالها على قادة الشرك، أمثال: عتبة بن ربيعة وأخيه شيبة وولده الوليد، كما استولوا على غنائم خلّفها الأعداء في ساحة القتال.

وكان من أبرز نتائج هذه المعركة أن:

- عزرت ثقة المسلمين بالله تعالى وبأنفسهم، وثبت إيمان المترددين في عقيدتهم، بعد كسر شوكة أكبر قوة طاغية في شبه الجزيرة العربية.
- جعلت من المسلمين قوة مرهوبة الجانب عند القبائل العربية، وهذا ما دفع الكثيرين لاعتناقِ الإسلام، بعد أن كانت قريش تشكل الحاجز النفسي والمادي لهم.
- فتحت الأبواب أمام المسلمين للانطلاق بحريّة في نشر الإسلام.
- جعلت المسلمين يعيشون حالة ترقب وحذر واستعداد لمواجهة ردات فعل قريش المجروحة في كرامتها وعنفوانها، والمهدَّدة بسلامة تجارتها التي هي عنوان قوتها ونفوذها.

٢- قريش تستعد للحرب

أما قريش سيدة العرب، فمن الطبيعي أن تجرح نتائجُ بدر كبرياءها وبالأخص حين يكون المنتصرون جماعة من الفقراء والعبيد الذين كانوا يخضعون لسلطانها... لذا كَبُر عليها حجم الهزيمة التي أضعفت معنوياتها وجعلتها مادة أحاديث القبائل آنذاك.

هذا الواقع جعل زعماء قريش يقررون معاودة الحرب ثأرًا للكرامة وغسلاً للعار، فجمعوا الأموال، وحشدوا ثلاثة آلاف بكامل عدّتهم، واستعدوا للمواجهة.

وكدليل حسي على واقع القرشيين المتأزم أن هند بنت عتبة- الموتورة بأبيها وعمها وأخيها- شدّدت على إشراك النساء في الحملة لإلهاب النفوس وإثارة الحماس، وهذا لم يكن مألوفًا في العرف الجاهلي.

٣- المسلمون يبحثون خطة المواجهة

وسط أجواء التعبئة القريشية، كان العباس بن عبد المطلب- عم النبي ﷺ - يراقب المواقف والخطط المعادية، ولم يكن آنذاك قد جهر بإسلامه، فكتب إلى الرسول ﷺ كتابًا يعرض فيه تفاصيل الحملة، ليكون على أهبة الاستعداد.

وهنا اتصل النبي ﷺ ببعض زعماء المدينة، وبحث معهم أساليب ووسائل درء الخطر المحدق على المدينة، وبنتيجة البحث



توزع الحاضرون بين موقفين:

الموقف الأول آثر البقاء داخل المدينة والتحصن عند أبوابها استعدادًا للمعركة الحاسمة، وقد برّر هذا الموقف زعيم المنافقين «عبد الله بن أبي سلول» بقوله:

«يا رسول الله... أقمْ بالمدينة ولا تخرجْ منها، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا، ولا دخلها إلا أصبنا منه...»

الموقف الثاني حبّذَ الخروج لملاقاةِ العدو خارجَ المدينةِ حمايةً لها من الدمار، ومخافةً من أن يتهموا بالجبن، وكانَ على رأس هؤلاء «إياس بن أبي إياس» الذي خاطب الرسول ﷺ بقوله:

«يا رسول الله... لا أجدُ أن ترجع قريش إلى قومها لتقول: حصرنا محمدًا في صياصي يثرب وآطامها، فتكون هذه جرأة لقريش... وكنا في جاهليتِنا والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بهذا منّا، حتى نخرج إليهم بأسيافنا، فنذبّهم عنا، فنحن اليوم أحق إذ أمدّنا الله بك، وعرّفنا مصيرنا، فلا نحصر أنفسنا في بيوتنا...»

أمام هذا الاختلاف في وجهات النظر كان الرسول ﷺ يستمع ويوازن، ليتخذ في النهاية القرار المناسب، الذي قضى بالخروج من المدينة لمواجهة العدو.

ولعل سياسة الرسول ﷺ في أسلوب اتخاذ القرار كانت تحمل في ثناياها أبعادًا تربوية سامية، إذ أراد للمسلمين:

- أن يعتمدوا الشورى في درس قضاياهم، مستخدمين كل معطيات الواقع، ومتسلحين بقواعد العقل والحكمة بعيدًا عن العاطفة والانفعال.
- أن يتحملوا قسطًا من مسؤولية اتخاذ القرار، ما يعزز لديهم الثقة بأنفسهم، ويمنحهم الشجاعة في التصدي والمواجهة.
- أن يحذروا العناصر المتآمرة التي تحاول أن تعتمد الآراء التي تؤدي إلى الهزيمة (اليهود والمنافقين...).

٤- التعبئة الروحية والقتالية

وظهر يوم الجمعة، صلّى النبي ﷺ بالمسلمين وخطبهم موجهًا ومرشدًا، ومشجعًا على التضحية، وواعدًا بالنصر إذا ما أخلصوا وصبروا، طالبًا الاستعداد التام للقاء العدو.

وبعد أن وزع الألوية على قادة الجيش، تحرك المسلمون في حوالي ألف مقاتل حتى بلغوا مكانًا يُدعى «الشوط»- بين أُحد والمدينة-، وهناك انسحب زعيم المنافقين «عبدالله بن أبي سلول» بثلث الجيش مبررًا ذلك بقوله:

«أطاعهم محمد وعصاني، وما ندري علام نقتل أنفسنا أيها الناس؟»

تابع المسلمون السير حتى بلغوا جبل أُحد، فحطوا الرحال بموضع كان الجبل إلى ظهورهم، فأخذ كل لواء موقعه، ثم اختار النبي ﷺ خمسين من الرماة القادرين، وأمرهم بالتمركز في ثغرة من الجبل، وقال لهم:

«احموا لنا ظهورنا، فإنا نخاف أن نؤتى من ورائنا، والزموا مكانكم، لا تبرحوا منه،وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم،فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل، فلا تعينونا، ولا تدافعوا عنا. اللهم إني أشهدك عليهم، ارشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم على النبل».



ثم توجه النبي ﷺ إلى المقاتلين بكلمات روحية معبّرة:

«أيها الناس... إن الله مع من أطاعه، وإن الشيطان مع من عصاه، فاستفتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي آمركم به، فإني حريص على رشدكم..»

من خلال هذه الكلمات: نستوحي: أن النبي ﷺ- في أشد المواقف حراجة- لم ينس أن يزود مقاتليه بشحنات روحية توثق علاقتهم بالله تعالى، وتؤكد ضرورة التزامهم بأوامره ونواهيه، وهذا ما يجعل المؤمن مندفعًا إلى ساحة القتال صابرًا محتسبًا، لا يهاب الموت، ولا يفكر بالهزيمة، حسبه أنه في طاعة الله ينتظر إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وفي كليهما الفوز والسعادة.

٥- مواقف من أرض المعركة

أ- الاختلاف في السلوك والمنطلقات:

التقى الفريقان في أرض أُحد، وكلٌّ يحاول أن يثير في أتباعه روح الحماس من خلال قناعاته العقيدية:

- فقريش المشركة تبعث في نفوس جنودها روح القبلية، فتحرّضهم على الأخذ بالثأر، وتمنّيهم بالمتع الحسية، مستنجدة بالنساء اللواتي كن ينشدن ويضربن على الدفوف.
- والمسلمون في جهادهم كانوا يعيشون مع الله، ويحيطون بنبيّهم الذي يحرضهم على الجهاد، واعدًا بالنصر إذا ما أخلصوا وصبروا...

ب- قريش تحاول إثارة النزعة القبلية:

بدأ القتال، وكان أول من أنشبه رجل من قبيلة الأوس يدعي «أبا عمرو عبد عمر بن صيفي» مع ١٥ رجلاً من قبيلته، فنادى: يا معشر الأوس... أنا أبو عامر.

فأجابه رجال الأوس المسلمين: لا أنعم الله بك عينًا يا فاسق... ثم شدّوا عليه حتى اضطر إلى الفرار وهو يجرّ وراءه أذيال الخيبة والخسران.

ولعل هذه البداية كانت خطوة ذكية من قريش، أرادت من خلالها إثارة النزعة القبلية عند الأوس المسلمين، فتمنعهم من قتال إخوانهم في النسب، ما يثير البلبلة في صفوف المسلمين... ولكن قريشًا أخطأت الهدف، فالأوس اليوم هم غيرهم في الأمس، فالإسلام قد غيّر الكثير من مفاهيمهم، فأخوهم هو من يشاركهم العقيدة لا الحسب والنسب، لذلك كانوا هم في طليعة من تصدى له.

ثم تقدم «طلحة بن أبي طلحة» حامل لواء المشركين، وصاح من يبارز؟ فانبرى له الإمام علي عليه السلام وعاجله بضربة فلقت هامته، وأردته قتيلاً.

ثم اندفع "أبو دجانة"، وكان مشهورًا بالشجاعة والإقدام، فشق صفوف المشركين، وأوقع فيهم إصابات مؤثرة... عندها اندفع المشركون، يثور في عروقهم الحقد وحب الثأر، واشتبكوا مع المسلمين في معركة ضارية.

ج- مقتل الحمزة سيد الشهداء:

وكان أشدّ ما يشغل بال هند بنت عتبة- زوجة أبي سفيان- الثأر لأبيها وعمها وأخيها المقتولين يوم بدر على أيدي الحمزة بن



عبد المطلب والإمام علي عليهما السلام، فأعدّت خطة لاغتيالهما.

فاختارت غلامًا حبشيًا يُدعى «وحشي»، وكان بارعًا في الرماية، فأغرته بالمال والحرية، وهذا أقصى ما كان يطمح إليه، فقبل العرض وقال لها: "أما محمد فلا حيلة لي به، لأن أصحابه يحيطون به دائمًا... وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الذئب، وأما الحمزة فإني أطمع أن أصيبه، لأنه إذا غضب لم يعد يبصر ما بين يديه".

ويروي «وحشي» وقائع اغتياله الحمزة فيقول:

«لما التقى الناس، خرجت أنظر حمزة وأتبصّره، حتى رأيته في عُرض الناس يهدّ سيفه هدًّا، فهززت حربتي، حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت في ثُنّتِه (أسفل بطنه)، وخرجت من بين رجليه، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته وأخذت حربتي ورجعت إلى المعسكر، ولم يكن لي بغيره حاجة...».

د- نتائج الجولة الأولى من المعركة:

ولما بلغت المعركة أوج عنفها، تقدم «أبو سعد بن أبي طلحة» المشركين، وصاح:

«أتزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؟ والله إنكم لتكذبون ولو كنتم تؤمنون بما تقولون حقًا، فليتقدم منكم من يقاتلني...».

فبرز إليه الإمام علي عليه السلام وأرداه قتيلاً، عندها دبَّ الذعر في نفوس المشركين، فلاذوا بالفرار، فلحق بهم المسلمون حتى أحاطوا بنسائهم اللواتي كدن أن يقعن أسرى في أيدي المؤمنين.

هـ- لماذا الانتكاسة في الجولة الثانية؟

وحين اطمأن المسلمون إلى هزيمة عدوهم، نزلوا أرض المعركة، وأخذوا يجمعون الغنائم... في هذه اللحظات التفت الرماة في الجبل، فرأوا إخوانهم منهمكين في جميع الغنائم، فسال لعاب أكثرهم، وقالوا لبعضهم: "لِمَ تقيمون ها هنا، وقد هزم الله عدوكم، فادخلوا واغنموا مع الغانمين".

فأجابهم البعض: ألم يقل لكم رسول الله لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا؟"

وكان الرد: «لم يرد رسول الله أن نبقى بعد أن أذلَّ الله المشركين».

ودبَّ الخلاف بينهم، عندها طلب منهم أميرهم "عبد الله بن جبير" أن لا يخالفوا أمر نبيِّهم، ولكن كلامه لم يجد آذانًا صاغية من أكثرهم، فتركوا مواقعهم، ولم يبق منهم سوى عشرة.

إذّاك اغتنم «خالد بن الوليد» الفرصة، وكان قائد فرسان المشركين، فشدَّ من خلف الجبل على من تبقى من الرماة، ثم صاح صيحة أدركت فلول قريش مغزاها، فأعادت جمع صفوفها، وأحاطت بالمسلمين، وأمعنت فيهم ضربًا وقتلاً.

و- نهاية المعركة:

فوجئ المسلمون بالموقف، فألقوا ما بأيديهم من غنائم، وعادوا إلى سلاحهم، ولكن بعد فوات الأوان حيث دبَّ الذعر، وتحول الجيش إلى شراذم مبعثرة... حتى أن المسلم كان يضرب أخاه وهو يحسبه من الأعداء.

في هذا الجو المضطرب صاح أحدهم: إن محمدًا قد قُتل... فاندفع المشركون بضراوة إلى الناحية التي كان يرابط فيها النبي صلى الله عليه وآله، وكلٌّ يريد أن يساهم في قتله ليفاخر به أمام قومه.



أما المسلمون، فلدى سماعهم النبأ الصاعق توزعوا فريقين:

- فريق أُسقط ما بيده، فراح يفتش عن وسيلة للنجاة.

- وفريق استبسل من أجل الدفاع عن دينه ونبيّه وفي مقدمتهم الإمام عليّ عليه السلام الذي كان له الدور الأكبر، وسرعان ما اكتشف المسلمون كذب الدعاية، فأحاطوا بالنبي صلى الله عليه وآله يحمونه بأرواحِهم حتى بلغوا به موضعًا آمنًا، وكان في حالة صعبة، فقد جُرح، وشُجَّ وجهه، وكُلِمَتْ شفته، وأُصيبت رُباعيته.

ز- قريش تمثّل بالشهداء:

في هذا الجو الحزين، تقدّم المشركون، وهم يرددون مع أبي سفيان: "يوم بيوم بدر، والموعد العام المقبل"... ثم أخذوا يستعرضون القتلى حتى وصلوا إلى جسد الحمزة، وكان في مقدمتهم هند التي استلّت كبده، وأخذت تلوك به، كتنفيسٍ عن حقدها وغيظها، حتّى دُعيت بآكلة الأكباد.

بعد انسحاب المشركين، عاد المسلمون إلى الميدان وفي مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وقف قُرب جسد عمه الحمزة قائلاً: «لن أصاب بمثلك أبدًا، ما وقفت موقفًا قط أغيظ عليَّ من هذا...».



أبحاث المحور الخامس ونشاطاته

(١) المواطنة في الإسلام

١- كيف تعاملَ الإسلامُ معَ مفهومَي الوطنِ والمواطنةِ؟

أيِّدِ الرَّأيَ بأمثلةٍ وشواهدَ.

٢- أنتَ مواطنٌ في وطنٍ، أذكر ما هي حقوقُكَ؟ وما هي واجباتُكَ؟

٣- بيِّن كيف يوفِّقُ المسلمُ بين انتمائه لوطنِهِ الجغرافيِّ المحدودِ، ووطنهِ الإسلاميِّ الواسعِ؟

(٢) مكانةُ العقلِ في الإسلامِ

١- اذكرْ بعضَ النُّصوصِ القرآنيَّةِ الَّتي تعظِّمُ دورَ العقلِ وتشجِّعُ عمليَّةَ الاستدلالِ العقليِّ.

٢- يشدِّدُ القرآنُ الكريمُ على اعتمادِ النَّظرِ والتَّفكيرِ في مختلفِ القضايا المعرفيَّةِ والكونيَّةِ:

حدِّدْ بعضَ أنواعِ التَّفكيرِ بشواهدَ دينيَّةٍ.

(٣) الإسلامُ والعولمةُ

١- عرِّفْ المصطلحاتِ التَّاليةَ: العولمة – الهويَّة الثقافيَّة – الحرب النّاعمة.

٢- أعطِ أمثلةً عن كلِّ نوعٍ من أنواعِ العولمةِ.

٣- تحدَّثْ عن طرقِ مواجَهَةِ سلبيّاتِ العولمةِ والحربِ النّاعمة بأساليبَ إسلاميَّةٍ حاسمةٍ.

(٤) من وحي معركة «أُحدٍ»

١- اذكر بعضَ محطاتٍ تاريخيَّةٍ من معركةِ «أُحدٍ» وما كانَتْ نتائجُها؟

٢- اذكر المفاهيم القرآنيَّة المستفادة من نتائجِ معركةِ أحد؟

عدِّدْ هذهِ المفاهيمَ من خلالِ النَّصِّ القرآنيِّ في المستندِ معَ التّركيزِ على مفهومِ «غيابُ القيادةِ لا يلغي الرِّسالةَ»

٣- استخلص العبر التي تستفيدها من معركة أحد.

